القافلة

مجلة ثقافية تصدر
كل شهرين • سبتمبر - أكتوبر 2005



ملف العدد

المــرآة..

- كيف تلبي آسيا حاجتها من النفط..؟!
- الهجوم الشعبي على الأسهم..

العدد 5
المجلد 54

معارض ومؤتمرات

سبتمبر 2005

- المعرض الدولي الخامس للكتاب
  جدة: 7 - 9
  esales@recexpo.com
  http://www.recexpo.com
- معرض الخليج الدولي
  الظهران: 10 - 16
  index@emirates.net.ae
  http://www.index.ae
- معرض الكومبيوتر 2005
  الرياض: 11 - 15
  esales@recexpo.com
  http://www.recexpo.com
- معرض الزراعة السعودي 2005
  الرياض: 25 - 29
  esales@recexpo.com
  http://www.recexpo.com
- مهرجان الخيول العربية
  دبي: 26 - 29
  mediac@emirates.net.ae
  http://www.mediaccom.com
- معرض الكويت الدولي للبترول
  الكويت: 26 - 29
  info@kif.net
  http://www.kif.net

أكتوبر 2005

- مؤتمر السياحة والسفر في العالم العربي
  بيروت: 29 - 2 أكتوبر
  info@iktissad.com
  http://www.iktissad.com
- المعرض الدولي الخامس للصناعات
  طهران: 2 - 6
  http://www.idro-fairs.com
- معرض رمضان 2005
  الشارقة: 4 - 6 نوفمبر
  info@expo-centre.co.ae
  http://www.expo-centre.co.ae
- معرض عيد الفطر
  صنعاء: 18 - 1 نوفمبر
  exhibitions@yemen.net.ye
  http://www.exposanaa.com
- معرض رمضان والعيد
  الظهران: 19 - 25
  exhibition@dahran-expo.com
  http://www.dahran-expo.com
- معرض رمضان والعيد
  الكويت: 19 - 28
  info@kif.net
  http://www.kif.net

القافلة



ارامكو السعودية
Saudi Aramco

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية
(أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
عبدالله بن صالح بن جمعة

نائب الرئيس لشؤون أرامكو السعودية
مصطفى عبدالرحيم جلالي

مدير العلاقات العامة
ناصر بن عبدالرزاق النفيسي

رئيس التحرير
محمد عبدالعزيز العصيمي

مدير التحرير الفني
كميل حوّا

سكرتير التحرير
عبود عطية

فريق التحرير
فاطمة الجفري
محمد أبو المكارم
مأمون محيي الدين
محمد الفوز
رولان قطّان (بيروت)
ماجد نعمة (باريس)
رياض ملك (لندن)

تصميم وإنتاج
المحترف السعودي

طباعة
مطابع السروات، جدة

ردمد ISSN 1319-0547

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- ما ينشر في القافلة لا يعبر بالضرورة عن رأيها

محطات العدد

سبتمبر - أكتوبر 2005
شعبان - رمضان 1426

توزع مجاناً للمشتركين
العنوان: أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa

الهواتف: رئيس التحرير 7321 874 3 966+
فريق التحرير 0607 897 3 966+
الاشتراكات 6948 874 3 966+
فاكس 3336 873 3 966+

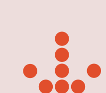
رسالة المحرر

1 طاقة واقتصاد





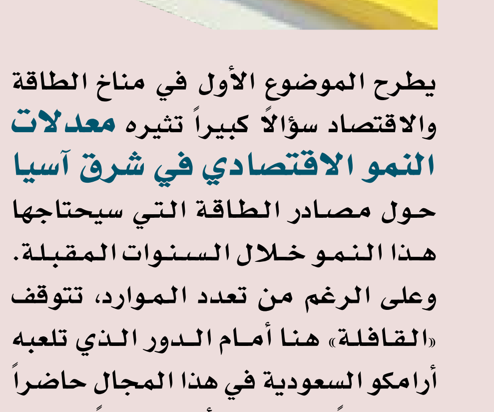
يطرح الموضوع الأول في مناخ الطاقة والاقتصاد سؤالاً كبيراً تثيره **معدلات النمو الاقتصادي في شرق آسيا** حول مصادر الطاقة التي سيحتاجها هذا النمو خلال السنوات المقبلة. وعلى الرغم من تعدد الموارد، تتوقف «القافلة» هنا أمام الدور الذي تلعبه أرامكو السعودية في هذا المجال حاضراً ومستقبلاً، خاصة وأنها حالياً المورد الأول للطاقة لثلاثة عمالقة آسيويين: الصين واليابان وكوريا الجنوبية.

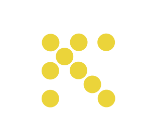


أما الموضوع الثاني فيتناول شأناً اقتصادياً صار من شؤون الحياة اليومية في المملكة ويتمثل في **الهجوم الشعبي على الاستثمار في الأسهم**، محاولاً تسليط الضوء على المخاطر المحيطة بصغار المستثمرين ممن لا دراية كافية لديهم بعالم البورصة وآلياتها.

2 قضايا

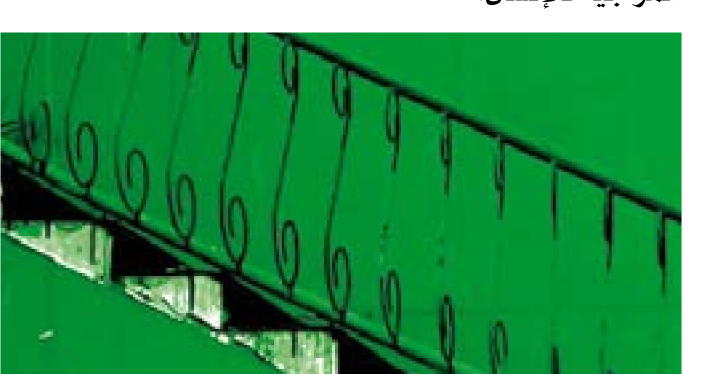
أما قضية العدد فتتناول **قدرة العالم الثالث على تحقيق اختراق تكنولوجي** يسمح له باللحاق بالدول المتطورة في هذا المجال، ويتناول أمثلة عالمية محددوة تمهيداً لحصر الموضوع في العدد المقبل بالعرب وعلوم العصر.





3 علوم وبيئة

ويتناول مناخ العلوم والبيئة موضوعين: **مفهوم المباني الخضراء**، وهو آخر ما توصل إليه فن العمارة الساعي إلى التكيف مع أفضل الشروط البيئية. و**أثر التغذية على العقل** ومن خلاله على الصحة النفسية والحالات المزاجية للإنسان.



الفاصل المصور

الفاصل المصور مخصص في هذا العدد لأعمال الفوتوغرافي السعودي محمد حسن المهنا، المتميز بمقدرته على الإمساك بخطاب الضوء والظل في لقطات داخلية بالغة الغنى والتعقيد.



4 الحياة اليومية

ولأن **التصفيق** فعل يبدو في الظاهر بسيطاً إلا أن ثلاثة أقلام تتناوله في مناخ الحياة اليومية وتكشف عن أبعاده وأنواعه والدور الذي يلعبه على الصعيد الثقافي.



5 الثقافة والأدب

ويحتل رواد الكوميديا في السينما، **نجيب الريحاني، فرنانديل، وتشارلي تشابلن**، الموضوع الأول في المناخ الثقافي.

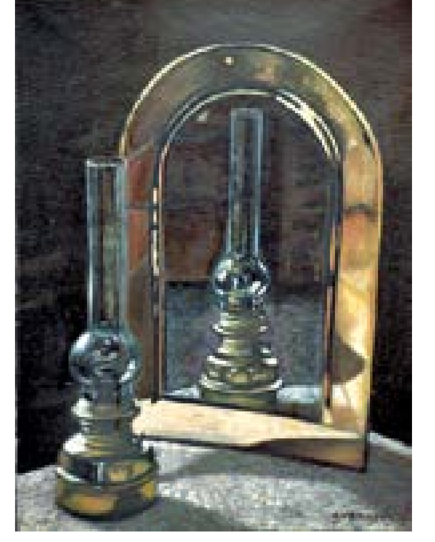




أما الدراسة النقدية فتتطلع إلى جهة قلّما نتطلع إليها.. صوب الهند ورواية الأديبة سامينا علي «**مدراس في أيام مطيرة**».

6 ملف العدد

وأخيراً، تخصص القافلة ملف هذا العدد لواحدة من أقدم الأدوات التي اخترعها الإنسان والتي لا تزال محافظة على وظيفتها الأصلية رغم ما أضيف إليها من وظائف: **المرآة** التي نتطلع إليها فنرى أنفسنا ولا نراها.



المحرر

الرحلة معاً

مفارقات سوق الأسهم

أظن أن «القافلة» وفِّقت في هذا العدد في اختيار عنوان موضوعها عن الاتجار في الأسهم.
ففريقها اعتبر ما يحدث بمثابة هجوم شعبي غير مسبوق، تدل عليه الأرقام التي كان من بينها أن عدد المتداولين في هذا السوق تجاوز بضعة آلاف إلى ما يقرب أو يتجاوز المليون تاجر، مع التحفظ البالغ في وصف كل داخل إلى هذا السوق بالتاجر؛ لأن هناك فرقاً بين من يضارب على خمسة أسهم ومن يوظف خمسة ملايين أو خمسين مليوناً، إلا أن الاثنين، صاحب الخمسة أسهم ومن يوظف الخمسين مليوناً، كلاهما مسمَّر إلى شاشات التداول.

لقد أصبح لدينا فجأة قاموس يومي شعبي جديد مداره سوق الأسهم ومصطلحاته: صالة التداول، الشاشات، المضاربة، أمر إدخال، أوامر قائمة، منفذ، معلق ... إلى آخره مما أصبح حديث المجالس والمكاتب والأرصفة. وبينما كانت جهات العمل تتذمر من كثرة مطالعة موظفيها لمواقع الإنترنت لأغراض مختلفة أصبحت أمام مشكلة أشد خطراً وأكثر فتكاً بأوقات موظفيها. تلك المشكلة هي التعامل إلكترونياً في بيع وشراء الأسهم، الأمر الذي تسابقت إليه البنوك لكي لا تفوتها المزايا المالية لهذا الهجوم الشعبي الكاسح لسوق الأسهم.

هناك، بالطبع، جملة أسئلة يمكن أن تُطرح لنفهم ما يدور من حولنا داخل هذا السوق الجديد، الذي يفتح فمه كأوسع ما يكون ليلتهم السيولة المتوافرة لدى الناس، بغض النظر عن صغر وكبر هذه السيولة عند هذا وذاك. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن بعض الناس سيلوا ما لديهم من أصول أو عقار ليلحقوا بقطار الأسهم المنطلق بسرعة لا تخلوا من خطر حسب بعض المحللين.

ولعل السؤال الأهم من بين مجموعة الأسئلة التي يمكن أن تطرح هو كيف تشكل هذا الحضور الشعبي العارم في سوق الأسهم؟ هل نشأ صدفة أم أن له مقدمات منطقية؟ بالنسبة لمراقب بعيد مثلي فإن الأمر لا يخلو من صدفة كما هي في الغالب العديد من ممارساتنا الاستثمارية. فأنا وأنتم نذكر ما حدث قبل فترة وجيزة من هجوم على الاستثمار في المساهمات العقارية عبر جهات المملكة الأربع، ثم فجأة انطفأت هذه الإسهامات وعلقت من جانب أموالٍ كثيرة لحسابها بينما تحول بعض هذه الأموال، من جهة أخرى، إلى المضاربات في سوق الأسهم. وليس من المستبعد أن تخف حركة قطار سوق الأسهم لحساب قطار آخر لا نعرف بعد ما هو.

أما إذا أردتم رأي خبير فإن المستشار المالي وعضو جمعية الاقتصاد السعودية مطشر المرشد، يعتبر في المقال الذي كتبه للقافلة أن شرارة البداية لهذا الهجوم الشعبي على الأسهم كانت عندما طرحت الدولة 30 في المائة من حصتها في شركة الاتصالات السعودية للاكتتاب العام بسعر تشجيعي قدره 170 ريالاً للسهم الواحد.

وفي رأي الكاتب والمصرفي خضر المرهون فإن هناك ستة عوامل مباشرة أسهمت في التحول الاجتماعي الخطير المتمثل فيما اعتبره انجراف المجتمع السعودي نحو الاستثمار في الأسهم. وبالرغم من أن كل هذه العوامل مهمة إلا أن ما لفت نظري من بينها إشارته إلى قلة أو انعدام النافذة الاستثمارية البديلة، حيث لا تخرج هذه المنافذ عن اثنين هما: منفذ العقار، ومنفذ الأسهم. وإذا كان الأول يتطلب رؤوس أموال ضخمة فإن الثاني قابل لابتلاع أي قدر من السيولة، مما يؤدي إلى خلق حالة وردية من الأحلام لدى المستثمر الصغير قبل الكبير.

ولكي لا أفوت عليكم فرصة الاطلاع المفصل على المفارقات الواردة فيما كتبه الخبيران اللذان استضفناهما لتحليل ظاهرة الهجوم الشعبي على الاستثمار في الأسهم، أدعوكم فقط إلى قراءة تحليليهما أكثر من مرة لتستوعبوا هذه المفارقات كما حاولت أن أستوعبها. وإذا كان لديكم بعد ذلك رأي تجاه هذا الموضوع فأرجو ألا تبخلوا به علينا لتعم الفوائد التي تنتج عن تجاربنا الناجحة أو الفاشلة في هذا السوق.

رئيس التحرير



إلى.. رئيس التحرير

ترحّب القافلة برسائل قرائها وتعقيباتهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.

سياحة المغانم

لقد شدني مقالكم (سياحة المغانم) في العدد الأخير للقافلة الميمونة، مما جعلني أقترح على الأخوة في منتدى (الظلال الهجرية) أن يجعلوه عنواناً لأمسية المنتدى الأسبوعية، حيث استعرت هذا العدد من جمعية البر الخيرية وعند بداية المنتدى قرأت بعض ما كتبته في هذا المقال مع ذكر المجلة كمصدر ورئيس تحريرها صاحب الموضوع، فكان التفاعل من الأخوة الحاضرين بشكل غير مسبوق. وفي آخر الأمسية قدمت الشكر لكم كرئيس لتحرير القافلة الميمونة والعاملين فيها.

زكي موسى طاهر بوعريش
الأحساء

القافلة: شكراً على التفاعل والتجاوب. ونرجو أن توافونا بعنوانكم كاملاً لوضعه على لائحة المشتركين لتنتهي أيام استعارة القافلة.

سنوات عشر

وأنا أتجاوز في علاقتي مع مجلتكم الغرّاء مدة السنوات العشر أحببت أن أنتهز هذه الفرصة كي أعبر عن شكري واعتزازي الكبير حين وجدت الحرص الكبير منكم على إيصال هذه المجلة العزيزة التي تدخل السرور في قلوبنا والفائدة إلى أذهاننا.

سمير العطّار
مقدم برامج سياسية في فضائية سحر

القافلة: شكراً لمبادرتك بإرسال هذه الرسالة. ومن جهتنا سنحرص دائماً على رضاك ورضا جميع القرّاء، إن شاء الله.

ملف الزيتون

يسرني التوجه إلى سعادتكم بخالص الشكر والتقدير على تواصلكم معنا بموافاتنا بإصدارات القافلة أولاً بأول، حيث وصلني اليوم العدد 4 المجلد 54 وأعجبني ما تضمنه بين دفتيه من معلومات متنوعة، لا سيما ملف العدد «الزيتون». إلا أن ما كُتب بالعدد عن الزيتون لم يغطّ كل جوانبه. لذا نأمل أن تسمحوا باستكمال بعض الجوانب المهمة حوله، مثل: 1- الزيتون ثروة قومية، كيف نحميه من أعدائه الحشرية والمرضية، 2- الزيتون في الطب الحديث أو الزيتون صيدلية منزلية، 3- طرق حفظ وتخليل الزيتون.

د. رمزي عبدالرحيم أبو عيانة
بريدة

القافلة: صحيح أن الملف بعدد صفحاته المحدود لا يمكنه أن يقدم تغطية «كاملة» لأي موضوع، ولكن لو دققتم قليلاً لوجدتم أنه اشتمل فعلاً على فوائد الزيتون وزيته، وعرض أيضاً لعدة طرق لحفظه وتخليله.

الإذن بتصويرها لتدريسها

أفيدكم بأنني من قرّاء مجلتكم الغرّاء منذ أكثر من خمس وعشرين سنة. ويطيب لي أن أشكر لكم إرسال أعداد مجلتكم لي خلال هذه السنوات الطويلة، كما أشكر لكم جهودكم في إخراج المجلة بثوبها الجديد وما فيها من مادة علمية مفيدة وأبحاث هادفة وأتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح في عملكم هذا.
أنا من جمهورية موريشيوس. وهي جزيرة تقع في وسط بحر المحيط الهندي بعد مدغشقر. وبعد دراستي في إحدى الجامعات السعودية، عدت إلى موريشيوس لأقوم بتدريس اللغة العربية فيها. ولكننا نواجه بعض الصعوبات في الحصول على الكتب العربية والجرائد والمجلات حتى يتدرب طلابنا من خلالها على القراءة والفهم.
لقد وجدنا في مجلتكم النبيلة الموضوعات المتنوعة المفيدة لمستوى طلابنا.
وكنت أود أن أحصل منكم على إذن لكي أستطيع أن أقوم بتصوير بعض الموضوعات واستعمالها أثناء تدريسي، مع العلم بأننا ندرّس اللغة العربية لأبناء المسلمين مجاناً، ونقصد من هذا العمل نشر هذه اللغة بين أوساط المسلمين في الجزيرة. فأرجو منكم توجيهي في هذا الموضوع المهم حتى تكون الفائدة عامة وشكراً لكم وأنا في انتظار ردكم.

أحمد فوزي خدا بخش
جمهورية موريشيوس

القافلة: لا مانع من استخدام مواد المجلة وتصوير موضوعاتها لما ترونه مناسباً في تعليم اللغة العربية. وفقكم الله وسدّد خطاكم.

توحيد التحية

أعجبني المقال الذي نشرتموه في العدد الأخير من القافلة بعنوان: «تعريب المصطلحات العلمية: الأسماء كثيرة والمقصود واحد». وليتكم وسعتموه ليشمل مجالات أخرى تعاني من المشكلة نفسها، أو ربما تفعلون ذلك في المستقبل.
ولو أخذنا التحية على سبيل المثال، لوجدنا أنها تختلف اختلافات كبيرة بين الأقطار العربية، وحتى داخل المدينة العربية الواحدة. فإضافة إلى تحية الإسلام «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» نجد مجموعة لا حصر لها من التحايا، بعضها مقبول، وبعضها لا نعرف أصله ولا من أين أتى.
فإذا كانت بعض أنواع التحية مثل «مرحباً» أو «صباح الخير» و «مساء الخير» مفهومة، فهناك (من دون أن أحدد أماكن) من اختصر «مرحبا» إلى «مرحب» و «صباح الخير» إلى «صباحو» ولكن لا يوجد «مساءو».
ناهيكم عن التحية بلغات أجنبية من أناس لا يعرفون من اللغات الأجنبية غير التحية: بونجور وبونسوار.. وآخرها وأكثرها رواجاً بين الشبان «هاي».

سالم اللاذقاني
الحسكة، سوريا

محاولة نسيان

الثغرُ أُلجمَ.. والنواظر ساهمةُ!!
والوهمُ ذي جمراته متضرِّمةْ
وصريرُ أقلامِ القلوبِ تلعثمٌ!!
وكذا الحروفُ بطرسِها.. متجهّمه
قد كنت أرسمُ من شعوري.. لوحةً
أُهديكَ جُلَّ نقوشها المُستلهَمة
وجعلتُ أحلامي الشفيفةَ مرسماً
ومحبّتي.. كانت لروحي مُلهِمةْ
قد كنتُ، كنتُ، الذكرياتُ تململتْ
والشوقُ أذهلَ.. ما أطيقُ تلعثمهْ
حتّى حروفي.. حرتُ كيف أصوغها؟!!
همسٌ رقيقٌ، أم شرودٌ همهمةْ؟
أم بوحُ شعرٍ؟! واعتلاجُ مشاعرٍ؟!
كُلُّ المشاعرِ في فؤادي مبهمة
إنّي وأدتُ مشاعري، ومحوتُها
وكذاك شوقي.. صار ذكرى معتمة
عُذراً.. فكلُّ فصولكم أُنسيتُها
وتركتُ حبّي للأسى كي يختمهْ
عُذراً.. فأمسي قد مضى، وهجرتهُ
وهجرتُ ذكرك، والحنين وموسمهْ
عُذراً.. فلستُ بمن يُكبّلهُ الأسى
كلا، ولا سطّرتُ دموعي ملحمةْ
عُذراً.. وعُذراً إن نسيتُ طيوفكمْ
وغرقتُ في لُججِ الأماني المُفعمة
كفَنتُ ما سَطَرَ اليراعُ ولم تزلْ
ذكراكَ تسألني، وأشواقي: لمهْ؟
فيُجيبكمْ دمعُ المشوقِ: أما ترى؟!
أنّي كتبتُ نقيض قولي مُرغمةْ

ندى الرحيلي



ردود خاصة

إلى الأخوة والأخوات:

- الدكتور خالد بن سعد السليمي، مكة المكرمة: شكراً على العاطفة التي تكنها للقافلة، وستصلك بانتظام من الآن فصاعداً بإذن الله.
- عبدالله محمد الحارثي، مكة المكرمة: يسعدنا تغيير رأيك بالمجلات التي تصدرها الشركات الصناعية. وقد وضعنا اسمك على لائحة المشتركين.
- ندى عيد، بيروت: شكراً لإطرائك على المجلة. الاشتراك مجاني، نرجو فقط أن تزودينا بعنوانك البريدي لوضعه على قائمة التوزيع. أما الأعداد السابقة فنرجو تحديدها لتوفيرها لكِ، فالأمر ممكن ضمن أعداد السنوات الثلاث الماضية.
- مريم عبدالله العيسى، عمّان: لا شروط للمساهمة في القافلة غير الجودة، بحيث تتلاءم المادة مع أبواب المجلة ومناخاتها، وألاَّ تكون المادة قد نشرت سابقاً في أية مطبوعة أخرى.
- وليد مخلوف، حمص: تناولت القافلة أكثر من مرة موضوعات حول الرياضة والرياضيين من دون أن يكون هناك باب خاص بالرياضة.
- إسماعيل حكمت المنصوري، القاهرة: تسعى القافلة إلى أن تضم أكبر تنوع ممكن من الأقلام العربية، وبالقدر الذي يسمح به عدد صفحاتها المحدود.
- هشام الجوادي، الموصل: شكراً على البطاقة الجميلة التي أرسلتها. أما الكتب التي تشير إليها فمعظمها متوافر في المكتبات العربية.
- هالة أحمد إبراهيم، طنطا، مصر: لقد سبق وأن عرضنا لموضوع أجهزة التبريد والتكييف في القافلة. أما الأجهزة الطبية وأنواعها التي تتحدثين عنها فلا تهم إلا المتخصصين في مجالها.

الأصدقاء الجدد

الأخوة: النقيب يوسف عبدالعزيز الراجحي، الرياض - محمد بن سعد الحربي، القصيم - أحمد جعفر مقبول، مكة المكرمة - جمال عبدالله خشيم، جدة - إسماعيل الناظر المحامي، الخبر - أسامة الدبّاغ، أبها - سامي بن أحمد الزهراني، المندق - أحمد رافع آل جعفر، بغداد - عثمان العبدالوهاب، المجمعة - محمد صالح مرزا، المدينة المنورة - نواف بن ذويبان الراشد، الجوف - درنون عمّار، الجزائر - عبدالرحمن الجوير، المدينة المنورة - يوسف البطحي، الرياض - سعيد يوسف السعيد، المبرز - د. علي عسّاف، الطائف - علي البطاح، الرس - جميل خياط، جدة - أخذاري محمد، الجزائر - عطا الله بن شويطة، الجزائر - عوض ابن سعيد آل شايع، سراة عبيد - أيمن وحمد العرفج، المجمعة - وديع عبداللطيف شديد، الأردن - فهد بن عبدالله الدغماني، طريف - جعفر مهدي المضري، القطيف - عيسى العمراني، بقيق - عبدالعزيز آل عجيان، القطيف - سامي صالح المقحم، مكة المكرمة - عبّاس علي الشعفي، القطيف - عبدالله غشيان عبدالله، الباحة - عبدالعزيز الزاحم، الرياض - نهى عبدالرحمن الباهلي، القصيم - فوزي العوجان، دارين - ظافر يوسف، حلب - عروة بن عبدالقادر بلقاسم، الجزائر - فهد الطيار، تبوك - محمد بن مسفر العلياني، هيروشيما، اليابان - علي حسن بوحيمد، الهفوف - عادل العود، الرياض - عبدالرحمن السبيعي، الأحساء - عبدالله المغربي، المندق - إبراهيم العبداللطيف، أشيقر - طلال الأحمدي، المدينة المنورة - ناصر الشهراني، القنفذة - المكي بن محمد الشحيمي، تونس - علي بن عواجي مهجري، صامطة - محمد ابن يوسف الجامع، الدمام.

القافلة: وصلتنا رسائلكم، وأحلنا عناوينكم وما طرأ عليها من تعديلات إلى قسم الاشتراكات، وستصلكم أعداد المجلة بانتظام، إن شاء الله.

قافلة القرّاء

نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش مواضيع طرحت في أعداد المجلة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قراء القافلة مدعوون للمساهمة في هذه المناقشات على أن تكون كلمات المشاركة ما بين 300 و 600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة لذلك.

حول

الليل لغة وشعراً

طالعت واستمتعت بقراءة ملف الليل بالعدد الثالث - المجلد 54، من القافلة. ويسعدني إضافة بعض النقاط الخاصة بالليل في الشعر العربي.

بداية القول: الليل واحد بمعنى جمع، وواحدته «ليلة». وقد جمع على «ليال». فزادوا فيها الياء لتصبح «ليالي» على غير قياس كما فعلوا في «أهل» فصيّروها «أهالي». كما يجمع «ليل» على «ليائل» وليلة على «ليلات» ويقال «ليل» و «ليلة ليلاء» وأصلها «ليلاة» للتعبير عن شدة الظلمة. كما يقال «ليل لائل» للتأكيد على شدة ظلمته. ويقال عامل «ملاية» أي بالليلة، مثل قولهم «مياومة» أي باليوم.

وقد واجه الشاعر العربي الليل قديماً وحديثاً. فقد مثّل الليل تارة رمزاً للخير وتارة للشر. فالليل جزء من الحياة، وجمع الليل مع النار في ثنائية متلازمة. فقد كانت النار أداة يتغلب بها على الليل الذي يمثل المتاعب والمعاناة. فالليل رمز الفرقة والظلمة وكان على الشاعر العربي أن يوقد النار كي يبدد هذه الظلمة وأطلق عليها «نار القرى». يقول الشاعر الجاهلي:

ومستنبح يخشى القواء ودونه
من الليل باباً ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها
زجرتُ كلابي أن يهرّ عقورها

ولم يتوقف الأمر عند نار القرى وإنما هناك نار الحرب التي كان يشعلها ليلاً للإنقاذ ودفع الخطر والموت. وتختلف نار الحرب عن نار القرى في أنها فعل جماعي تقوم به القبيلة جميعاً، أما نار القرى فيقوم بإشعالها الفرد الكريم.

كان العرب إذا توقعوا خطراً وأرادوا الاجتماع أو الحرب أوقدوا ناراً على جبلهم ليلاً كي يُبلّغ الخبر. يقول الفرزدق:

لولا فوارس تغلب ابنة وائل
سد العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا
نارين أشرفتا على النيران

واختلفت نظرة الشعراء إلى الليل، أعتقد أنه اختلاف الحالة النفسية الوقتية للشاعر. فابن رشيد القيروان يرى أن ليل العاشق ممتد بالقلق والهم، لذا نراه يقول:

يا ليل! الصب متى غده؟
أقيام الساعة موعده؟

ويرى أبو العلاء المعري الليل في صورة مختلفة جميلة، إذ يقول:

عللاني فإن بيض الأماني
فنيت والظلام ليس بفان
رب ليل كأنه الصبح في الحسن
وإن كان أسود الطيلسان

أما ليل الشاعر السوري عمر أبو ريشة، ليل طيب جميل مليء بالسهر والسرور والمتعة، حيث نراه يقول:

عمر ونعم ياخيام تلفني
صوب العبير ويا نجوم تسامري
نثراً شفوف الليل حول جدائل
لمعانق وسواعد لمخاصري
يا طيب ما اختصرا رسالات الهوا
فيه ويا طيب الصدى المتطاير

أما الشاعر عبدالوهاب البياتي فإنه يصور الليل بأنه مقبرة الصباح، فيقول:

ودفنت في جنح الظلام صباحي
وحطمت من فزع الرؤى مصباحي
ونهزت في نهر الظلام مشاعري
حتى تخضب ماؤه بجراحي

وعن الليل يملأ الشاعر الفلسطيني محمود درويش قصائده بمشاعر مختلفة متضاربة، من ذلك قوله:

وأنا أنظر خلفي في هذا الليل
في أوراق الأشجار،
وفي أوراق العمر،
وأحدق في ذاكرة الماء وفي ذاكرة الرمل
لا أبصر في هذا الليل
إلا آخر هذا الليل
دقّات عمري تقضم عمري ثانية ثانية
وتقصّر أيضاً عمر الليل.

أما الشاعر السعودي غازي القصيبي فإنه يرى الليل باباً من أبواب الحياة يخرج منه الإعياء والفتور والملل ويدخله عالم الأحلام والحب والسرور، فنراه يقول في قصيدته «الفجر الأحمر»:

كانت تغني الليل..
والليل الخليجي..
وفلاحين مساها اشتعل
وكنت في الليل الخليجي أحس أنني
أخرج من عباءة الإعياء والفتور والملل
وأرتمي بين يديها موجة من الجذل

صلاح عبدالستار الشهاوي
طنطا - مصر
حول ملف «الليل»، القافلة عدد مايو-يونيو 2005



حول

الكيمياء الخضراء

لقد اطلّعت على مقال الكيمياء الخضراء المنشور في العدد 4 المجلد 54 ووجدت أن المقال لم يكن دقيقاً في تعريف مفهوم الكيمياء الخضراء، حيث إن هناك اثني عشر مبدأ متعارف عليها عالمياً عند استخدام مصطلح الكيمياء الخضراء، ليس بالضرورة أن أية صناعة ذات طابع سلمي على البيئة تعتبر من تطبيقات الكيمياء الخضراء ما لم تستوف هذه الصناعة جميع المبادئ الاثني عشر. ولهذا فأنا أرسل إليكم هذه المبادئ الاثني عشر لمفهوم الكيمياء الخضراء كتعقيب على المقال المنشور.

فما يُقصد بالكيمياء الخضراء هو استخدام علم الكيمياء لإنتاج مواد كيميائية إما أنها لا تؤثر على البيئة، أو ذات تأثير بسيط ومحدود. تستخدم كلمة الكيمياء الخضراء على الصناعات والمنتجات الممتثلة للمبادئ الاثني عشر التي تُشكل الإطار العام لمفهوم الكيمياء، وهذه المبادئ هي:

1 - تجنّب إنتاج النفايات، وذلك بتصميم عمليات تصنيع (تخليق Synthesis) كيميائية لا ينتج عنها مواد جانبية غير مرغوب فيها، حيث إن إنتاج مواد جانبية غير مرغوب فيها سوف يتطلب إيجاد طرق معالجة لها.

2 - تصميم مركبات ومنتجات كيميائية أكثر أماناً وفعّالة، ولكن في الوقت ذاته ذات درجة قليلة أو معدومة السمّية.

3 - تصميم عمليات كيميائية (Chemical Processes) صناعية لا تنتج مواد ضارة لا في الإنسان ولا في البيئة.

4 - استخدام مواد أولية - وهي ما تعرف باللقيم (Feedstock) تدخل في الصناعة وهذه المواد يُشترط ألاّ تكون مواد قابلة للاستنزاف (مثل البترول ومشتقاته)، أو الخامات المأخوذة من صناعة التعدين، بل يجب أن تكون هذه المواد الأولية من الخامات المتجدّدة مثل الوقود الحيوي المأخوذ من السكر.

5 - استخدام المواد الحفّازة (Catalyst) في الصناعات الكيميائية بدلاً من استخدام المواد الكيميائية بالكميات المسبقة القياس وذلك باستخدام طريقة اتحاد العناصر (Stoichiometry) لمعرفة الكميات المطلوبة لإنتاج مادة ما. حيث يمكن بواسطة هذه الحفّازات إحداث عدد من التفاعلات في آن واحد وبكمّية أقل من المواد الكيميائية الداخلة في التفاعل.

6 - تجنّب طرق الاشتقاق في عمليات التصنيع الكيميائي. إن إنتاج المادة (س) من المادة (ص) مباشرةً هو أكثر أماناً من تحويل المادة (س) إلى (ب) ومن ثم تحويل المادة (ب) إلى المنتج (ص). بمعنى آخر يجب الإيجاز في عدد العمليات - الخطوات - اللازمة لإنتاج مادة ما.

7 - الاقتصاد في الذرّة: وذلك بتصميم عمليات تصنيع - تخليق - كيميائية تعمل على استخدام معظم - إن لم يكن جميع - الذرّات الداخلة في التفاعل لإنتاج المادة المطلوبة، وبهذه الطريقة يمكن التقليل من إنتاج نفايات أثناء التصنيع.

8 - الإرشاد في استخدام المذيبات أو استخدام مذيبات أكثر أماناً، كذلك استخدام ظروف تفاعل أكثر أماناً.

9 - الزيادة في فعالية الطاقة: وذلك بابتكار تفاعلات كيميائية تجري تحت الظروف العادية كدرجة حرارة الغرفة والضغط الجوي واحد.

10 - إنتاج مواد استهلاكية يمكن لها أن تتحلّل تحت الظروف المحيطة دون أن ينتج عن تحلّلها مواد ضارة بالبيئة. مثال ذلك إنتاج نوع من اللدائن - البلاستيك - الذي يتحلّل عند دفنه في التراب وذلك بسبب وجود البكتريا في التربة.

11 - إيجاد طرق تحليل مباشرة تعطي معلومات عن تراكيز وأنواع المواد الكيميائية أثناء عملية التصنيع، دون الحاجة إلى أخذ عينة للمختبر للتحليل، وتكمن أهمية معرفة خواص المادة بشكل مباشر أثناء التصنيع في أن المواد تحت الصناعة يمكن مراقبتها وبالتالي اتخاذ القرار المناسب وبسرعة من قبل مهندسي المعمل وبالتالي التقليل من الحصول على مواد غير مرغوب فيها ومؤثرة في البيئة، أي التقليل من إنتاج النفايات .

12 - التقليل من إنتاج مواد كيميائية أو استهلاك مواد كيميائية في الصناعة، هذه المواد المنتجة أو الداخلة في الصناعة لديها المقدرة أو الاحتمالية على أن تُحدث اضطراباً في سلامة المعمل أو سلامة الأفراد.

خالد الغامدي
رأس تنورة
حول موضوع «الكيمياء الخضراء»، القافلة عدد يوليو-أغسطس 2005

وردنا



- **العرب وثورة المعلومات**

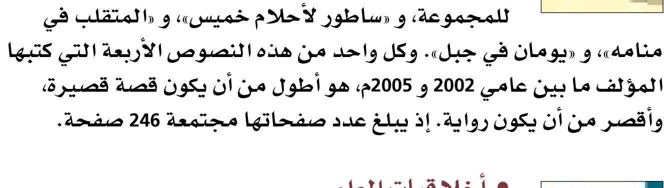
صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، في إطار «سلسلة كتب المستقبل العربي». ويتضمن مجموعة أبحاث أعدها كل من أسامة الخولي، أنطوان زحلان، جمال الزين، حسن الشريف، زايري بلقاسم، طوباش علي، علي الأعسم، فؤاد الرحيمي، ونايف عبيد.

يتضمن هذا الكتاب مطالعة لثورة المعلومات ومختلف ما تنطوي عليه من آثار وأيضاً للعلاقة بين الاقتصاد والاجتماع والمعرفة في البلاد العربية وبين تلك الثورة. وهو يضيف الكثير إلى ما سبق ونشره المركز من كتب ودراسات عن العولمة والثورة الإعلامية الجديدة والتقنيات المعاصرة.

- **مركز حمد الجاسر الثقافي**

كتيب من 32 صفحة أصدره مركز حمد الجاسر الثقافي في الرياض للتعريف، ويتضمن ملخصاً عن السير الشخصية لستة وعشرين شخصية من رجال الأدب والرأي والثقافة يكوّنون مجلس أمناء المؤسسة الذي يتولى رئاستها الفخرية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

ومعلوم بأن المؤسسة ترعى المجالات التي عني بها الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، من أدب وتاريخ ولغة عربية وجغرافيا وصحافة وتعليم وطباعة ومخطوطات وأنساب.



- **الأسطح والسراديب**

مجموعة نصوص قصصية طويلة بقلم الأديب السعودي عبدالواحد الأنصاري، صدرت مؤخراً عن دار المفردات للنشر والتوزيع في الرياض. يتضمن هذا الكتاب أربعة نصوص هي: «الأسطح والسراديب» التي أعطت اسمها للمجموعة، و «ساطور لأحلام خميس»، و «المتقلب في منامه»، و «يومان في جبل». وكل واحد من هذه النصوص الأربعة التي كتبها المؤلف ما بين عامي 2002 و 2005م، هو أطول من أن يكون قصة قصيرة، وأقصر من أن يكون رواية. إذ يبلغ عدد صفحاتها مجتمعة 246 صفحة.

- **أخلاقيات العلم**

من مواضيع الساعة في العالم بأسره، يتناوله هذا الكتاب في إطار يجمع بين العلم والفلسفة، على مستوى الفكر وعلى مستوى الواقع، يتشابك فيه الساسة والعسكريون، والاقتصاديون والقانونيون، والتربويون ورجال الدين، والمعنيون بالبيئة وغيرهم. يقع هذا الكتاب الصادر عن سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية في 300 صفحة وهو من تأليف ديفيد ب. رزنيك، ترجمة الدكتور عبدالنور عبدالمنعم ومراجعة الدكتورة يمنى طريف الخولي. وهو معالجة فلسفية لأخلاقيات العلم، متكاملة منهاجاً وتطبيقاً، أتت بأسلوب سلس ومشوق نجح في تحاشي الغوص في متاهات فلسفية أو علمية يصعب فهمها على غير المتخصصين.

آسيا تنمو.. كيف تلبي حاجتها من النفط؟



يعد النمو الاقتصادي في منطقة آسيا والمحيط الهادي من العوامل الرئيسة المؤثرة في أسواق الطاقة واشتداد الطلب عليها حالياً.
وتُجمع المؤشرات على استمرار الزيادة في الطلب على المدى البعيد، الأمر الذي يطرح سؤالاً مهماً: من أين ستأتي الإمدادات الملبية لهذه الاحتياجات المتعاظمة؟
تيد بروكيش وقريق نوكس يعرضان دور أرامكو السعودية في تلبية الطلب المتزايد على الطاقة في أسواق الشرق الأقصى حاضراً ومستقبلاً.

تتوقع وكالة الطاقة الدولية أن يرتفع الطلب على الزيت الخام في الصين من 5 ملايين برميل حالياً إلى 12 مليوناً بحلول العام 2030م، فيما سيزيد الطلب في دول شرق آسيا خلال ربع القرن القادم لأكثر من ضعفين ليصل إلى 9.4 مليون برميل في اليوم. فكيف سيتم تأمين هذه الاحتياجات؟ ومن أين؟

يقول الأستاذ عبد العزيز الخيال، نائب الرئيس الأعلى للتكرير والتسويق والأعمال الدولية في أرامكو السعودية: «إن الطلب يتزايد في آسيا، وستبقى الدول الآسيوية معتمدة على الطاقة المستوردة، وخصوصاً الزيت، من منطقة الشرق الأوسط. وستكون معدلات الزيادة في الطلب كبيرة ومطردة. فبالنظر إلى الصين ومعدل استهلاكها للسلع والبضائع المصنعة، نجد الكثير من المؤشرات على زيادة هذه المعدلات لتواكب نظيراتها في العالم المتقدم. وعليه، فهم في حاجة للحصول على المواد الخام والطاقة الضرورية لذلك».

هناك اعتماد آسيوي متزايد على منطقة الشرق الأوسط والمملكة بالذات. وهذه النقلة تتطلب جهداً كبيراً من الطرفين

ويضيف الخيال الذي زار مؤخراً عدداً من الشركات العائدة لأرامكو السعودية ومشروعاتها المشتركة في آسيا: «سنعمل من جانبنا على الوفاء بهذا الطلب المتزايد. فنحن نعلم أننا لا نستطيع أن نكون المصدر الوحيد للطاقة، لكننا نريد أن نكون المصدر الأفضل، ولسوف يتحقق لنا ذلك بإذن الله».

وكان الأستاذ أحمد الصاحب، نائب الرئيس الإقليمي لمنطقة الصين في شركة البترول السعودي المحدودة، من الذين شهدوا على الأرض القفزة التنموية الهائلة للصين، بالإضافة إلى تغير الأفكار والمفاهيم الناتج عنها. ويتذكر الصاحب البداية بقوله: «عندما وصلت هنا في عام 1998م، كانت واردات الصين محدودة جداً، ولم تكن فكرة تأمين الإمدادات منتشرة بين شركات الزيت التي قمنا بزيارتها. وما شهدناه هو نقلة نوعية، لا في المتطلبات التي فرضتها التنمية الاقتصادية الهائلة فحسب، بل في طريقة التفكير كذلك. هناك اعتماد حالياً على منطقة الشرق الأوسط، والمملكة بالذات، كمصدر موثوق للإمدادات. وقد تطلبت هذه النقلة النوعية في التفكير جهداً كبيراً من الجانبين حيث تم عقد الكثير من جلسات المشاورة وتبادل الأفكار».

زيادة الطاقة الإنتاجية

يعني ذلك، بالنسبة لأرامكو السعودية، زيادة التركيز على آسيا بوصفها المنطقة التي تتميز بمجموعة من أسواق الطاقة سريعة النمو في الصين والهند والدول ذات الاقتصاديات الأكثر تقدماً مثل اليابان التي تواصل اعتمادها بشدة على الخام السعودي.

وفي الوقت ذاته، تقوم الشركة بإطلاق مشروعات من شأنها زيادة الطاقة الإنتاجية اليومية في الشركة، مما يساعد في تلبية الطلب المتزايد مع استمرار عمل الشركة على الحفاظ على طاقة إنتاجية احتياطية تساعد على استقرار الأسواق العالمية. وتشمل هذه المشروعات زيادة الإنتاج في حقل حرض بمقدار 300,000 برميل في اليوم من الزيت العربي الخفيف بدءاً من عام 2006م. أما في عام 2007م، فستتم إضافة 500,000 برميل في اليوم من الزيت العربي الخفيف عن طريق مشروع حقل الخرسانية. وفي عام 2008م، سيتم إنتاج 300,000 برميل في اليوم من الزيوت الأخف عن طريق توسعة الطاقة الإنتاجية في حقل الشيبة وفي المنطقة الوسطى. أما في عام 2009م فمن المخطط أن تتم إضافة زيادة ضخمة مقدارها 1.2 مليون برميل في اليوم من الزيت العربي الخفيف في حقل خريص.

تمتين العلاقات

ويأتي بناء العلاقات القوية والمحافظة عليها كعنصر مهم آخر لأعمال الشركة في آسيا. وفي هذا الإطار، التقى الخيال في جولته الأخيرة مسؤولين رفيعي المستوى في الصين مثل جيا زي تاي، نائب مدير البرلمان الشعبي لمقاطعة فوجيان ووانق جيمنق نائب رئيس سينوبك، أكبر الشركات الصينية في مجال البترول والكيميائيات.

كما التقى الخيال في طوكيو كبار المسؤولين التنفيذيين في شركة رويال دتش/شل، وشوا شل، ونيبون أويل، وجابان إنرجي، وسوميتومو كيميكال.

وأخيراً، حضر الخيال الاجتماعات المعتادة لمجلس الإدارة واللجنة التنفيذية لإس — أويل كوربوريشن في كوريا، ثم ترأس حفل إطلاق اسم «النصل ستار» على إحدى ناقلات المنتجات الجديدة العائدة لشركة فيلا البحرية العالمية المحدودة.

ويرى الخيال من واقع الزيارات التي قام بها أن أعمال أرامكو السعودية في آسيا تمثل عنصراً أساساً في وفائها بالتزاماتها كمورد موثوق للطاقة الهيدروكربونية وتلبية الأساس الاستراتيجي للشركة المتمثل في زيادة الإيرادات إلى أقصى درجة.

ويقول: «لقد كانت الأسواق الآسيوية وستظل من بين الأسواق الأعلى ربحية في العالم، كما أننا حريصون على التواجد في مناطق الأسواق الرئيسة الثلاث في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية لما لهذه الأسواق من أهمية استراتيجية، مع زيادة نسبة صادراتنا إلى الأسواق الآسيوية لتلبية الطلب المتزايد هناك».

ويؤكد الأستاذ يحيى الزيد، نائب الرئيس للتسويق وتخطيط الإمدادات، على الدرجة الكبيرة لالتزام أرامكو السعودية، حيث يقول: «ستحافظ أرامكو السعودية على موقعها كمورد عالمي موثوق يقوم بتلبية الطلب على الطاقة حول العالم. والشرق الأقصى، بالطبع، هو أحد أسواقنا الطبيعية نظراً لقربه الجغرافي منا وللنمو الاقتصادي المطرد في الصين والهند».

وحسب الخيال، فإن سياسة الشركة تجاه هذه المنطقة الحيوية تتعدى الاعتبارات قصيرة المدى، فيقول: «لقد شرعنا في إقامة مجموعة من المشروعات المشتركة في آسيا للحصول على منافذ بيع مكرسة لإنتاجنا من الزيت الخام لضمان تسويقه على المدى البعيد».



الأستاذ عبدالله جمعة يتوسط كبار المسؤولين في شركة «نيبون أويل» وخالد الفالح (أقصى اليمين) وأحمد السبيعي (أقصى اليسار)



دخول مبكر

وكانت أرامكو السعودية قد بدأت تتجه صوب القارة الآسيوية في عام 1991م، عندما قامت بشراء حصة قدرها 35 في المئة في سانق يونق أويل ريفايننق كومباني، المعروفة حالياً باسم إس — أويل في كوريا. ثم تبع ذلك شراء حصة قدرها 40 في المئة في شركة بترون في الفلبين. وتسعى الشركة حالياً لإقامة مشروع مشترك للتكرير والبتروكيميائيات في مقاطعة فوجيان في الصين مع شركات تابعة لسينوبك وإكسون موبيل.

وفي هذا الصدد، يقول الأستاذ عبدالله السبيل، الممثل الأعلى في هونج كونج لشركة أرامكو فيما وراء البحار: «يمثل مشروع فوجيان نقلة استراتيجية إلى سوق مربح ومنطقة ذات طلب مرتفع. يعد توقيتنا جيداً نظراً لأننا حزنا قصب السبق في الصين لمثل هذه المشروعات، وهو ما قاد إلى علاقات قوية مع شركة سينوبك».

ويوافق الصاحب على أهمية الدخول المبكر في الصين، حيث يقول: «كوننا إحدى أوائل شركات الزيت الأجنبية الرئيسة في الصين، وفي تركيزنا بالأخص على مجالات التكرير والتوزيع، فقد تمكنا من تأسيس علاقات وثيقة مع جميع الشركات الصينية».

كما قامت الشركة في العام الماضي أيضاً بتأسيس شراكة جديدة في أحد الأسواق الآسيوية الرئيسة بشراء حصة قدرها 10 في المئة في شركة شوا شل سيكيو ك. ك اليابانية، وعقد اتفاقية لتوريد نحو 300,000 برميل في اليوم من الزيت الخام السعودي لهذه الشركة. ومن المتوقع زيادة حصة أرامكو السعودية في شوا شل لتصل إلى نحو 15 في المئة خلال هذا العام.

وفي عام 2004م، قامت أرامكو السعودية بالتوقيع على اتفاقية مع سوميتومو كيميكال، إحدى شركات التصنيع البتروكيميائي الرئيسة في اليابان، لدراسة إمكانية تحويل مصفاة القطف في رابغ إلى مجمع عالمي للبتروكيميائيات.

وحسبما صرح الخيال، تجري أرامكو السعودية حالياً مفاوضات بشأن مشروع مشترك آخر مع سينوبك لبناء مصفاة جديدة بطاقة 200 ألف برميل في اليوم في قينقداو الواقعة في شرق الصين على البحر الأصفر. كما إن سينوبك قد دخلت في شراكة مع أرامكو السعودية للتنقيب عن الغاز غير المرافق وإنتاجه في منطقة الربع الخالي بالمملكة.

وقد كان لهذه الاتفاقيات أثرها العميق على وضع الشركة في المنطقة، طبقاً للأستاذ أحمد السبيعي مدير عام مكتب شركة البترول السعودي المحدودة في طوكيو. الذي يضيف: « نتيجة للشراكات التي عقدناها مع شركتي شوا شل وسوميتومو كيميكال، بالإضافة إلى علاقاتنا المستمرة مع الشركات الرائدة الأخرى في اليابان وغيرها من دول الشرق الأقصى، فقد أوجدنا ثقة غير مسبوقة في هذا السوق. وقد مكننا ذلك من تحقيق معدلات مبيعات غير مسبوقة في هذه المنطقة. وبالإضافة إلى كوننا المورد الرئيس لكل من الصين وكوريا وتايوان، فإننا الآن المورد الرئيس للزيت الخام إلى اليابان أيضاً».

شمال آسيا (الصين، كوريا الجنوبية واليابان) يستهلك أكثر من جنوبها. ولكن لا بد من الاستعداد لمتطلبات الهند والنمور الآسيوية

بين شمال آسيا وجنوبها

وعلى الرغم من أن الحديث ينصبُّ حول «النمو الاقتصادي في آسيا» إلا أن اختلافات كبيرة في معدلات هذا النمو وأنماط الاستهلاك ومراحل التطور في المنطقة تبدو ظاهرة. وهو ما يؤكده الأستاذ عادل الطيب، المدير التنفيذي لتطوير وتنسيق المشروعات المشتركة، الذي يقول: «تنقسم آسيا، في رأيي، إلى منطقتين مختلفتين هما الشمال والجنوب. حيث يبلغ استهلاك الزيت الخام في الشمال 12 مليون برميل في اليوم، بينما يبلغ في الجنوب، شاملاً الهند، حوالي 8 ملايين برميل في اليوم. فقد انصب تركيزنا حتى الآن على منطقة الشمال، حيث لدينا مشروعات مشتركة في كوريا واليابان، ونسعى الآن لعقد مشروعين مشتركين في الصين. وتعد أرامكو السعودية المورد الأول للزيت الخام إلى هذه الأسواق الثلاثة، ولكن إلى جانب كونها المورد المفضل، فإن أرامكو السعودية تعد المستثمر الأفضل أيضاً». ويضيف الطيب: «أما في الجنوب، فإن المشروع المشترك الوحيد حتى الآن هو مع شركة بترون في الفلبين. لكننا مستمرون في مراقبة التطورات في هذه المنطقة من آسيا، بالإضافة إلى الشمال التي تستحوذ على غالبية الاستهلاك في الوقت الحاضر».

وطبقاً للأستاذ علي بخش، نائب الرئيس الإقليمي لشركة البترول السعودي المحدودة في سنغافورة، فإن الإمكانية التنموية في منطقة الجنوب من آسيا هي التي تدعو للاهتمام. ويقول في هذا الصدد: «إن عدداً من هذه الدول هو في عداد «النمور الآسيوية»، التي يتوقع ازدياد طلبها على الطاقة. فمعظم هذه الدول تكون أساساً ذات طلب منخفض على الطاقة، إلا أنها مع استمرار التنمية الاقتصادية لديها ستمثل أسواقاً تنموية كبيرة بالنسبة لنا».

وبالطبع، تعد الهند إحدى هذه الأسواق النامية، لذلك يقول بخش: «نركز على الهند كسوق مليء بالفرص الكبيرة سواء بزيادة نسبة الصادرات إليها أو بإقامة علاقات ومشروعات مشتركة فيها. إنها سوق استراتيجية بالنسبة لنا نظراً لقربها الجغرافي وأوجه التشابه من حيث الثقافة والعلاقات المتميزة جداً بين المملكة والهند، حيث ترى الهند في المملكة مصدراً رئيساً للبترول نظراً للقرب الجغرافي بين الدولتين».

استراتيجية بعيدة المدى

ويؤكد الخيال على أن اهتمام الشركة بتأسيس مشروعات مشتركة في آسيا ينطوي على طبيعة استراتيجية بعيدة المدى. ويقول: «إننا نريد أن نجعل هذه الشراكات أحد مرتكزاتنا الاستراتيجية على المدى البعيد، ولذا فقد أسسنا هذه المشروعات المشتركة ونبحث بشكل دائم عن فرص جيدة في الأسواق الواعدة مثل الصين والهند. كما توفر هذه المشروعات المشتركة الطاقة واللقيم اللازمين لصناعة البتروكيميائيات.

والجدير بالذكر أن هذه المشروعات تعود بالعديد من الفوائد على الاقتصاد المحلي في المملكة إلى جانب دعم إيرادات المملكة وتوفير المزيد من أمن الطاقة للمستهلكين الآسيويين. فمن المتوقع، على سبيل المثال، أن يبلغ إنتاج مشروع البتروكيميائيات مع سوميتومو في رابغ 2.2 مليون طن من الأوليفنات إلى جانب إنتاج كميات كبيرة من البنزين والمنتجات المكررة الأخرى، وما ينطوي على ذلك من فرص استثمارية لأطراف أخرى في مشاريع المنافع والبنية الأساسية ذات الصلة.

وتعد سوميتومو مثالاً جيداً لنوعية المستثمر الذي نتطلع إليه ونأمل في مواصلة العمل معه».

الزيت الخام المستورد

الصين	2,400
اليابان	4,200
كوريا الجنوبية	2,150

حصة أرامكو السعودية

الصين	453
اليابان	1,148
كوريا الجنوبية	688

نسبة حصة أرامكو السعودية من الواردات

الصين	19%
اليابان	27%
كوريا الجنوبية	32%

اليابان
كوريا الجنوبية
الصين

سوق آسيا الشمالية اليوم وحصة أرامكو السعودية من مجمل وارداتها



الطاقة في سوق آسيا.. أرامكو السعودية المورِّد الأول والأفضل

ويشير الخيال كذلك إلى أن المشروعات المحلية تولي اهتماماً كبيراً لآسيا، فقد دعيت بعض الشركات الآسيوية للمشاركة في هذه المشروعات. كما أجرت دائرة تطوير الأعمال الجديدة في أرامكو السعودية مفاوضات مشجعة مع المستثمرين الواعدين في الشرق الأقصى لمعرفة قدرتهم على الوفاء بالأهداف التجارية والاستراتيجية لهذه المشروعات، ويوجد من بين هؤلاء المستثمرين من هو قادر على الوفاء بذلك. ويضيف أن جولته قد أكدت من جديد على أن أرامكو السعودية تحظى بتقدير كبير في دوائر الطاقة الآسيوية، حيث لم يسمع أثناء رحلته إلا كل إطراء وثناء على الشركة وموظفيها.

«ولربما كان لهذا المديح والإطراء تبعاته في بعض الأحيان، لأنه يدفعنا للبحث عن وسائل متابعة التحسين والارتقاء. وتجيء سمعتنا الطيبة تلك ثمرة لسنوات عديدة من العمل الجاد والإخلاص. فقد دأبنا على التعامل مع بعض هذه الشركات لعقود عديدة وقد توارثت الأجيال العاملة هناك من رؤسائها احترامها وتقديرها لأرامكو السعودية. كما كان لكثير من موظفي الشركة الفضل في اكتساب هذه السمعة الطيبة. ولا تنظر هذه الشركات إلى علاقاتها مع أرامكو السعودية على أنها علاقات مفيدة من الناحية التجارية فحسب بل تعتبرها مهمة من الناحية الاستراتيجية كذلك، وهو ما يدعونا إلى الفخر».

وعلى صعيد آخر، فإن قطاع التكرير والتسويق والأعمال الدولية يرعى 25 طالباً من الدارسين في الصين و12 في كوريا وأربعة في اليابان. ويؤكد السبيعي على ترقبه الكبير للأثر الذي سيتركه هؤلاء الطلاب في المستقبل. ويقول في هذا الشأن: «إن دور هؤلاء الطلاب في المنطقة أساس لمد الجسور الثقافية والاجتماعية والتقنية بين حضارتنا والحضارة الآسيوية، مما سيمكننا من تأسيس علاقات أكثر قوة ومتانة في المستقبل. وبغض النظر عن مدى ضخامة إمداداتنا، فإن كوننا مورداً رئيساً للطاقة لا يكفي في حد ذاته لتحقيق أهدافنا بعيدة المدى في آسيا، وإنما يأتي ذلك عن طريق الاستثمار الدائم والمستمر في قوتنا العاملة وشراكاتنا في المنطقة».

فمع تزايد الطلب الآسيوي على الطاقة، تزداد أهمية الدور الذي تقوم به أرامكو السعودية كمورد موثوق للطاقة. كما لا تعتمد الشركة في أدائها لهذا الدور على قاعدتها الضخمة من الاحتياطات والبنية الأساسية المتطورة فحسب، بل وعلى التزامها التام والعلاقات الوثيقة المتبادلة التي أرستها أرامكو السعودية في هذه المنطقة.

صور الموضوع: أرامكو السعودية



الهجوم الشعبي على الأسهم

أدى الهجوم الشعبي على تداول الأسهم السعودية إلى ظهور حالة لافتة للنظر بخصوصيتها وحدتها في مختلف فئات المجتمع، حيث أعيد ترتيب الأولويات والمصالح اليومية والمعيشية بناءً على تحركات سوق الأسهم صعوداً أو هبوطاً.

وهنا رأيان لخبيرين اقتصاديين، يفسران أسباب هذا الاكتساح الشعبي للبورصة، ويحللان أبعاده ونتائجه، ويسديان النصائح إلى صغار المستثمرين. وهما يتفقان حتى حدود التطابق على بعض النقاط، ويتكاملان في معالجة جوانب أخرى.

1 الطفرة والمخاطر على المستثمر الصغير..

مطشر المرشد
مستشار مالي وعضو جمعية الاقتصاد السعودية

حقق مؤشر تداول الأسهم السعودية (تاسي) على مر السنوات الثلاث الماضية نمواً في الأسعار فاق 400 في المئة. وكان الهجوم الشعبي على دخول سوق الأسهم لتحقيق مكاسب مادية سريعة، واستمرار قلة عدد الشركات المدرجة (75 شركة) من بين أهم الأسباب التي ساعدت على استمرار ارتفاع أسعار الأسهم. فقد شهدت الفترة ما بين عام 2003م وبداية العام الحالي ارتفاعاً حاداً لعدد المتداولين في سوق الأسهم، إذ قفز هذا العدد من 46 ألفاً إلى ما يقارب المليون!

البداية والأسباب

نستطيع القول بأن شرارة البداية لهذا الهجوم الشعبي على الأسهم كانت عندما طرحت الدولة 30 في المئة من حصتها في شركة الاتصالات السعودية للاكتتاب العام، وبسعر تشجيعي لم يزد على 170 ريالاً للسهم.

بالطبع، كانت هناك عوامل مهمة ساعدت على توفير المناخ المناسب لحدوث طفرة في سوق الأسهم السعودية، وتتمثل بانخفاض أسعار الفائدة وارتفاع أسعار النفط، وبقاء رءوس الأموال السعودية في الداخل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لتصل نسب السيولة إلى مستويات تاريخية.

إلى ذلك، لا ننسى محدودية القنوات الاستثمارية في سوقي العقارات والأسهم، ولا دور القطاع المصرفي الذي واجه الارتفاع المفاجئ في نسب السيولة بشن حملة تسويقية مركزة لتشجيع الأفراد على الاقتراض بشراهة، مقدماً لهم التسهيلات للمتاجرة في سوق الأسهم.

وبالرغم من محدودية الخبرة والمعرفة لدى السواد الأعظم ممن تقدموا بطلبات للحصول على التمويل بغرض التداول في الأسهم، إلا أن البنوك قدمت لهم تسهيلات بتغطية كبيرة قد تصل إلى أكثر من ثلاثة أضعاف.

وبالطبع، فقد حققت البنوك إيرادات ضخمة عبر خدمات الوساطة، مما ساعد على استمرار ارتفاع الأرباح السنوية للقطاع المصرفي بمعدل 40 في المئة منذ نهاية عام 2003م.

وقفة تأمل في المخاطر

إن الوضع الحالي في سوق الأسهم السعودية يحتاج إلى وقفة صادقة وتقييم على أعلى درجة من الحذر؛ لأن الضحايا من صغار المدخرين يزدادون يوماً بعد يوم. وما يزيد الطين بلة أن بعضهم يقوم برهن أو بيع منزله من أجل دخول معترك البورصة. وبما أن السوق لا تزال غير منظمة بالشكل المناسب ويسيطر عليها كبار المتعاملين وصناديق تديرها البنوك، فإن الخاسر سيبقى هو المستثمر الصغير.

فكما هو معروف، لا تزال البنوك تحتكر وحدها جميع أنشطة السوق المالية. فهي تقدم التسهيلات، وتدير الصناديق الاستثمارية الضخمة، وتقدم في الوقت نفسه السمسرة للجمهور.. فهل في هذا تضارب للمصالح؟

بالعودة إلى صغار المستثمرين، فهم بحاجة إلى شركات وساطة متخصصة، وقادرة على تثقيفهم في هذا المجال. إذ أن أغلبهم لا يستطيع تقييم القوائم المالية أو اتباع التحليلات الفنية لمعرفة التوقيت المناسب لدخول السوق أو الخروج منها.

ولا تقف معاناة المستثمر الصغير عند قلة المعرفة أو الخبرة. بل إنه قد يُستغل عند تنفيذ الصفقات ليصبح آخر من يشتري أو يبيع لأسباب غير معروفة، وقد تكون تقنية، أو من أجل دفع الصغار بأعداد كثيرة نحو صناديق البنوك.. وأيضاً هناك جهد منظم يقوم به أنصاف المحللين وبعض المنتديات لبث الإشاعات، أو لتسويق أسهم شركة معينة، والتغرير بأكبر عدد من صغار المستثمرين لتوجيههم نحو هذا القطاع أو ذاك.

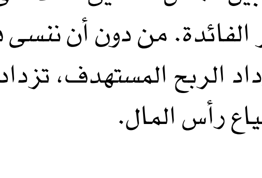
أضف إلى ذلك أن صغار المستثمرين يجدون أنفسهم مجبرين على التعامل بأسهم شركات خاسرة بسبب وصول أسعار معظم الشركات القيادية إلى مستويات مرتفعة جداً (فوق 900 ريال). لذا، قد يكون من الأنسب أن تقوم الجهات المختصة بتجزئة الأسعار الإسمية للأسهم لتصبح ريالاً واحداً بدلاً من خمسين ريالاً، لكي يتم تقسيم السعر السوقي على خمسين، ويتسنى لجميع المتعاملين، صغارهم وكبارهم، الشراء في أية شركة أو قطاع يختارون.

نصائح للحد من المخاطر

ختاماً، لا بد من لفت النظر إلى أن دخول البورصة وشراء الأسهم وبيعها يحمل معه العديد من المخاطر، ويحتاج تركيزاً وبذل الجهد المناسب من أجل اختيار الاستثمار المناسب وتقليص الخسائر المادية. ويستطيع أي شخص كان أن يجازف بمبلغ معين من المال في سوق الأسهم، وقد يحالفه الحظ ويحقق أرباحاً مجزئة. ولكن المهم هو كيف يمكن لهذا الشخص أن يحافظ على أرباحه، ويحقق نمواً مناسباً لمدخراته على المدى الطويل. وهنا نود طرح بعض النقاط المهمة لعلها تفيد المبتدئين وبعض صغار المستثمرين في سوق الأسهم المحلية.

خمس نصائح لا بد من التفكير فيها ملياً لدرء المخاطر، أهمها حسن الاطلاع وعدم المغامرة بكل شيء

أولاً: قبل البدء بعمليات البيع والشراء الفعلية يستحسن أن يقوم المبتدئون بزيارة صالات التداول للتعرف على المصطلحات والعناصر المؤثرة في السوق. كما يفضل أن يتدربوا على الورق لمدة زمنية معينة من خلال اختيار بعض الأسهم ومتابعتها، كما ولو أنهم اشتروها فعلاً.



ثانياً: يجب تحديد مقياس أو هدف معين للأرباح. فقد يكون الهدف على سبيل المثال، تحقيق عائد على الاستثمار يزيد على سعر الفائدة. من دون أن ننسى في الوقت نفسه بأنه كلما ازداد الربح المستهدف، تزداد المخاطر، واحتمالات ضياع رأس المال.

ثالثاً: على الأشخاص المدينين أو الذين تتوجب عليهم أقساط دورية، تلافي المتاجرة بالأسهم. كما يجب تلافي الخطأ الشائع في السوق السعودية، ألا وهو الاستدانة من أجل المضاربة في سوق الأسهم. لأن فوائد ورسوم القروض تتراكم بسرعة وقد تتفاقم المشكلات على المدين في حال هبطت الأسهم التي استدان لشرائها.

رابعاً: يستحسن أن يوفر المستثمر جزءاً من مدخوله الشهري ليستثمره في شراء عدد، ولو قليل، من أسهم شركة ما. ومن خلال تكرار هذا النهج لعدة أشهر، تتكون لديه محفظة استثمارية جيدة.

خامساً: اختيار الأسهم بعناية، من دون تخصيص مبالغ مالية تفوق طاقة المستثمر. فالكل يعلم أنه كلما استطاع المستثمر أن يحتفظ بأسهمه لمدة طويلة، ويتجنب الارتباك خلال التقلبات السعرية الشرسة، كلما زادت فرص الربح.



الأخبار سارة حيناً.. وغير ذلك أحياناً



2 تحول اجتماعي خطير والنجاة للمستثمر الذكي

خضر المرهون
كاتب اقتصادي ومصرفي وعضو الجمعية السعودية للإدارة



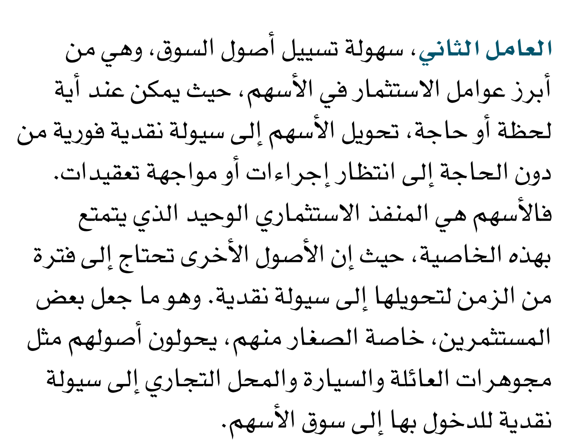
حكى لي أحد الأصدقاء كيف أنه استطاع بفضل الأسهم مضاعفة مدخراته من مائة ألف ريال إلى عشرة أضعافه خلال سنة واحدة واشترى بها منزل العمر، بعد أن كان يخطط لشراء هذا المنزل بعد خمسة عشر عاماً.. ويضيف الصديق أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل أقدمت زوجته على بيع مجوهراتها البسيطة والاتجار بقيمتها في الأسهم لاستكمال فرش منزل العمر، إلا أن حلمها تبخر بعد مرور أقل من ستة أشهر، عندما خسرت معظم قيمة مجوهراتها وسط حالة من الحزن والأسى.. هذه مجرد صورة واحدة مبسطة عن واقع قائم في المجتمع السعودي حالياً، حيث لا حديث غير الأسهم: طلع السهم.. نزل السهم..

ستة عوامل مباشرة

هناك عدة عوامل أسهمت في التحول الاجتماعي الخطير المتمثل في انجراف المجتمع السعودي نحو الاستثمار في الأسهم. ومن أبرزها ستة عوامل مباشرة هي:

العامل الأول، القروض المصرفية، حيث بات معظم موظفي القطاعات الحكومية والشركات الكبرى مدينين للبنوك، سواء بصورة مباشرة عبر الإقراض الشخصي، أو بصورة غير مباشرة عبر الكفالات. وتحول المجتمع بفضل التسهيلات الممنوحة في القروض الشخصية إلى مجتمع مدين بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ سلبية مستقبلية على صعيد تلبية الحاجات الأساسية لأفراد الأسرة.

إن ضرورة تدخل مؤسسة النقد العربي السعودي باعتبارها الجهة المشرفة على القطاع المصرفي لوضع ضوابط إضافية للتمويل الشخصي أصبح أمراً ملحاً، خاصة لبعض القطاعات التي تضم ذوي الرواتب المتوسطة والدنيا، الغارقين في جملة من المديونيات المتفرقة.



العامل الثاني، سهولة تسييل أصول السوق، وهي من أبرز عوامل الاستثمار في الأسهم، حيث يمكن عند أية لحظة أو حاجة، تحويل الأسهم إلى سيولة نقدية فورية من دون الحاجة إلى انتظار إجراءات أو مواجهة تعقيدات. فالأسهم هي المنفذ الاستثماري الوحيد الذي يتمتع بهذه الخاصية، حيث إن الأصول الأخرى تحتاج إلى فترة من الزمن لتحويلها إلى سيولة نقدية. وهو ما جعل بعض المستثمرين، خاصة الصغار منهم، يحولون أصولهم مثل مجوهرات العائلة والسيارة والمحل التجاري إلى سيولة نقدية للدخول بها إلى سوق الأسهم.

العامل الثالث، تحول الأسهم إلى ثقافة شعبية لدى عامة المجتمع السعودي، لدرجة أنها أصبحت عاملاً مشتركاً لقرابة عشرة ملايين مواطن (حجم الاكتتاب في بنك البلاد). فأصبحت حديث الديوانيات والمجالس والمكاتب ومقاعد الجامعة، سواء على المستوى الذكوري أو الأنثوي، وهؤلاء ليسوا بحاجة إلى مراكز أبحاث ودراسات ومستشارين للحصول على نصائحهم. فتكفي جلسة ليلية في إحدى الديوانيات لتقرر توجه عشرات الأشخاص في صباح اليوم التالي في صالات التداول.

العامل الرابع، قلة أو انعدام المنافذ الاستثمارية البديلة، وهي للأسف ظاهرة ملموسة في مجتمعنا. فرغم السيولة العالية المتوافرة، فإن المنافذ الاستثمارية الممكنة لأطياف المجتمع السعودي محدودة جداً، وهي لا تخرج

عن الأسهم والعقار. والأخير بحاجة إلى رأس مال كبير، كما أن أصحابه بدأوا بالميل إلى الأسهم. ولهذا أعتقد أن تفعيل وتسهيل الإجراءات المنظمة لعمل المنشآت الصغيرة، سيسهم في تحويل جزء من المدخرات والسيولة المتوافرة لدى الشرائح المتوسطة إلى هذا القطاع، مما يسهم في إيجاد بيئة استثمارية موازية لها جمهورها، كما أن إضافة الأوراق المالية والصكوك وأوراق الإيداع ذات العائد إلى سوق رأس المال سيرفع من نسبة التوجه إلى الاستثمارات البديلة.

العامل الخامس، تحول «هوامير» السوق إلى حيتان حقيقية تلتهم كل من تصادفه أمامها. فكبار المضاربين المتحكمين بالسوق (وبالمناسبة فإن عددهم محدود) تخلّوا عن ضمائرهم وأخلاقيات العمل والمواطنة، من أجل تحقيق مكاسبهم الشخصية على حساب مصالح صغار المستثمرين الذين لا حول لهم ولا قوة. ويستخدم حيتان السوق عدة منافذ للولوج منها إلى عقول السذّج والمساكين من المستثمرين. فلهم في كل صالة تداول رئيسة طابور خامس مهمته نشر الشائعات عن سهم معين، لتتجه الأنظار نحو هذا السهم أو ذاك، وكذلك منتديات الأسهم وبعض محللي الصحف.

إن تحركات الطابور الخامس لحيتان السوق أدت إلى مآسٍ كبيرة لآلاف الأسر السعودية التي خسرت مدخراتها بسببِ طمع البعض. وللأسف، ما زال صغار المستثمرين المغرر بهم يلهثون ركضاً وراء من تسبب لهم بالخسائر لعل وعسى يعوضوا ما خسروه.

العامل السادس، ضعف أداء الجهات المسؤولة عن سوق الأسهم في زيادة الوعي الاستثماري لدى شرائح المجتمع المختلفة. فالمستثمر ينظر إلى هيئة سوق رأس المال كصمام أمان لحماية مدخراته الاستثمارية، فإن كان هناك سكوت أو عدم تعليق على حدث ما، فإن المستثمر يعتقد بصحة المسيرة، مما يدفعه إلى اتخاذ قرارات استثمارية إضافية قد لا تكون صحيحة. إلا أن هذا العامل بدأ بالتصحيح التدريجي مع قرار هيئة سوق رأس المال الأخير بإيقاف التعامل في سهم إحدى الشركات المتعثرة، وهي خطوة سليمة، وهيئة سوق رأس المال مدعوة أكثر من أي وقت مضى للحصول على ثقة عشرة ملايين مستثمر وحماية مصالحهم.

المستثمر الذكي

من ناحية أخرى، على المستثمر الذكي أن يفكر ألف مرة ومرة قبل اتخاذ قراره الاستثماري.

كما أن عليه تحديد الأسلوب الأمثل لإدارة مدخراته، وهل يصنف نفسه ضمن فئة المستثمرين أم المضاربين؟ وهل الأموال المستثمرة ناتجة عن فائض مالي أم تمويل بنكي أم مساهمة من الأصدقاء والأهل؟

في الحقيقة كانت إجابة معظم الذين تم سؤالهم، تتلخص في أن هذه الأموال نتيجة تمويل ومساهمات عائلية مغلقة، ويرغب أصحابها باستثمارها لفترات قصيرة بأرباح عالية، أي بلغة المستثمرين هي أموال مضاربة.

على المستثمر الذكي أن يفكر ألف مرة ومرة قبل اتخاذ قراره الاستثماري

وللتعريف بهذا النوع الأكثر شيوعاً بين متداولي الأسهم، نذكر أن أسهم المضاربة تتم على أسهم الشركات ذات المراكز المالية الضعيفة وحجمها السوقي صغير وقيمة تداولها مرتفعة. وهناك نسبة لا بأس بها من هذه الشركات متعثرة أو شبه متعثرة ولا توزع أرباحاً على مساهميها، والبعض يوزع أرباحاً متواضعة جداً. وللعلم، فإن نسبة أسهم شركات المضاربة لا تتجاوز 1.6 في المئة من أسهم السوق، بينما قيمتها السوقية لا تزيد على 15 مليار ريال (في نهاية عام 2004م)، في حين تمثل تداولاتها نسبة 30 في المئة من إجمالي تداولات السوق. وفي الغالب فإن قيمة سهم المضاربة صغير نسبياً، وهو ما يشجع صغار المتداولين على شراء هذه الأسهم التي لا تتطلب سوى ثروة صغيرة. وتتأثر أسهم شركات المضاربة بالشائعات بصورة رئيسة، ولها طابور خامس خاص بها منتشر بصورة أساسية في صالات التداول ومنتديات الإنترنت، وأغلب الضحايا الذين نشاهد مآسيهم هم من شريحة مضاربي السوق الصغار.

وقبل أن نختم هذه الكلمة، هناك بعض النصائح السريعة للمستثمرين الراغبين في الاستثمار في أسهم المضاربة: أولاً عليهم قراءة السوق جيداً خاصة فيما يتعلق بالوضع المالي للشركة وحجمها السوقي، ومعرفة معدل دوران السهم، ومكرر الربحية، وعدد مرات الربح الإيجابي خلال فترة زمنية معينة، بالإضافة إلى عدد مرات توزيع الأرباح. والأهم من ذلك هو أن على المضارب الذكي أن يوزع محفظته الاستثمارية بحيث تشمل أسهماً ممتازة ذات عائد طويل الأجل.

أما إذا لم تكن من هؤلاء ولا أولئك، فعليك اتخاذ قرار صائب آخر وهو الاستثمار في صناديق الأسهم السعودية التي تديرها معظم البنوك المحلية والتي أثبتت نجاحها وحققت عوائد عالية مميزة.

صور الموضوع: يوسف الدبيس

اقرأ للأسهم



دليل توجيهي لصغار المستثمرين

مع النشاط الهائل الذي تشهده البورصة في المملكة العربية السعودية وانتشار الاهتمام بالاستثمار في سوق الأسهم في كافة الأوساط الاجتماعية، كان لا بد من أن تظهر جهود محلية تسلط الضوء على عالم البورصة وخصوصياته وتتوجه إلى من يتأهبون للتعامل معه، أو بدأوا التعامل معه بالفعل من دون اطلاع كافٍ على كل جوانبه.

أول الغيث كتاب الباحث أحمد الخليوي بعنوان «خفايا وأسرار الأسهم والاستثمار» الصادر عن دار طويق للنشر والتوزيع في الرياض.

يتضمن هذا الكتاب أحد عشر فصلاً وعشرات العناوين الفرعية التي تحيط بشكل شامل بكل ما يتألف منه عالم الاستثمار والمضاربات في البورصة.

آليات سوق الأسهم، الاستثمار بين الطموح والمغامرة، دور الشائعات، الأسهم في الأسواق السعودية.. ألغاز تبحث عن حلول، النظام الجديد فوائد وإيجابيات، المنتديات والأسهم، تحليل الأسهم بين الربح والخسارة، أهم ثلاث قوائم مالية لأية شركة، نصائح ووصايا لكل مستثمر، شروط وقواعد يلتزم بها المستثمر الناجح، طرق وقف نزيف الخسائر، 70 توصية للمساهمين لتجنب الخسائر وجلب الأرباح، المؤشر وقراءته... هذا غيض من فيض العناوين الفرعية التي تجيب عن تساؤلات كل من يخوض غمار الاستثمار في الأسهم، فتساعده على تشكيل صورة أوضح عن العالم الذي يتعامل معه، وتدعم ثقته بمستقبل مدخراته، ومن المرجح أن تساعده على تجنب الكثير من المخاطر المحيطة بهذه المغامرة.

«خفايا وأسرار الأسهم والاستثمار» كتاب متوافر في مكتبات المملكة، تكمن أهميته في قدرته التنويرية في الوقت الذي يجمع فيه المراقبون على أن كوارث حقيقية حلّت ببعض صغار المستثمرين والمضاربين نتيجة جهلهم بأبسط المعلومات المتعلقة بسوق الأسهم وآلياتها.

قول في مقال

استعادة أخرى.. لذكريات مدارس زمان

كانت «القافلة» قد تناولت في العدد السابق موضوع المدارس العربية أيام زمان، وما كان عليه التعليم قبل جيل أو جيلين. وهنا مساهمة من الأستاذ محمد ابن عبد الرزاق القشعمي، يتناول فيها مزيداً من الأوجه المؤثرة لعلاقة بعض كبار الأدباء السعوديين بالمدارس التي ارتادوها في طفولتهم.

ما زلت أذكر وأنا طفل صغير لم أتجاوز الخامسة من عمري في قريتي «معقرة»، وهي إحدى قرى الثويرات بالزلفي، كيف كنت أمشي حافياً متعثراً في طريقي من عتيّق إلى الصبخة مع أترابي من أبناء عمي، وكيف كان المطوع يستقبلنا بشيء من التندر والسخرية وتقطيب الحاجب، وأحياناً كان يأخذنا جميعاً ليجلسنا على حافة «المنحاة»، وفي طريق السانية التي تنزح الماء من البئر.. المطوع عبدالرحمن الثنيان يسوق البقرة العجفاء، ويدفعها لسحب الماء وهو يقرىء هذا وينهر ذاك.. وكل واحد يحمل لوحاً، يتهجأ ما كتب عليه من حروف، وبعضهم يقرأ إحدى السور القصار.

المطوع يحمل العصا، يهوي بها على البقرة المسكينة، وأحياناً يساعدها في سحب «الرشاء» الذي يحمل «الغرب» ليفرغ ما فيه من ماء في «اللزاء» ليتسرب الماء عبر «الساقي» إلى «الأشراب» الصغيرة التي ترزع بها بعض العلف للماشية أو أحواض النخل.

كان المطوع يصرخ في من يكون قد سكت أو خفت صوته.. وكان الفتى - كاتب هذه السطور- يلهو أو يضعف صوته. وذات مرة، بمجرد أن أحس أن المطوع يكاد أن يضربه بعصاه التي لا تفرق بين ظهر البقرة - السانية- وكتف الطفل، صرخ بأعلى صوته: «يا مطوع يامطوع..» فوقفت العصا في الهواء، وسأله المطوع «وش تبي؟» فرد الطفل: عسى النخل كله حامل.. فضحك المطوع ونجا الطفل من العقوبة.

من تقاليد التخرج

تدفعني هذه الذكرى إلى استعادة علاقة بعض الأدباء بأساتذتهم.. ونبدأ بأستاذنا عبدالكريم الجهيمان، رئيس تحرير «أخبار الظهران» التي كانت أول جريدة تصدر في المنطقة الشرقية قبل أكثر من نصف قرن. سجّل الجهيمان في مذكراته بعض التقاليد التي عايشها عندما ختم القرآن في قريته «غسلة» قرب شقراء.. وهو يرويها على الشكل الآتي: «..يكون أولياء الطفل الذي ختم القرآن قد أعدوا وليمة لجميع الطلاب. كما أنهم يعدون هدية مناسبة للمطوع الذي ختم الطفل كتاب الله على يديه. فإذا انتهت مدة الدراسة الصباحية، خرج الطلاب جميعاً، ومعهم الطفل الذي ختم القرآن وهم يحملونه على أعناقهم، ويرددون مختلف الأناشيد. ويثيرون ضجة في جميع الشوارع التي يمرون بها.. فإذا وقفوا عند باب أهل الطفل رددوا جملة متعارف عليها وهي قولهم «اشروه والا كسرنا عصه وفي العاير نلصه». فيقول أهل الطفل: «شريناه، شريناه..». ثم يفتحون للطلاب الأبواب فيأكلون ويشربون ثم يخرجون إلى جوانب القرية ليمارسوا ألعابهم».

أساتذة من كل نوع

ويقول حسن كتبي، وزير الحج والأوقاف السابق، في كتابه «هذه حياتي»، أن هناك أستاذين تركا في نفسه صدىً حياً زاد من إيمانه وتمسكه بأصول التربية والتعليم عندما أصبح مدرساً بعد ذلك.

فقد كان الواحد منهما يدخل الفصل باسماً كما يدخل الأخ الأكبر على إخوته الصغار..

وقد يبدأ الحديث في أي موضوع من المواضيع العامة قبل أن يبدأ الدرس حتى يهدىء روع الطلبة وتسكن نفوسهم، وقلّما يفاجئ بالأسئلة المحيرة التي تربك ذهن الطلبة. ويسمي في النهاية أحدهما وهو الشيخ حمدي، ويذكر ما أدرك الطلبة من الحزن على فقده ما لا يقل عن إحساس أهله وذويه.

ويذكر أستاذ الحساب كشخص مناقض تماماً لما سبق، إذ أتى الحديث عنه تحت عنوان «جلاد أثيم». إذ ترك أسوأ الأثر في نفوس الطلاب: «فقد كان شاباً ضيق القلب قصير النظر قميء المنظر، مفرطاً في العناية بهندامه، يتشدق في حديثه حتى يمل سامعه من وقع نبرات لفظه.. وكان ينظر إلى الطلبة كجرذان حقيرة لا تستحق منه إلا العنف والاحتقار. وحتى من يحسن في عمله لا يظفر منه بكلمة تشجيع..». وقال إنه لم يقبل على تفهم الحساب إلا بعد أن ترك هذا الشخص المدرسة، رغم أنه كان بحاجة شديدة إلى تعلم الحساب.

اللحم لك والعظم لنا

ونجد عبدالرحمن منيف في «أم النذور» يصف الشيخ زكي عندما اصطحبه أبوه إليه ذات صباح، وأمسك أذنه وجرّه قليلاً وهو يقول للشيخ: مثل أخوته اللحم لك والعظام لنا. فرد عليه الشيخ زكي: لا تخف، اترك لي الأمر وسترى.

وفي المساء، سأل إخوته عن تلك الكلمة الملعونة، سألهم عن اللحم والعظم، فتضاحكوا، «ولم يقولوا سوى كلمات قليلة، فهم منها أن ما عليه إلا الاستعداد، لأن الشيخ سيضربه حتى الموت، ولن يبقى منه سوى كومة من العظام!».

لم ينم تلك الليلة، تمنى الموت.. حزن كثيراً وكاد يبكي.. وتمنى لو يمرض أو لو يمرض الشيخ، ثم تجرأ وتمنى الموت.. ولكن لماذا يحرّض أبوه الناس الغرباء كي يضربوه وهو لم يفعل شيئاً؟.

ويروي أيضاً في «سيرة مدينة» أنه قد التحق بكتّاب الشيخ حافظ في أول جبل عمان تحت شجرة اللوز العجيبة، فيقول لجدته: «مثل ما الشيخ يضرب الأولاد، يضرب الشجرة ويقول لها: لازم تعطي اللوز والمشمش، وهي مسكينة، وحدها، ما معها أحد، تخاف وتسوي مثل ما يريد..».

وينتقل عبدالرحمن منيف بعد ذلك من كتّاب الشيخ حافظ إلى كتّاب الشيخ سليم في وسط السوق، فاعترضت عليه جدته لأمه عندما علمت بأن الشيخ سليم أخذ طلبته ومن بينهم الطفل عبدالرحمن ليصلُّوا على الميت في المسجد الحسيني، وهناك هددهم بسجنهم في غرفة الموتى بجوار المسجد إذا لم يخبروه من أحضر معه الضفادع وأطلقها داخل الكتّاب.

غسل الأطباق أفضل

أما أحمد السباعي الأديب المعروف والحائز على جائزة الدولة التقديرية في الأدب، فقد كان يجد وهو طفل في تسخير المعلم له وتحميله «زنبيل المقاضي» وغسل الأطباق والعناية بطفله والذهاب بنعاله إلى عم جابر الخرّاز فرصة لذيذة يقطع بها الوقت بعيداً عن شخط العريف ولسع خيزرانة الفقيه.

وكان أحمد السباعي الطفل يتوق إلى اللعب مع أترابه.. لكن والده كان يحرص على سرعة تعلم ابنه ويمنعه من ذلك آمراً: «اتوضأ يا ولد، وصلّ العصر، واقعد اقرأ حتى تصلي المغرب.. وبعد المغرب إيش عندك؟ برضه إقرأ حتى تصلي العشاء وتأكل لقمتين وترقد، تصبح حافظ!!».

وبعد فترة، انتقل السباعي من الكتّاب إلى المدرسة الراقية، ليكتشف أن مستواه في الفهم والاستيعاب أدنى بكثير من مستوى زملائه. فعمد إلى فرخ ورق من القطع الكبير يسجل عليه ما يشرحه الأستاذ. وكان إذا امتلأ الفرخ تماماً كتب في أعلاه «جريدة سباعية تصدر عند اللزوم». فكان الأستاذ لا يوجه سؤالاً، إلا وبادر أحمد قبل غيره بالإجابة معتمداً على ما كتبه على فرخ الورق، والمدرس لا يدري أن هذه الإجابة آلية وأن تلميذه لا يفهم معناها.

ويروي محمد علي مغربي في «أعلام الحجاز» وهو يترجم للأستاذ صالح محمد جمال مؤسس ورئيس تحرير جريدة «حراء» وبعد ذلك «الندوة»، أن أباه أدخله مدرسة الفائزين، ولكن الطفل الصغير ترك المدرسة مرتاعاً بعد أن رأى القسوة التي يعامل بها بعض المدرسين تلاميذهم. وكتب صالح جمال في «مذكرات ورحلات» يصف وضعه في المدرسة قائلاً إنه استمر أياماً، ثم هرب مذعوراً مما رأى من تناول المدرس ظهور الطلاب ورؤوسهم بعصاه الطويلة.

فقد كان الضرب في تلك الأيام عادة تكاد تعم جميع المدارس. الضرب بالعصا أو بالمسطرة على كف اليد، أو وضع الرجلين في الفلكة لمن يعتبرهم المدرسون مستحقين لعقوبة أكبر.

وإذا كانت تلك الأساليب التربوية والتعليمية البدائية والعقيمة المتسمة بالقسوة والتخلف لم تحل دون ظهور تلك العبقريات.. فلماذا لم تنجح المدارس والجامعات والمعاهد المفتوحة وغيرها في إنتاج أمثال أولئك الرجال؟

هل وراء هذا العقم حيث تبدد جهود الطلاب وطاقاتهم في مقررات لا نفع منها؟ أم أن طرق التعليم تعتمد على الحشو والتلقين؟ أم أن الإنسان أصبح مدللاً بحيث أصابه الخمول، ولم يعد قادراً على استثمار هذه الإمكانات التي لم يظفر بأقلها أبناء أجيال الريادة؟

الاختراق التكنولوجي

الممكن والمستحيل في العالم الثالث


FotoSearch

خلال الربع الأخير من القرن العشرين، تفشت قناعة بأن اتساع الفجوة ما بين دول العالم الثالث والدول الصناعية الغنية والمتقدمة تكنولوجياً، سيجعل من المستحيل على الدول النامية اللحاق بالدول المتقدمة. ولكن هذه القناعة خضعت في السنوات الأخيرة للمراجعة، وأصبحت مادة لأسئلة بقيت أجوبتها غير محسومة. ويتغذى الجدل اليوم من بعض الحالات، مثل الصين والهند، التي أكدت قدرة العالم الثالث على تحقيق اختراق تكنولوجي يحركه ويحرره من عنق الزجاجة.

العالم الثالث وإمكانات التقدم تكنولوجياً موضوع بحثي نعرض له هنا، على أن يتبعه في العدد المقبل إسهامات تتناول علاقة العرب بعلوم العصر.

1 طرق التقدم.. ليست واحدة!!

أمين نجيب

لماذا هناك دول متقدمة تكنولوجياً ودول أخرى متأخرة؟ بل لماذا استطاعت بعض الدول من العالم الثالث أن تخترق هذا التقدّم التكنولوجي الحاصل في الغرب أي في أمريكا وأوروبا واليابان، بينما هناك دول أخرى لم تستطع ذلك على الإطلاق؟ هناك الكثير من النظريات المتعلقة بهذا الشأن، لكن معظمها يتفق على علاقة التكنولوجيا بالتنمية الاقتصادية والبشرية.

فالتاريخ البشري، كما يراه بعض الباحثين، هو نفسه تاريخ تطور التكنولوجيا، إذ أن تطوير أدوات الإنتاج أحدث سلسلة من التغيرات التاريخية على مختلف الصعد. فمن أولى التقنيات المعروفة وهي إنشاء قنوات للري في سومر القديمة منذ أكثر من 5000 سنة، إلى استخدام الخريطة الجينية في عصرنا هذا، ارتبط التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ارتباطاً وثيقاً بمدى التقدم في التكنولوجيا.

إن التقدم التكنولوجي هو الأساس شبه الوحيد للتقدم الصناعي والتجاري والمعلوماتي – وكما يتبين من مقررات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية الذي عقد في سنة 1999م، فإن 90 دولة كانت أفقر في عام 1997م مما كانت عليه في عام 1990م. وأن ثلاثين منها هي أفقر في عام 1997م مما كانت عليه عام 1970م. وقد ترافق هذا الفقر والتخلف مع تخلف التقدم التكنولوجي والصناعي والمعلوماتي. ومعظم هذه الدول يقع في مجموعة الدول الشيوعية سابقاً والدول العربية والآسيوية وإفريقيا. وإذا أردنا أن نعمم على المستوى التاريخي، فسنجد أنه قبل الاندفاعة الكبيرة للثورة الصناعية في أوروبا، ومفصلها عام 1800م، أن نسبة الفارق بين أغنى الدول في ذلك الوقت وأفقرها هي 2 على 1 بينما هي عام 2000م 60 على 1 وأحياناً أكثر من ذلك.

الدول الغنية هي الدول التي اعتمدت على التكنولوجيا والتصنيع. ويشير بعض المؤرخين للتأكيد على هذه الظاهرة أنه في عام 1945م وفي أعقاب هزيمة ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، أقرت الولايات المتحدة الأمريكية خطة اقتصادية لإضعاف ألمانيا في المستقبل، وهي خطة «مورجنتاو» القاضية بتفكيك البنية التكنولوجية والصناعية لألمانيا، وجعلها بلداً زراعياً لتبقى متخلفة إلى مستقبل بعيد. لكن وفي عام 1947م، وكانت قد بدأت ملامح الحرب الباردة بالظهور، أقرت أمريكا خطة معاكسة وهي خطة «مارشال» القاضية بإعادة تصنيع ألمانيا الغربية لمواجهة ألمانيا الشرقية الشيوعية وباقي الدول التي تدور في فلك الاتحاد السوفياتي السابق.

التكنولوجيا، العلم والاقتصاد

لا شك في أن العلم والتكنولوجيا مترابطان. لكن هناك نظريات مختلفة حول ما هي الأسبقية. هل نبدأ بالعلم ومن ثم ندخل التكنولوجيا لاحقاً؟ أم العكس؟ هل نستورد التكنولوجيا ونرى بعدها ما يناسبنا من العلم والمؤسسات العلمية ونطورها لاحقاً؟ أم نبدأ بالتنمية الاقتصادية لتوفير ثروات نوظفها في العلم والتكنولوجيا؟ وما هو دور التجارة الخارجية في ذلك؟

فحول التجارة لاحظ فريدريك ليست ومنذ عام 1841م أن تصدير المواد الخام واستيراد المواد المصنعة هو اقتصاد سيء. بينما استيراد المواد الخام وتصدير المواد المصنعة هو اقتصاد جيد. والمقصود بذلك أن الاقتصاد المبني على تصدير المواد الأولية يخضع لقانون المردود المتناقص، بينما الاقتصاد المبني على تصدير المواد المصنعة يخضع لقانون المردود المتزايد المعتمد على التكنولوجيا الصناعية والمولد للقيمة المضافة، التي يعتقد كثير من الباحثين أنها قاطرة الازدهار الاقتصادي والصناعي والسياسي.

ويورد إريك راينرت في كتابه عن العولمة الصادر في العام الماضي وخلال حضوره لمؤتمر حول التنمية في جمهورية منغولية السوفياتية سابقاً، أنه أثيرت في المؤتمر وفي الصحف المحلية أيضاً مسألة موت حوالي مليوني حيوان أليف في الجمهورية، وتبين فيما بعد أنه نتيجة لانهيار القاعدة الصناعية الذي حدث بين ليلة وضحاها في البلاد، وبموجب نصائح البنك الدولي حول تحرير الأسواق؛ فقد تخلى المجتمع عن المصانع وما لبث أن وجد معظم أهل البلاد أنفسهم عاطلين من العمل فلجأوا إلى الزراعة والرعي مما زاد الضغط على الأراضي الصالحة للرعي والزراعة، وأصبحت غير قادرة على تأمين الحياة لهذا العدد من الحيوانات مما شكل ظاهرة الموت الآنفة الذكر. وهذا دليل قاطع على صحة قانون المردود المتناقص، الذي أدى إلى انخفاض مستوى المعيشة لجمهورية منغولية بشكل مخيف.

بالمقابل، فإن كوريا الجنوبية، والتي كانت تعتبر في الستينات والسبعينيات، أقل تقدماً من البرازيل والمكسيك، تمكنت في التسعينيات من أن تلحق بأية دولة متقدمة. وقد اتبعت كوريا الجنوبية، وكذلك تايوان أسلوباً معقداً في ذلك. فبدلاً من التقدم بشكل خطي (Linear) أي اختراع، تصنيع، انتشار علمي واقتصادي وغيره. فإنها اتبعت خطاً تفاعلياً بين العلم والتكنولوجيا معتمدة على «الهندسة المعكوسة» (Reverse Engineering) أي درس واستيعاب تكنولوجيا غربية معينة بشكل تفكيكي وبعدئذ تقليدها. وقد تمكنت كوريا وتايوان في البدء من تصنيع المنسوجات والآلات البثية مما أتاح لهما توفير فوائض أموال تمكنتا بواسطتها من دفع كلفة التقليد التكنولوجي والدفع إلى الأمام لامتلاك تكنولوجيا معتمدة بكثافة على المعلوماتية والمعارف وتصنيع مختلف أنواع الآلات المعقدة من الإلكترونيات والسيارات وغيرها.

وكان لدور الدولة شأن كبير في ذلك. فقد ترافقت المؤسسات التعليمية مع التطور الحاصل في التكنولوجيا والصناعة. تركزت أولاً المؤسسات العلمية حول حقول قليلة لها صلة وثيقة بمؤسسات الصناعة والتكنولوجيا. والحقول العلمية كانت تتزايد مع حاجات الصناعة والتكنولوجيا التي راحت بدورها ترفد المؤسسات العلمية بالخبرة العملية. وهذا ما يعرف بالعلم «المطابق والمتفاعل». والمذهل في التجربة الكورية أنها كانت تدفع في البدء حوالي 3 في المئة من مجمل المبيعات للترخيص التكنولوجي للسلع والآلات التي تم تقليدها، وارتفعت هذه النسبة إلى 12 في المئة في المراحل الأخيرة، ورغم ذلك تمكنت هاتين الدولتين من تحقيق مستويات اقتصادية وتكنولوجية خلال 30 عاماً، ما تطلبت 400 عام من دولة مثل بريطانيا كي تحققها.

المثال الهندي

أما الهند فقد اتخذت مساراً مختلفاً. إنها ثاني أكبر بلد في العالم، ومعظم شعبها يعيش تحت خط الفقر. ورغم ذلك، تمكنت الهند من إنشاء جامعات كبيرة وذات مستوى مرتفع في كثير من الاختصاصات. لكن وبعكس كوريا وتايوان، كان هناك انقطاع بين الأكاديمي والتكنولوجي والصناعي وبقي تأثير هذه المؤسسات العلمية محدوداً على اقتصاد البلد بمجمله. وهذا ما أدى إلى هجرة العقول الهندية إلى الخارج وخصوصاً إلى الغرب المتقدم. لكن ذلك لم يكن كله سيء. فهؤلاء المهاجرون اكتسبوا في الخارج الخبرة والمعرفة بأحوال السوق العالمية مما أتاح لبعضهم العودة إلى الهند، خصوصاً في الفترة الأخيرة مع انتشار سوق المعلوماتية على نطاق واسع. فمنذ سنوات قليلة بدأت تبرز مراكز كبيرة للمعلوماتية في بانغالور. وأخذت شهرتها ترتفع بشكل مذهل. وخلال السنوات الخمس فقط أنشأت حوالي 100 شركة عملاقة مراكز لها هناك تتعلق بتكنولوجيا المعلوماتية وقواعد للبحث العلمي،



FotoSearch

PBase

التكنولوجيا الغربية تستوطن في بنغالور بالهند

منها شركات مثل جنرال إلكتريك وهوليت باكارد وغيرها. وقد ارتفع مدخول هذا المركز الهائل من 1.3 في المئة من المدخول القومي للهند عام 2004م إلى 3 في المئة للعام الحالي. ويقول بنك "غولدمان ساكس" في أحد تقاريره الأخيرة "إن الهند إذا تابعت الطريق نفسه فستكون ثالث أكبر اقتصاد في العالم". ويقول أجايا غوبتا مدير شركة هوليت باكارد في بانغالور إن شركته تنظر على المستوى نفسه إلى الهند وأمريكا وأوروبا وأحياناً أفضل.

إن السبب الأساس في نجاح بانغالور هو الجامعات الهندية أولاً، ثم معرفة حاجة السوق الدولية. إن معظم ما تنتجه بانغالور ليس للسوق المحلية، كما يقول غيلارمو ويل مدير جنرال إلكتريك هناك، بل إن معظمه للسوق الدولية، فهناك قدرة على إنتاج أحسن البرامج والأبحاث بواسطة علماء هنود متفوقين وأجورهم منخفضة جداً بالنسبة إلى البلدان المتقدمة. ويعمل في بانغالور حوالي 150000 مهندس برامج كومبيوتر، ومثل هذا العدد لا يتوافر إلا في "وادي السيليكون" في الولايات المتحدة الأمريكية. وللإشارة إلى نوعية الأشخاص الذين أسهموا في مثل هذه المشروعات هناك صورة العالم الشهير راغونانت ماشيلكار والذي يتحدر من عائلة مدقعة بالفقر، فكان يذهب إلى المدرسة عاري القدمين ولم يعرف ما هو الحذاء سوى في سن الثانية عشرة. كما أنه لم يتمكن من إكمال علومه إلا بواسطة المنحة، فتخرج مهندساً كيميائياً من جامعة بومباي، وأكمل دراسته في جامعة "سالفورد" في بريطانيا، وأصبح عضواً في الجمعية الملكية للعلوم في لندن. ثم رجع أخيراً إلى الهند وترأس عدداً من المؤسسات العلمية والبحثية والمالية.

الاختراق الهندي يعود إلى التعليم، وفي الصين إلى العصبية، وفي أمريكا اللاتينية إلى الأسواق المفتوحة

والمثال الصيني

أما الصين فقد اتبعت سياسة مختلفة عن النماذج السابقة. فبعد الثورة الشيوعية بقليل، أطلقت صناعات صغيرة مثل الصناعات الغذائية والأنسجة وآلات بيتية صغيرة موجهة إلى حاجات السوق المحلية والدولية في آن واحد. فنجحت في القضاء على المجاعات التي كانت شائعة، وغزت الأسواق العالمية مما وفر لها الأموال اللازمة لتمويل مشروعات السوق المفتوحة في مدن الساحل الجنوبي. وازدهرت إثر ذلك تكنولوجيات صناعية حديثة وفرت للصين أعلى نسب نمو في العالم تقريباً وصلت إلى حوالي 10 في المئة سنوياً. لكن بعض المحللين يعزون سبب التقدم التكنولوجي والصناعي والاقتصادي للصين إلى أسباب أخرى غير ذلك. فصموئيل هانتيكتن في كتابة الشهير "صراع الحضارات"، يعزو كل هذا الازدهار إلى العصبية الصينية، ويقول إن معظم التوظيفات المالية في الصين هي من الصينين في كوريا وسنغافورة وتايلاند وغيرها من الدول الآسيوية، وكذلك من الصينيين العاملين في الغرب.

ولكن التقدم التكنولوجي الذي شهدته بعض دول أمريكا اللاتينية مثل المكسيك وكولومبيا وغيرها فسببه الرئيس اتباع سياسات السوق المفتوحة التي كان يوصي بها البنك الدولي. وهي نفسها السياسات التي أدت ببعض البلدان



FotoSearch



stock.Xchng

الزراعة التقليدية بجوار التقنيات الحديثة في المجتمع الواحد

مثل منغوليا، كما ورد سابقاً إلى تأخر، لا بل إلى انعدام أي أثر للتقدم التكنولوجي.

وفي إيرلندا التي كانت في الثمانينيات من القرن العشرين، أي منذ حوالي عقدين من الزمن، تعاني نسبة بطالة وصلت إلى حوالي 17 في المئة وهجرة كثيفة واقتصاد متأخر، فقد تغير الوضع كما يؤكد الكثير من المحللين الاقتصاديين بفضل سياسات حكومية بسيطة وهي إنشاء مؤسسات حكومية للتعليم العالي في حقول الهندسة الكهربائية والإلكترونية وتكنولوجيا المعلومات مما أدى إلى طفرة اقتصادية غير عادية في التسعينيات وصلت نسبة النمو فيها إلى 10 في المئة. وسميت إيرلندا على أثرها النمر "السيلتي" تشبهاً بالنمور الآسيوية التي شهدت ازدهاراً اقتصادياً غير عادي في وقت قصير.

العولمة أقفلت أبواباً كثيرة، وفتحت أبواباً أخرى، وفي كل مجتمع صار هناك عالم أول وثانٍ وثالث

قواسم مشتركة أم قواعد عامة؟

وإذا أردنا أن نستخلص قواعد عامة لتمكن بعض الدول من تحقيق التقدّم التكنولوجي، فإننا نرى مما ورد سابقاً أن معظم هذه الدول تطوّر تكنولوجيات تنتج للسوق الدولية. ويذهب بعض المحللين أكثر من ذلك ليقولوا إن تاريخ التكنولوجيا والصناعة ومحطاتها الأساسية ابتداءً من السكك الحديدية، عصر الكهرباء، عصر السيارة هو مثل عصر الإنترنت حالياً انطلق من المراكز العسكرية. فكما هو معروف فإن الإنترنت انطلقت في وزارة الدفاع الأمريكية ثم انتشرت لتطال معظم شؤون المجتمع الأمريكي ومن بعده العالمي.

وبينما نجد دولاً أتينا على ذكرها قد دخلت في دورة تكنولوجية واقتصادية متكاملة صعوداً، فإن كثيراً من الدول دخلت في دورة عكسية مثل بعض الدول الإفريقية والعربية التي تشهد ليس فقط تخلفاً تكنولوجياً واقتصادياً بل انحلالاً كلياً للدولة والمجتمع. وذلك بسبب العديد من العوامل، بعضها مثلاً ما أورده الاقتصادي المتميز في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية جيفري ساكس، ويقول إن مرض الملاريا هو المحدد الأساسي للازدهار والفقر في العالم. ورغم ذلك، فإن ما ينفق من أبحاث عليه على الصعيد العالمي هو بحدود 100 مليون دولار بينما يصل الإنفاق العالمي على أبحاث الدواء إلى 70 مليار دولار، مع أن مرض الملاريا يشكل 3 في المئة من مجموع الأمراض في العالم. وليس هناك من شركة أدوية واحدة تقوم بأبحاث حول التلقيح ضد هذا المرض على الرغم من سهولة الوصول إليه بعد نشر الخريطة الجينية وبعد امتلاك تكنولوجيات مختبرية متقدمة جداً. هذا المرض، يقول ساكس، جعل الإنتاجية الزراعية لجميع دول الصحراء الإفريقية، في أدنى مستوياتها. هناك الملايين من البشر، ممن لا أمل لهم في أي تقدم تكنولوجي، بل على العكس، إن همهم الأساس هو بقائي محض. فأي تغير في الطقس مثلاً يودي بحياة عشرات الآلاف وهذه التغيّرات كما تشير التوقعات المستقبلية هي على ازدياد.



PBase

الصناعات اليدوية والتقليدية.. هل تصبح مرافقاً للفقر القومي؟

العولمة داء ودواء

ففي مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في جينيف بسويسرا عام 2004م تحت عنوان "القمة العالمية لمجتمع المعلومات" طرحت الدول الإفريقية إنشاء ما سمي "صندوق التعاضد الرقمي" "Digital Solidarity Fund" لمساعدة الدول الفقيرة من ردم الهوة التكنولوجية والتي تسمى باللغة السائدة "الانقسام الرقمي"، لكن هذا الاقتراح رفض من المجتمعين.

إن العولمة وضعت في السنوات القليلة الماضية حداً لكثير من المفاهيم السائدة، وأقفلت الأبواب أمام فرص قديمة للشعوب المتخلفة لامتلاك التكنولوجيا. كما أنها فتحت فرصاً جديداً أمام هذه الشعوب في الوقت نفسه. فكثير من الباحثين والمحللين بدأوا يشككون بتقسيم العالم إلى ثلاث فئات كما كان الاعتقاد سائداً في القرن العشرين، وهو العالم الأول والثاني والثالث.

ففي كتابهم "الإمبراطورية" الصادر عن جامعة هارفارد يرى مايكل هارت وأنطونيو نيغري أن هذا الانقسام قد انتهى. ففي كل بلد هناك عالم أول وعالم ثان وعالم ثالث. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً حوالي 36 في المئة من الفقراء حسب تحديد الأمم المتحدة لمستوى

التكنولوجيا الفضائية أمريكية ثم أوروبية واليوم.. آسيوية

الفقر. وهو رقم مذهل في البلد الذي يعتبر المركز الأول للتكنولوجيا والأبحاث العلمية والنشاط الاقتصادي. وكما أن في الولايات المتحدة الأمريكية جميع المظاهر التي يمكن أن يراها المرء في أي مكان من العالم. هناك أناس يعيشون دون بيوت تماماً كما في كالكوتا في الهند. وكما أن هناك وادي السيليكون في أمريكا، ففي الصين مثلاً هناك في الجنوب المزدهر صناعات تكنولوجية عالية التقنية مثل الكومبيوترات بجوار ريف متخلف يعيش على الزراعة البدائية كما كان يعيش منذ آلاف السنين.

إن العولمة قد نشرت التقدّم التكنولوجي في كافة أرجاء الكرة الأرضية وحتى خارج الكرة الأرضية، لكنها نشرته في شكل بقع متناثرة تطال قسماً صغيراً من سكان أي بلد بمفرده.

وبما أن العولمة قد فتحت الحدود أمام الحركة الحرة للسلع والبضائع والأموال والمعلومات والتقنية، لكنها لم تفتح الحدود أما التنقل الحر للعاملين، فعلى أي بلد أن يستفيد استفادة قصوى من البقع التكنولوجية ويعتبرها خميرة لنشرها في كافة أرجاء المجتمع. وإلا فإن المجتمعات التي تخفق في ذلك يبقى مصيرها مجهولاً.

إن التقدّم التكنولوجي لم يعد، كما كان في العقود الماضية، مسألة مفاضلة، بل أصبح اليوم، وأكثر من أي يوم آخر، مسألة حياة أو موت. وليس هناك من طريقة واحدة لسلوك الطريق المؤدي إلى التقدّم التكنولوجي، بل هناك طرق متعددة الأساليب والألوان كما رأينا سابقاً.

2 الثقافة العلمية للجميع؟

محسن خضر

من التحديات التي يفرضها التقدم التكنولوجي هناك مسألة "تأسيس المجتمع العلمي"، والمقصود به هو نشر الثقافة العلمية في التكوين الثقافي المعرفي لدى أكبر عدد ممكن من المواطنين.

وتعريف الثقافة العلمية هو أنها "قدر من المعارف والمهارات والاتجاهات يتصل بالمشكلات والقضايا العلمية ومهارات التفكير العلمي اللازمة لإعداد الفرد للحياة اليومية التي تواجهه في بيئته ومجتمعه". والمبرر أن طلبة اليوم سوف يصبحون الأفراد العاملين والمنتجين في المجتمع التقني المعقد وسوف يشاركون المواطنين في القنوات الاجتماعية المرتبطة بالعلوم.

وفي ظل ارتفاع مستوى الأمية وتراجع المكون العلمي في الثقافات الوطنية في دول العالم الثالث، تزداد أهمية الثقافة العلمية في مجتمعاتها. وللدلالة على أهمية الأمر وحيويته وخطورته نشير إلى أن مشروعات نشر الثقافة العلمية تطلق ليس في الدول المتخلفة علمياً، حيث هي حاجة ملحة، بل في أغنى المجتمعات وأكثرها تطوراً.

فمن المشروعات الرائدة في هذا الصدد مشروع "تعليم العلوم لكل الأمريكيين حتى عام 2016م"، والذي وضعته الجمعية الوطنية من أجل تطوير التعليم "AAAS"، ويسعى إلى تحقيق جملة أهداف أهمها:

- استيعاب مناهج العلوم لقاعدة معلوماتية توضح العلاقة بين العلوم والرياضيات والتكنولوجيا.
- التعريف بتاريخ العلم والعلماء.
- إبراز الجهود العلمية المتعلقة بالطبيعة الإنسانية للعلوم والرياضيات والتكنولوجيا.
- التأكيد على الجوانب العقلية في المعتقدات والقيم العلمية اللازمة لتنمية الاتجاهات العلمية.
- التركيز على الموضوعات العلمية النفعية للطلاب والتي تتصل بمشكلات الإنسان في المستقبل.
- تصميم كل ولاية أو مقاطعة أمريكية لمناهج تعليمية مقترحة ذات خصوصية سياسية لتلاميذها.

يتوزع مشروع الثقافة العلمية لجميع المواطنين الأمريكيين على ثلاث مراحل وهي:

- المرحلة الأولى: وهي مرحلة تنظيرية تخطيطية تركز على الأهداف والمراحل وتحديد المعارف والمهارات وتشكيل لجان العمل.
- المرحلة الثانية: وتستهدف وضع المناهج التعليمية للتلاميذ بمرحلة رياض الأطفال حتى نهاية المرحلة الثانوية، وحددت ست مدن أمريكية للاشتراك في هذه المرحلة بوضع ستة مناهج تعليمية مختلفة. وهذه المدن هي: فلادلفيا، سان دييغو، جورجيا، سان فرنسيسكو، سان أنطونيو، وميرلاند.
- المرحلة الثالثة: وتستهدف تنفيذ الموضوعات التي اقترحتها المدن الست في مشروع تعليم الأمريكيين ليتم التنفيذ على عينة مبدئية تشمل 80 ألف مدرسة و50 مليون طالب، على أن يكون اختيار الولايات للمناهج المقترحة حرة من دون شروط، وتستغرق هذه المرحلة عشر سنوات لتنفيذ عملية التدريب المبدئي لهذه المناهج.

> **ندوة الرياض دقت ناقوس الخطر المحدق بحال العلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي**

أما أهم محتويات الثقافة العلمية فهي العلوم، والرياضيات، والتقنية، والقضايا والموضوعات والمهارات المرتبطة بالمجالات العلمية، والظواهر الطبيعية، والخصائص العامة لكوكب الأرض، البيئة الحية، تسهيل الظواهر وتطور الكائن الحي، دورة حياة الإنسان، التركيب والوظائف الأساسية في جسم الإنسان، الصحة الجسمية والعقلية للإنسان، التقنية الطبية، المجتمع الإنساني، دينامية المجتمع الإنساني، الصراع الاجتماعي، أشكال النظم السياسية، العمليات الرمزية، التقنية الطبية.



الحداثة وقدرتها على مجاورة الموروث الثقافي

ونحن إذ توقفنا أمام مثل هذه الأهمية التي يوليها مجتمع متقدم تكنولوجياً لنشر الثقافة العلمية، فذلك للتوكيد على أن الحاجة إلى نشر هذه الثقافة في المجتمعات المتخلفة تكنولوجياً يصبح حاجة أكثر إلحاحاً، والتفكير في مشروع مماثل على الصعيد العربي مثلاً أبعد ما يكون عن الترف.

ندوة الرياض: العلم العربي في خطر

فبالوصول إلى حال العلوم في الوطن العربي يمكننا رسم الخطوط العامة لما هي عليه من خلال الندوة التي عقدت قبل فترة في الرياض بعنوان "البحث العلمي والتكنولوجي في العالم العربي" ونظمتها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية مع المؤسسة العربية للعلوم والتقنية.

فعلى مدى أربعة أيام تم تقديم 248 بحثاً أمام 1200 مشارك من جهات العالم الأربع. وتوزعت محاور المشاركات على موضوعات عديدة أبرزها: دور البحث العلمي والتطوير التقني في تحقيق التنمية الإنسانية في العالم العربي، واقتصاديات البحث العلمي في العالم العربي، الهجرة من البلدان العربية، أهمية التمويل والتشريعات في دعم البحث العلمي.. وذلك إلى جانب جلسات متخصصة في محاور الطاقة والمياه والتقنيات الحيوية والمواد الجديدة والفضاء والبيولوجيا وغير ذلك.

وقد كشفت الندوة عن تدني أوضاع البحث العلمي العربي تمويلاً وإدارة ومخرجات. فنسب تمويل البحث العلمي لا تتجاوز نصف الواحد في المئة من الدخل القومي، وأكثر من 85 في المئة من الطلاب العرب الحاصلين على شهادات الدكتوراه من الخارج لا يعودون إلى بلدانهم، وهو ما يضعف بناء المجتمع المعرفي العربي. ومن أسوأ ما كُشف عنه خلال تلك الندوة هو أن 75 ألف أكاديمي عربي هاجروا إلى الغرب في عام واحد 1992م، كما أن 15 ألف طبيب هاجروا خلال العامين الأخيرين من القرن الماضي.

أما توصيات الندوة فشملت ضرورة إصلاح منظومة التعليم العربي بما يدعم الإبداع والابتكار، والتعريب الشامل لجميع مستويات التعليم كوسيلة لإثراء العلوم وإنتاج التقنية في البلاد العربية، وتفعيل التعاون والتنسيق العلمي والعربي خصوصاً في المجالات الحيوية عالمياً مثل التكنولوجيا والمواد الأولية والسعي إلى الاستفادة القصوى من العلماء العرب والمهاجرين.

فهل هذه التوصيات أو ما يشبهها هي مجرد أمنيات لا أمل في تحقيقها؟ أم أن أمام العرب نافذة يمكنهم أن يحققوا من خلالها اختراقاً علمياً وتكنولوجياً إذا ما توافرت الظروف والعوامل الملائمة؟

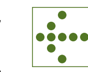
المباني الخضراء
صداقة مع الطبيعة وبيئة مسالمة للإنسان

البيت الأخضر أو المباني الخضراء هو عنوان الفصل الأخير في زحف الاهتمام بالشأن البيئي حتى وصل إلى غرف نومنا، فارضاً على المهندسين والمصممين المعماريين بالدرجة الأولى مراجعة شاملة لأساليب البناء وموارده.

الدكتور هاشم عبدالله صالح* يشرح هنا ما هية المباني الخضراء، وسلامة المباني وأمراضها، وأهم الجوانب التي تستوجب الاهتمام في المباني تصميماً وإنشاءً وعيشاً داخلها، لما لها من آثار تفوق التصور على البيئة عموماً وصحة الإنسان خصوصاً.

PBase

* رئيس قسم علوم وتقنية البناء بجامعة الملك فيصل.



كان القرن العشرون مزدحماً بنشاط إنساني فكري وإبداعي أنتج تطوراً علمياً وتقنياً وصناعياً أسهم بشكل كبير في إعادة تشكيل حياة الإنسان المادية والثقافية والاجتماعية. وقبل أن يودعنا هذا القرن شهدنا وقفة إنسانية جريئة تمثلت بالدعوة إلى مفهوم جديد للتنمية، تنمية تطرح رؤية متوازنة بين المحافظة على البيئة وسلامة الإنسان واستمرار النمو الاقتصادي.

فالتنمية المادية التي تمادى بها الإنسان في القرن الماضي والتي ترى أن الطبيعة هي مخزون لا ينضب لكل ما يحتاجه الإنسان من موارد ومصادر طاقة ومستودع لا يضيق لكل ما يطرحه الإنسان من مخلفات وانبعاثات، جعلت الإنسان في مواجهة مشكلات بيئية تنذر بتداعيات خطيرة على حياته وقدرته على مواصلة تطوره الحضاري والمادي. ويحظى قطاع البناء والعمران باهتمام كبير في إطار التنمية المستدامة والشاملة باعتبار أن ممارسات هذا القطاع في مرحلة التصميم والتنفيذ والصيانة والتشغيل وحتى الهدم لها تأثير كبير على الإنسان وبيئته الطبيعية.

ومن دون الحاجة إلى الدخول في تفاصيل التكلفة البيئية للنشاط العمراني، يكفي القول هنا إن قطاع البناء لوحده يستهلك 40 في المئة من مجموع استهلاك الطاقة في العالم وأن 30 في المئة من المواد الأولية تستهلك في البناء والنشاط العمراني، و16 في المئة من مجموع استهلاك المياه يذهب للبناء والتشييد.

وهناك أثر وتكلفة صحية تضاف إلى هذه التكلفة البيئية. فمنظمة الصحة العالمية تشير إلى أن 30 في المئة من المباني الجديدة في العالم هي في الحقيقة مبانٍ مريضة. إذ أن رداءة البيئة الداخلية لهذه المباني نتيجة لما تحويه من ملوثات وعوائق خطرة جعلتها مسؤولة وبشكل مباشر عن قائمة طويلة من الأمراض التي قد تصيب الإنسان، فأمراض الحساسية والصداع الخفيف والمزمن والكثير من السرطانات وتشوهات الأجنة وأنواع عديدة من الأمراض النفسية كلها أمراض قد تصيب الإنسان لأنه يعيش أو يسكن أو يعمل أو يمارس نشاطه الرياضي أو الاجتماعي في بيئة عمرانية داخلية مريضة. ومن الطبيعي أن يكون هناك ثمن وتكلفة اقتصادية نتيجة لهذه الأمراض، فالتقديرات الأمريكية تذكر أن 30 بليون دولار سنوياً ثمن التكلفة المباشرة للتعامل مع أمراض المباني وأن التكلفة غير المباشرة مثل تدني الإنتاجية والغياب من العمل، تتجاوز المئة بليون دولار سنوياً. وفي إطار هذا التشابك بين المباني وكل من البيئة الطبيعية وصحة الإنسان البدنية والنفسية جاءت المناداة باعتماد مفهوم "المباني الخضراء" على اعتبار أن هذا المفهوم يشكل إطاراً لمجموعة من الحلول الجذرية التي تمكن قطاع البناء والعمران من أن يستجيب بشمولية وبدرجة أعلى من التفاعل والتحسس للمواضيع البيئية والهموم الصحية.

وأثار مفهوم المباني الخضراء جملة من التحديات بدأت تشكل قوى تضغط وتدفع إلى مراجعة الكثير من الممارسات التي ألفناها في تصميم وتنفيذ المباني والمشروعات العمرانية. هذا الالتزام بإحداث كل هذه التغيرات في الواقع العملي يتطلب قبل كل شيء تغيراً ثقافياً جوهرياً عندنا كمعماريين ومهندسين، وذلك من خلال التفاعل الصادق والجاد مع المبادئ التي يرتكز عليها مفهوم التنمية العمرانية المستدامة.

ويمكننا أن نستقي هذه المبادئ من بين المفردات المكونة لتعريف " المباني الخضراء"، فالمباني الخضراء أو ما تسمى أحياناً بالمباني المستدامة "هي ذلك النوع من المباني الذي يحقق المتطلبات الوظيفية والجمالية للمستفيد بأقل قدر ممكن من الضرر للبيئة الطبيعية ومن دون إسراف أو هدر للموارد الطبيعية المحدودة مع بيئة داخلية لا تعرض صحة وسلامة الإنسان البدنية والنفسية للخطر". ففي إطار هذا التعريف بوسعنا أن نناقش جملة من المبادئ الخضراء التي من الضروري أن نفعّلها في تصميم وتنفيذ وتشغيل وصيانة المباني بأنواعها وأحجامها. ويمكن مناقشة هذه المبادئ على خلفية أن المباني الخضراء تستند إلى محورين رئيسين: الأول يختص بترشيد أثر هذه المبادئ على بيئتنا الطبيعية، والثاني يهتم بكيفية جعل المباني عموماً تنعم ببيئة داخلية مسالمة للإنسان.

المباني الخضراء.. ترشيد وعلاقة أفضل مع بيئتنا الطبيعية

التنمية المستدامة والشاملة التي نادت بها قمة الأرض عام 1992م، ترى أن من الضروري أن نفعّل الموضوع البيئي في أي نشاط تنموي نقوم به، إنتاجياً أو استهلاكياً، والنشاط العمراني يجب أن يكون في الطليعة لتجسيد هذه الضرورة وذلك من خلال استخدام رشيد وعقلاني للموارد الطبيعية المتاحة، مع بذل أقصى جهد ممكن للتقليل من الأضرار والآثار السلبية للمباني على مكونات البيئة الطبيعية. فالمباني الخضراء هي محاولة لتصحيح العلاقة بين حاجة الإنسان إلى البناء والتشييد وبين المحافظة على البيئة وما تحويه من موارد ومصادر وإمكانات محدودة ومتوازنة. فالبيئة لم تعد مجرد مخزون لما نريد ومستودع لما لا نريد. وانطلاقاً من هذه الرؤية، هناك ستة أبعاد رئيسة للمباني الخضراء. ومن خلال مناقشة مختصرة لهذه الأبعاد نستطيع أن نتلمس ما هو مطلوب لكي نجعل من البناء والتشييد نشاطاً تنموياً معززاً للبيئة ونظمها.

1 - الترشيد في استخدام مواد البناء:
الترشيد حالة مطلوبة دائماً في سلوكيات الإنسان لأنها تعني الحكمة والتوازن في حياته. وهذا ما تؤكد عليه وما تسعى إلى إنجازه فكرة المباني الخضراء. فكلما استخدمنا مواد بناء أقل ومن دون المساس بجودة المباني وديمومتها فهذا يعني بقاء أطول للمصادر الطبيعية لهذه المواد، مع طاقة أقل لتصنيعها ونقلها وتركيبها. وكذلك يعني مخلفات أقل في إنتاجها واستخدامها. والترشيد في المباني له

إنسان اليوم يعيش ما بين 80 و90 في المئة من وقته في بيئة داخلية، وهواؤها مسؤول عن 50 في المئة من الأمراض

مصاديق كثيرة، فاستخدام مواد بناء تمتاز بديمومة أطول يعني حاجة أقل لمواد أولية جديدة، وهناك تأكيد على استخدام مواد تحوي نسبة أعلى لمواد أعيد تصنيعها. وهذا بالنتيجة دعمٌ لمحاولات حفظ المصادر الطبيعية التي تدخل في صناعة هذه المواد. وتبقى الكفاءة والبساطة في التصميم، والدقة واعتماد مواصفات متعارف عليها في التنفيذ هو الخيار الأمثل لترشيد ما نحتاجه من مواد بناء.

2 - الأخذ بمنهج التصميم لمبانٍ أصغر: تدعونا فكرة المباني الخضراء إلى أن نتعلم كيف نصمم بيوتاً ومبانٍ أصغر حجماً، ولكنها تفي بمتطلبات وحاجات المستفيد. فهناك خلط بين الحاجات والرغبات. والمطلوب أولاً أن نبني وفق حاجاتنا ومن بعد ننظر إلى رغباتنا. وقد يعتقد البعض أن هناك علاقة طردية بين كبر حجم المكان وراحة الإنسان، وأن هناك علاقة طردية بين الشعور بالسعة والكثرة في اقتناء الأشياء، كل هذه الأوهام والاعتقادات الخاطئة أنتجت لنا مباني ومساكن متورمة بفعل ما فيها من مساحات زائدة وارتفاعات غير مطلوبة وأماكن ليس لها وظيفة حقيقية. فإذا كانت الرشاقة تعني الصحة في قاموس أهل الطب، فالمباني الخضراء تأخذ بهذا المبدأ باعتبار أن الزوائد في المباني قد تعني عدم الراحة لمستخدميها، بالإضافة إلى كلفتها الاقتصادية والبيئية.

3 - استهلاك طاقة بأقل قدر ممكن: يعتبر ترشيد الطاقة في المباني الأولوية الأولى في مفهوم المباني الخضراء باعتبار أن قطاع البناء يستهلك الكثير من الطاقة، وبالتالي فهو يتحمل مسؤولية الكثير من المشكلات البيئية مثل التلوث والانحباس الحراري وتآكل الأوزون وغيرها. وهناك خيارات كثيرة ومتعددة تأخذ بها المباني الخضراء من أجل التقليل من استهلاك الطاقة، فاستخدام أنظمة سلبية أو طبيعية للتبريد والتدفئة والتهوية وحتى الإضاءة وإن كان تطبيقياً جزئياً، فهو بالنتيجة استهلاك أقل للطاقة، والاستخدام الأمثل للعوازل في الجدران والأسطح مع البحث عن أفضل الحلول لتصميم شكل المبنى وموقعه واتجاهه هي كلها مواضيع تساعد في النهاية على ترشيد استهلاك الطاقة. وتولي المباني الخضراء اهتماماً كبيراً بمصادر الطاقة المتجددة وبالأخص الطاقة الشمسية والتي نمتلك منها الكثير في المملكة، فهذه الطاقة المتاحة باستمرار والتي لا يصاحب إنتاجها واستخدامها أضرار بيئية ملموسة هي مكون رئيس في تصميم المباني الخضراء. وحتى استخدام المواد المحلية والمواد المعاد تصنيعها هو في الحقيقة ترشيد لاستهلاك الطاقة. فمادة الأسمنت مثلاً، وهي من المواد الرئيسة في صناعة البناء في المملكة تعتبر مادة غير محببة بيئياً لأن تصنيع الطن الواحد منها يحتاج إلى ما يقارب من ستة ملايين وحدة طاقة، وهذا كم كبير إذا ما قورن بالطين والخشب وهي مواد بناء جيدة إذا ما أحسن استخدامها والتعامل معها.

4 - الكفاءة في تصميم الفراغات والأماكن: فالفراغ والمكان المقصود هنا هو الحيز الذي يتحرك فيه الإنسان ممارساً فيه نشاطاً معيناً ومؤدياً لوظيفة معينة، ويتأثر هذا الإنسان بأبعاد هذا الفراغ والمكان الوظيفية والجمالية. فالكفاءة هنا تعني مقدار استجابة المكان والفراغ المعماري لنشاطنا كمستخدمين. فليس المطلوب منا أن نلبي ونستجيب لما يطلبه المكان، ولا ينبغي أن نشغل المكان بأثاث أكثر مما نحتاج لأن المكان أكبر مما نحتاج، ولا ينبغي أن نقطع مسافات أكبر لمجرد الانتقال من مكان إلى مكان آخر. أما البعد الجمالي فيقصد به البساطة والتناسق والتناغم في مكونات المكان. هذه الكفاءة في تصميم الفراغ المعماري تعني أن المباني الخضراء أكثر استجابة وتناغماً مع حاجات مستخدميها، وتعني بالتالي ديمومة أطول لها وتوظيفاً أكبر لمكوناتها. وهذا يصب في النهاية في صالح العلاقة بين المباني والإنسان والبيئة الطبيعية.

5 - إنتاج اقل من المخلفات والانبعاثات الضارة: إن عملية البناء ومن ثم التشغيل والصيانة قد يصاحبها الكثير من المخلفات والانبعاثات الملوثة للبيئة، والقليل من هذه المخلفات يعاد تصنيعها والاستفادة منها، أما الباقي فيأخذ طريقه إلى الهواء أو التربة أو الماء. هناك الكثير من الدراسات التي تشير إلى أن حوالي 30 في المئة من المخلفات الصلبة هي مخلفات إنشائية، والبعض من هذه المخلفات هي مصادر تلوث قوية لبيئتنا. فالمباني الخضراء تعطي هذا الموضوع أهمية خاصة وترى أن إنتاج هذه المخلفات ليس بالأمر الحتمي، وإن وجدت فهي ليست بالكميات التي نطرحها في الوقت الحاضر، بشرط أن نأخذ هذا الأمر في الاعتبار أثناء مرحلة التصميم والتنفيذ.

6 - ترشيد استهلاك المياه: لسنا بحاجة إلى التأكيد على أهمية الماء وبالأخص في منطقتنا التي لا تمتلك منها إلا القليل. وتتأكد هذه الأهمية عندما نعلم أن 60 في المئة من المياه العامة تذهب إلى المساكن والمباني، وبالتالي فإن ترشيد استهلاك المياه من خلال الأخذ ببعض التقنيات التي نراها في المباني الخضراء يعتبر معالجة جذرية وتعاملاً مباشراً مع مشكلة الهدر الذي نشهده في المياه.

المباني المريضة.. مصادر المرض وأساليب العلاج

في الكثير من الأحيان لا ينظر إلى البيئة الداخلية للمباني على أنها هي الأخرى بحاجة إلى حماية واهتمام على اعتبار أن البيئة الطبيعية في الخارج هي التي ينالها التلوث بفعل ما نطرحه من مخلفات وانبعاثات ضارة. ولكن الحقيقة أن إنسان اليوم يعيش جل وقته (ما بين 80 في المئة إلى 90 في المئة من وقته) في بيئة داخلية. فمن الطبيعي أن تتأثر صحة هذا الإنسان وسلامته بجودة البيئة الداخلية للمسكن الذي يعيش فيه والمكان الذي يعمل ويتواجد فيه.

هناك الكثير من الدراسات التي تؤكد أن البيئة الداخلية للمباني هي في الغالب أكثر تلوثاً من الخارج بل قد يصل هذا التلوث إلى عشرة أضعاف التلوث الموجود في الخارج. وهناك دراسة أجريت في إحدى الولايات الأمريكية، أشارت إلى أن تلوث الهواء داخل المباني يعتبر المسؤول الأول عن 50 في المئة من الأمراض التي قد تصيب الإنسان. بيئة داخلية مريضة وبمرضها يصاب الإنسان بأمراض كثيرة، أما كيف تمرض هذه البيئة، فهناك ثلاثة مسببات رئيسة وهي:

1 - النشاط الإنساني: ما دام الإنسان يمارس وجوده، يأكل ويتنفس ويعمل ويتحرك، فهو مصدر تلوث للبيئة التي يعيش فيها. ولكن البيئة الطبيعية كفيلة بمعالجة هذا التلوث بل هو جزء من دورتها الطبيعية المتكاملة بشرط أن نسمح للشمس أن تدخل وللهواء أن ينفذ. أما عندما يجعل الإنسان من نفسه مصنعا ينفث السموم بفعل سيجارته، فالمسألة لم تعد نشاطاً إنسانياً طبيعياً بل نشاطاً تدميرياً متعمداً. وتشير الدراسات إلى أن الدخان الذي تطلقه السيجارة يحتوي على أربعة آلاف وسبعمائة مركب كيميائي، وأن ثلاثة وأربعين منها على الأقل هي مركبات قد ثبت أنها مواد مسرطنة.

2 - الملوثات الخارجية: هناك ثلاثة مصادر أساسية للملوثات الخارجية التي قد تجد طريقها إلى داخل بيوتنا وأماكن عملنا. وهي الغازات التي تطرحها المصانع ووسائل النقل، والرطوبة وغاز الرادون. كل هذه الملوثات قد تتسرب إلى بيئتنا الداخلية من خلال الفتحات والشقوق واختلاف الضغط بين الداخل والخارج. فتراكم هذه الملوثات في بيوتنا مع مرور الزمن قد يعني لنا صداعاً خفيفاً أو مزمناً أو حساسية لا ينفع معها دواء أو مجرد شعور بالتعب والكسل والإرهاق. وقد تكون المسألة أخطر عندما يجد غاز الرادون طريقه إلى داخل بيوتنا، فهذا الغاز عديم اللون والرائحة هو مسبب رئيس لمرض سرطان الرئة وهو المسؤول عن وفاة عشرين ألف شخص سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية.



أشرف فقيه



أشرف فقيه

الكفاءة في تصميم الفراغات واختيار مواد البناء والتهوئة من أبرز ملامح المباني الخضراء

بيوتنا وأماكن عملنا قد تمرض، وبمرضها قد نمرض. ولذلك حان الوقت لجعلها خضراء

3 – الملوثات الداخلية: إن جميع مواد البناء الحديثة بلا استثناء هي مصادر تلوث لبيئتنا الداخلية، فهناك خمسة آلاف مركب كيميائي يدخل في صناعة أغلب مواد البناء المستخدمة في وقتنا الحاضر، والأصباغ لوحدها تحوي ما يقارب من 300 مادة سامة، ونصف هذه المواد السامة هي مواد معروفة بعلاقتها بالأمراض السرطانية. هذا العدد الكبير من المواد الكيميائية التي تدخل في صناعة مواد البناء والأصباغ والسجاد والأثاث هو المسؤول الأول عن تلوث الهواء بمركبات كيميائية وعضوية وعوالق، قد تجد طريقها كلها إلى داخل أجسامنا بالتنفس أو بطرق أخرى مسببة لنا الكثير من المشكلات الصحية والأمراض. فأحد هذه المركبات المشهورة وهو مركب الفورمالديهايد رخيص الإنتاج، وبسبب رخصه يدخل في صناعة الكثير من المواد المستخدمة في المنازل مثل السجاد والأصباغ والعوازل والبلاستيك والأرضيات وغيرها. فهذا المركب عديم اللون ذو الرائحة فقط عندما يكون بمستويات تركيز عالية، قد يسبب للإنسان صداعاً وحرقة في العيون وشعوراً بالاكتئاب، وهو من المركبات التي يحتمل أن يكون لها تأثير سرطاني حسب تصنيف المعهد الوطني الأمريكي للصحة والسلامة المهنية. وهناك مجموعة من المركبات الكيميائية، والتي يتراوح عددها ما بين 30 و 100 مركب، والتي يطلق عليها كلها "مجموعة المركبات العضوية المتطايرة" (TVOC) وسميت بالمتطايرة؛ لأنها تتبخر بسرعة من المواد التي دخلت في تصنيعها، هذه المركبات قد تتواجد بنسب قليلة وبالتالي سيكون لها تأثيرات صحية محدودة، ولكن المشكلة عندما تتراكم هذه المواد نظراً لعدم وجود تهوية كافية فإنها تشكل خطراً على صحة الإنسان. وحتى النسب القليلة غير مأمونة العواقب خاصة في البيوت والمدارس نظراً لطول مدة تعرض الإنسان لها.

وقد لا يقتصر الضرر على ما تطلقه هذه المواد من انبعاثات ضارة. فالسجاد الصناعي مثلاً يعتبر مصدراً قوياً لمركب الفورمالديهايد، ولكنه أيضاً مصدر قلق بسبب قدرته على امتصاص الكثير من الانبعاثات التي مصدرها مواد أخرى مستخدمة في المنزل ومن ثم إعادتها إلى الهواء مرة أخرى وبصورة تدريجية. وهناك خطورة أخرى تتمثل بقدرة السجاد الكبيرة على احتضان الكثير من الأوساخ والغبار، وبالتالي يكون بيئة مناسبة للكثير من الفطريات والبكتريا والتي وجودها بحد ذاته يعتبر مصدر العديد من الأمراض. ولعل أمراض الحساسية هي أكثرها شيوعاً.

قد يتصور البعض بأن التنظيف هو الحل للتخلص من كل هذه الأوساخ والفطريات التي احتضنها السجاد وهناك تنظيف رطب وتنظيف جاف وهو باستخدام المواد الكيميائية، ولكن التجارب أثبتت أن ليس هناك طريقة فعّالة لتنظيف السجاد بالكامل. فكلما أخرجنا كميات كبيرة من الأوساخ فما تبقى منها يظل هو الأكثر. أما التنظيف بحد ذاته، فإن كان بمنظفات كيميائية فما يتبقى من هذه المنظفات سيكون مصدراً للكثير من الانبعاثات الضارة. والتنظيف الرطب قد ينفع في التخلص من الكثير من الأوساخ والفطريات ولكن لمدة قصيرة جداً. فالرطوبة المتبقية في السجاد كفيلة بإعادة هذه الفطريات والبكتريا، وقد تكون هذه المرة الكميات أكبر والأنواع أخطر. فهناك دراسات كثيرة تربط بين إصابة الأطفال بمرض "الكاوازكي" وهو مرض تحسسي صعب، وتنظيف السجاد بالماء. ووجدت دراسة أخرى أن أغلب الأطفال الذين شملتهم هذه الدراسة والذين هم ممن أصيبوا بهذا المرض، قد أصيبوا به بعد تنظيف السجاد في المكان الذي يعيشون فيه. إذاً فالحل هو في عدم استخدام السجاد الصناعي قدر الإمكان والاستعاضة عنه بالسجاد المصنوع من الصوف والقطن الذي هو على شكل قطع يمكن الخروج بها إلى الخارج لتنظيفها والسماح للشمس والهواء الطلق بتعقيمها.

أساليب العلاج والوقاية

يعرف القليل منّا أن الهواء داخل بيوتنا فيه من التلوث والانبعاثات الضارة ما يفوق ما هو موجود في الخارج. والقليل منّا يعرف أن السجاد موطن للكثير من الكائنات التي لا تكف عن مهاجمتنا ليلاً ونهاراً. والقليل منّا يعرف أن هذا الثوب الجميل بلونه وملمسه الذي نلبسه لجدران بيوتنا هو السبب فيما نعانيه من صداع وحساسية وإرهاق. أما الآن وبعد أن تبين لنا أن بيوتنا وأماكن عملنا قد تمرض، وبمرضها قد نمرض، فقد حلّ الوقت لنجعل من هذه البيوت والأماكن خضراء، فتتاح لنا فرصة أكبر للعيش بصحة وسلامة.

هذا الأمر يتطلب ثلاثة شروط رئيسة: تجنب استخدام مواد البناء الضارة بقدر الإمكان، عزل ما يستخدم من هذه المواد الضارة حتى لا تكون على تماس مباشر بالبيئة الداخلية، وأخيراً التهوية الجيدة والتي هي الطريق للتخلص من الهواء الفاسد والملوث وأعادت النقاء إلى الهواء الذي نستنشقه. وفي ما يأتي شرح موجز لهذه الشروط الثلاثة:

1 – التقليل قدر الإمكان من استخدام مواد بناء وأثاث تدخل في تصنيعها مركبات كيميائية معروف ضررها. فالسجاد الصناعي يستعاض عنه بالسجاد الطبيعي المصنوع من الصوف والقطن. وبذلك نتجنب الكثير من المشكلات الصحية المرتبطة بالسجاد الصناعي. والأصباغ ذات القاعدة المائية باتت تشكل خياراً صحياً بديلاً لذوات القاعدة الزيتية. وهناك جهود علمية وبحثية واسعة واستثمارات كبيرة لإنتاج وتصنيع الكثير من مواد البناء الخضراء، خاصة في الدول الأوروبية وكندا وأمريكا وغيرها، وهذا سيجعل استخدامها غير مكلف اقتصادياً.

2 – التهوية والإضاءة الطبيعية: من الضروري أن نجعل بيوتنا وأماكن عملنا تتنفس بصورة كافية وجيدة حتى يمكنها التخلص مما يتراكم فيها من غازات ضارة وانبعاثات ملوثة وعوالق خطرة على صحتنا وسلامة أبداننا. إذا كانت الخيارات أمامنا محدودة لتجنب الكثير من مواد البناء والأثاث والأصباغ الملوثة لبيئتنا الداخلية، فإن التهوية الجيدة تأتي كأفضل خيار يعيد الصحة لبيوتنا والسلامة لأبداننا. وتتطلب التهوية الجيدة وجود نظام تهوية يضمن لنا تجدد الهواء في الداخل بالكامل بمعدل مرة كل ثلاث ساعات. ولا يكفي أن نترك مهمة التهوية لأنظمة التكييف والتي هي في العادة تعتمد على تدوير الهواء مع تنقية جزئية لما يعلق فيه من عوالق وانبعاثات ضارة. هناك عدة نظم للتهوية، فهناك التهوية الطبيعية والتي تعتمد على حركة الهواء وما يشكله من تخلخل في الضغط بين الداخل والخارج، وطبعاً للشكل الخارجي للمبنى دور مؤثر في حركة الهواء، ولواقط الهواء التي نشاهدها في البعض من المباني التقليدية هي أنظمة تهوية طبيعية فعّالة في الكثير من الحالات. أما التهوية باستخدام أنظمة ميكانيكية، فهي مطلوبة بشرط أن تستخدم بأقل قدر ممكن من استهلاك الطاقة وأن تعمل على تهوية المبنى كلياً. أما بخصوص الإضاءة الطبيعية فهناك مثل إيطالي يقول "عندما لا تدخل الشمس إلى البيت فإن الطبيب سيدخله بالتأكيد". فضوء الشمس ليس نوراً يعيد البهجة إلى بيوتنا فقط، وإنما هو طاقة فيها الكثير مما هو ضروري لسلامة وحيوية بيئتنا الداخلية. فهو كفيل بغسل الهواء الذي نتنفسه من الكثير من العوالق والمركبات الكيميائية التي يختنق بها هذا الهواء في الداخل، وهو أيضا سلاح مدمر للفطريات والبكتريا التي وجدت لها، وبالرغم منا، مستوطنات تريد منا أن نعيش تحت رحمتها وسطوتها.

3 – العزل قدر الإمكان لكل المصادر المحتملة لتلوث بيئتنا الداخلية. والبيوت والمباني التي تكثر فيها التشققات وأماكن التسرب معرضة أكثر من غيرها لتراكم الملوثات والغازات الضارة وبالأخص تلك القادمة من خارج البيت. وإذا كان استخدام العوازل بات ضرورياً في ظل متطلبات ترشيد الطاقة وإيجاد البيئة الداخلية المريحة، فهذا لا يعني أن نتركها في تماس مباشر مع بيئتنا الداخلية وبالتالي نكون معرضين لخطر انبعاثاتها وما ينفصل عنها من عوالق خطرة. ولا بد كذلك من الاهتمام بقاعدة المبنى تجنباً للملوثات القادمة من الأرض وبالأخص غاز الرادون والرطوبة وكلاهما مصدر خطر على بيئتنا الداخلية.

الخلاصة.. المباني الخضراء هي مبان تفهم لغة الطبيعة وتهتم براحة وسلامة الإنسان

المباني الخضراء هي دعوة صادقة إلى الإنسان لتصحيح علاقته مع الطبيعة، فأنانية الإنسان وعدم اكتراثه بما يلحق هذه البيئة الطبيعية من أضرار بفعل إصراره على استهلاك الموارد الطبيعية، وبوتيرة تتجاوز كثيراً ما هو مطلوب وضروري لإشباع حاجاته ومقومات وجوده، استهلاك يصاحبه لا مبالاة بقدرة الأرض والهواء والماء المحدودة لاستيعاب ما نطرحه من مخلفات ضارة وملوثات متنوعة، كل هذه الأنانية واللا مبالاة بحاجة إلى وقفة تعيد إلينا رشدنا حتى لا نكون في النهاية ضحايا ظلمنا وجهلنا.

المباني الخضراء هي دعوة إلى رفض كل المحاولات لجعل مساكننا وأماكن عملنا مستودعات للآلاف من المواد الكيميائية التي أبسط ما يقال عنها إنها مواد لم يختبر ضررها على الإنسان. إننا نستحق أن نعيش التسعين في المئة من وقتنا في بيئة صحية ومريحة وليس في مستودعات نراكم فيها ما نريد وما لا نريد.



زاد المعلوم

1 البعوض يفضِّل هؤلاء

لماذا يهاجم البعوض أناساً محددين أكثر من غيرهم؟ والجواب بسيط: لأن هؤلاء يؤمّنون لهذه الحشرة خصوبة أكبر. فخلافاً للاعتقاد الشائع، فإن البعوض لا يتغذى على الدم، بل على المواد السكرية كرحيق الأزهار وما شابهه. أما الدم فهو يحوي بعض المواد الضرورية لخصوبة الإناث من هذه



Stock.Xchng

الحشرات، وتفقيس بيضها، مثل الكوليسترول والفيتامين ب. ولهذا، فإن الإناث وحدها هي التي تهاجم الإنسان وتلسعه.

وتختار البعوضة ضحيتها بواسطة «لواقط كيميائية» موجودة في الهوائيين الدقيقين في مقدمة رأسها. وتتمكن بواسطتهما من تحليل جزيئات الإفرازات على سطح خلايا بشرة الإنسان مثل ثاني أكسيد الكربون خلال التنفس، والحمض اللبني الناجم عن مجهود جسماني كبير.

وفي هذا المجال يقول الباحث الفرنسي فردريك دارية «إن هناك أناساً يفرزون من هذه المواد أكثر من غيرهم..» ولهذا فإن الأشخاص الناشطين هم عرضة للسع البعوض أكثر من غيرهم.

ومن عوامل جذب البعوض أيضاً هناك الملابس الداكنة في محيط مضاء. لأنه بالإضافة إلى «اللواقط الكيميائية»، فإن أنواع البعوض وعددها 2700 تقريباً تتمتع كلها بقدرات بصرية فائقة الحساسية، وأيضاً بكاشفات للحرارة. ولذا فهي تهاجم أكثر الأماكن سخونة في الجسم مثل الرأس والعنق.



2 من آثار التلوث على الحيوان



Stock.Xchng

كثرت في السنوات الأخيرة الدراسات التي لحظت تغيراً كبيراً في تصرف بعض الحيوانات وخروجها عن سلوكها المألوف، حتى أصبحت هذه الملاحظات مادة دراسة بحد ذاتها.

فبعد ما سجلت زيادة الحركة عن بعض الأسماك، والكسل عند الضفادع، وانعدام الخوف عند الفئران، وتغير العادات التناسلية عند بعض أنواع القرود والهررة، توصل العلماء إلى تحديد مجموعة من المواد الكيميائية المسؤولة عن هذه التغيرات من خلال أثرها على عمل بعض الغدد عند الحيوان، مثل الرصاص وبعض المعادن الثقيلة.

يقول الباحث كونراد لورين من أكاديمية العلوم النمساوية إن ما يثير القلق هو الانتشار الواسع لهذه الظاهرة. أما إيثان كلوتفلتر من جامعة «أميرست» الأمريكية فيرى في الأمر مؤشراً بالغ الخطورة قائلاً: «إن هذا التبدل في التصرف ربما يكون حالة تسبق عادة انقراض النوع».

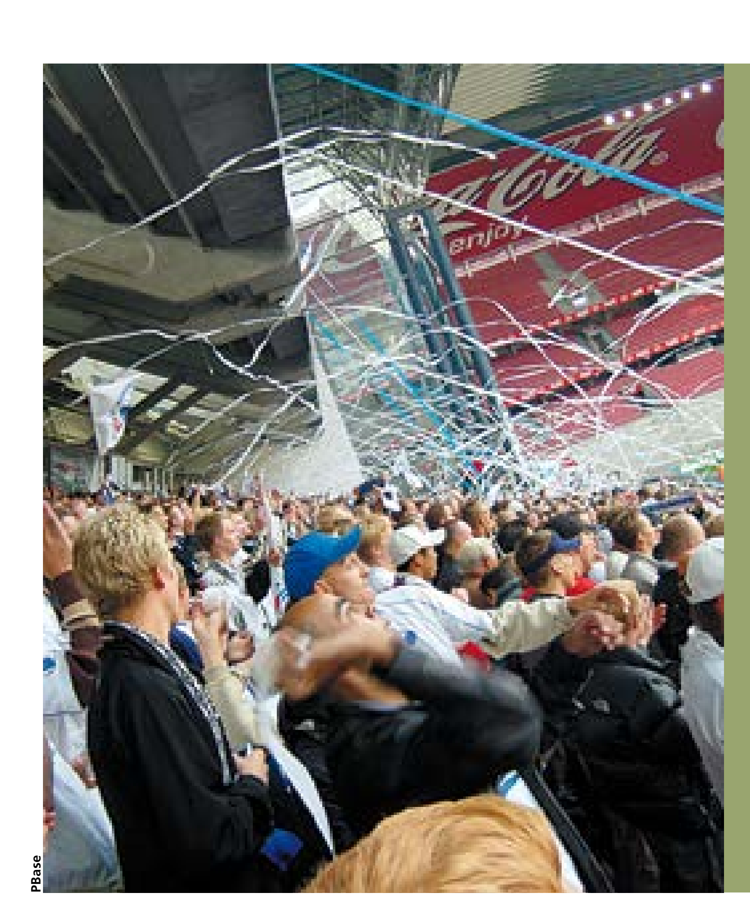
3 انتفاخ القدمين

أحياناً يشعر المرء بأن قدميه طبيعيتان عند الصباح، ولكنهما تنتفخان مساءً، فيشعر برغبة قوية في التخلص من الحذاء. نشرة «مايو كلينيك» الشهيرة خصت هذا الموضوع ببحث صغير، ومما جاء فيه أن الانتفاخ ينتج عادةً عن تجمع السوائل في الأنسجة. فالجاذبية تسحب السوائل إلى القدمين، وللتخلص منه تعطي النشرة التوجيهات الاتية:

Stock.Xchng

1 – تخفيف الملح في الطعام، فالملح يساعد على احتباس السوائل.
2 – الاستلقاء على الظهر ورفع القدمين حتى 30 سم فوق مستوى القلب من 10 إلى 15 دقيقة، ثلاث أو أربع مرات في اليوم.
3 – تجنب الجلوس لفترة طويلة. فمن الضروري أن يتحرك الإنسان ويمشي ولو لدقيقة أو اثنتين كل ساعه أو ساعتين.
4 –تخفيف الوزن الزائد. لأن السمنة تبطئ الدورة الدموية، وتشكل ضغطاً أكبر على الأوعية الدموية.
5 – استعمال جوارب خاصة إذا لزم الأمر. وهي متوافرة بمقاسين، يمكن للطبيب أن ينصح بالمناسب منهما.
6 – استشارة الطبيب حول الأدوية من قبل مستعمليها. لأن بعض الأدوية مثل مضادات الالتهابات وغيرها تسهم في الانتفاخ.
7 – إذا كان الانتفاخ مستديماً، أو مصحوباً بضيق في التنفس أو بزيادة في الوزن، أو وصل إلى مرحلة مؤذية للجلد، فلا بد من مراجعة الطبيب فوراً.

4 كرة القدم الفائزون أكثر عنفاً



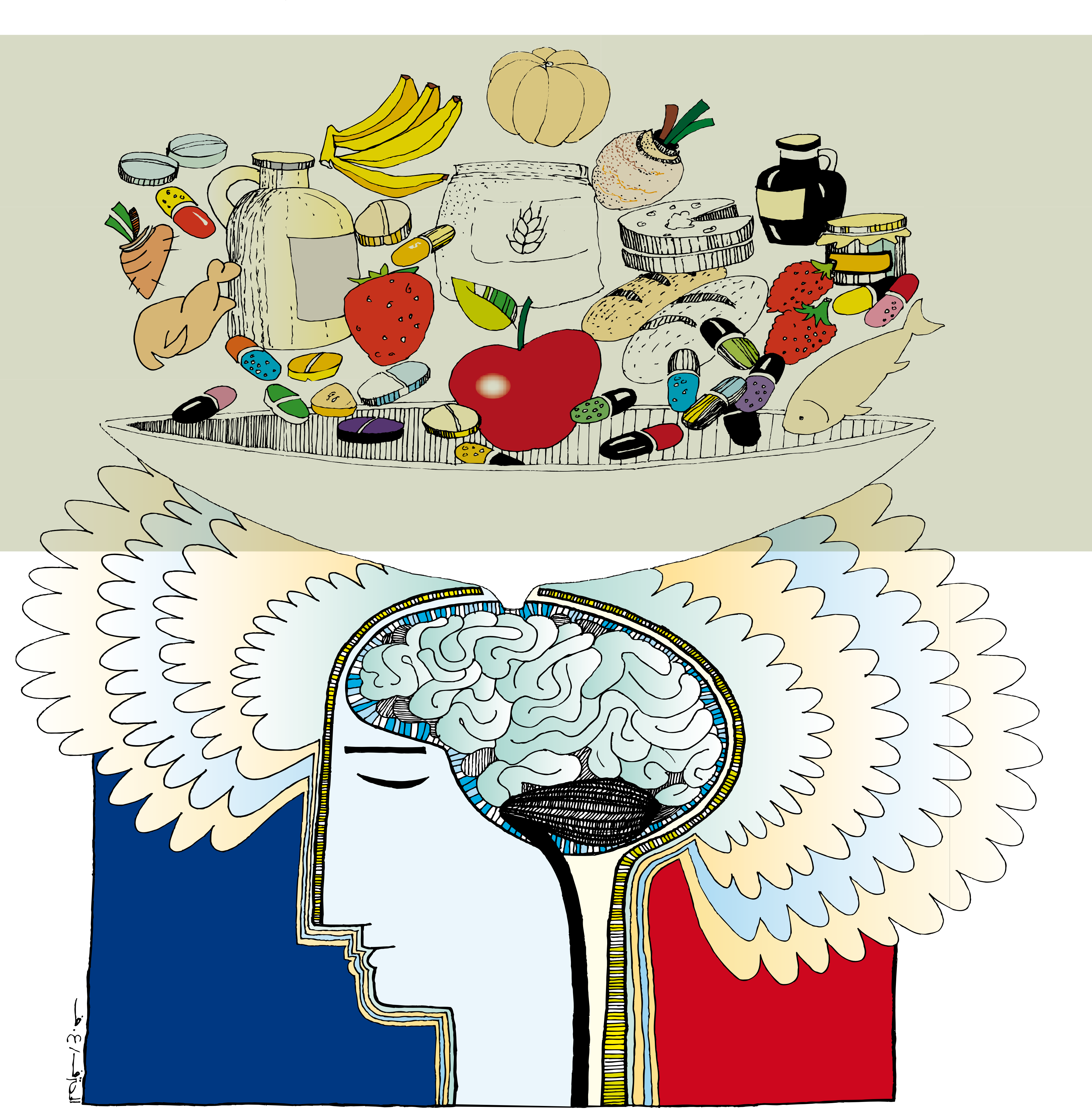
PBase

الفوز في مباراة كرة القدم يجعل أنصار الفريق الفائز ومشجعيه أكثر عنفاً وميلاً إلى العدوانية من أنصار الفريق الخاسر. هذه هي الملاحظة المدهشة التي توصل إليها فريق من الباحثين في جامعة كارديف في بريطانيا.

وقد انطلق الباحثون من ملاحظتهم العامة أن مدينة كارديف في بلاد ويلز تشهد ما بين 21 و30 حادث اعتداء في كل يوم تجرى فيها مباراة في كرة القدم. ودهش الباحثون عندما وجدوا أن ذروة هذه الاعتداءات تصل إلى 33 عندما يفوز فريق المدينة، وتنخفض إلى 25 عندما يخسر.

وتأكد الباحثون أيضاً من أن الشجار العائلي الذي يكون بعيداً عن الملاعب يزداد أيضاً بشكل ملحوظ في بيوت المشجعين الفرحين بالفوز ويقل كثيراً في بيوت المشجعين الخاسرين.

وفي تفسير هذه الظاهرة، يقول العلماء إن الثقة الزائدة بالنفس التي يوفرها الفوز في الملاعب هي التي تغذي الميول العدوانية عند المشجعين إذ يعتقدون أن هذا الفوز يسمح لهم استثنائياً بتصرفات ليست من حق الخاسرين.



التغذية والعقل..

بعد أن أشاعت التوعية الإعلامية حول أهمية الغذاء في حياة الإنسان الكثير من المفاهيم الصحيحة حول ما هو ضار أو نافع بشكل عام، بات من الممكن التوقف أمام أثر الغذاء في جوانب محددة من جسم الإنسان.

الدكتور محيي الدين لبنية* اختار أن يحدثنا هنا عن أثر التغذية على العقل وانعكاساتها المختلفة على الأداء الذهني والذاكرة وصولاً إلى الحالة العصبية والنفسية.

* استشاري تغذية بمستشفى الملك فهد في المدينة المنورة

عرف القدماء أضرار التخمة على عقل الإنسان، وشاع المثل القائل: "البطنة تذهب الفطنة"، وكثرت أقوال مشاهير السلف في ذلك. ويؤكد الأطباء في العصر الحديث على دور التغذية الجيدة في صحة الجسم والعقل، وشاع المثل الذي قاله أفلاطون "العقل السليم في الجسم السليم".

وعرفت تأثيرات حالات النقص الغذائي لبعض الفيتامينات والأحماض الأمينية وعناصر معدنية ضرورية للجسم، وكذلك الإفراط في تناول عناصر غذائية يحتاج الجسم إلى مقادير محددة منها، وأضرار الإدمان على المسكرات، وشرب السوائل المحتوية على الكافيين على الجهاز العصبي للإنسان وبالتالي سلوكه، وهناك اعتقاد بأن بعض العناصر الغذائية يؤثر على تركيز ونشاط المركبات المهمة في مخ الإنسان، ويبدي دماغه ردود فعل متباينة للتغيرات في مكونات طعامه.

نقص فيتامين «ب 12» وحده على سبيل المثال يؤدي إلى اضطرابات عقلية واكتئاب وذهان وضعف في الذاكرة



نقص أفراد فيتامين ب

اكتشف العلماء تأثيرات النقص الغذائي لبعض أفراد مجموعة فيتامين (ب) على الجهاز العصبي للإنسان، فيؤدي نقص فيتامين الثيامين (ب1) إلى حدوث مرض البري بري (Bri Bri) واعتلال عصبي محيطي واعتلال دماغي (Laigh's encephalopathy) أو تناذر ويرنك – كيراساكوف (Wernicke -Kersakoff). وتتصف الأعراض المبكرة لنقص هذا الفيتامين بشعور المريض بتعب جسمي وقلة الاهتمام بنفسه وشكواه من حالات عدم استقرار عاطفي وسرعة التهيج والغضب والخوف وفقد شهيته للطعام. ويعتقد الأطباء بالدور المهم لفيتامين الريبوفلافين (ب2) في تطور عقل الجنين وهو أقل وضوحاً في الشخص البالغ. وتكون حالات نقص هذا الفيتامين قليلة الحدوث لانتشار وجوده طبيعياً في عدد كبير من الأغذية، ويسبب نقص فيتامين النياسين (حمض النيكوتنيك) مرض البلاجرا (Pelagra) الشائع حدوثه في المناطق الفقيرة في العالم وبين المدمنين على شرب المسكرات، ومن أعراضه شعور المصاب بفتور في الشعور والاكتئاب وعدم الاستقرار العاطفي والتهيج والخوف وفقد الذاكرة، أما فيتامين البيردوكسين (ب6) فله دور في بناء بعض المركبات الناقلة للتيارات العصبية للمخ ويؤدي نقصه إلى حدوث التهاب في الأعصاب المحيطية في الجسم ويسبب نقصه في الأطفال الرضع تلفاً في أدمغتهم وتخلفاً في عقولهم. وتستعمل المستحضرات الصيدلانية لهذا الفيتامين في علاج حالة الاكتئاب والاضطرابات النفسية وكذلك الاكتئاب المصاحب لاستعمال المرأة حبوب منع الحمل وفي علاج الأعراض النفسية المصاحبة لتناذر قبل الحيض.

وعُرف دور فيتامين الكولين الموجود غالباً على شكل مركب الليثسين (lecithin) في الأغذية مثل صفار البيض والدهون الحيوانية، والكولين والليثسين مادتين أوليتين تستعملان في بناء مركب أستيابل كولين (acetyl choline) وهو ناقل عصبي في مخ الإنسان وله دور في عمليات الذاكرة. لذا يصاحب الاختلال العقلي (الحثل) في مرضى الزهيمر (Alzheimer's demensia) نقص في العصبونات المحتوية على أسيتايل كولين، ويستخدم الكولين في علاج حالة الخبل (demensia). وأكدت معظم الدراسات العلمية فوائد مركبي الكولين والليثسين في تحسين ذاكرة المريض، وحقق استعمالهما بعض النجاح في علاج مرضى الزهيمر.

ولاحظ الأطباء انخفاض مستوى فيتامين حمض الفوليك في دم مرضى الاكتئاب وانفصام الشخصية فساعد إعطاؤهم هذا الفيتامين في العلاج على حدوث تحسن ملموس في حالتهم الصحية. وينتشر ظهور نقص هذا الفيتامين بين كبار السن والمصابين بأمراض مزمنة، وعند استعمال بعض الأدوية التي تخفض مستواه في الدم مثل حبوب منع الحمل وأدوية علاج السرطان، وتتصف أعراض نقص حمض الفوليك بالشكوى من الذهان والهذيان.

كما يسبب نقص فيتامين ب12 ظهور أعراض نفسية واضطرابات عقلية كالتهيج وضعف الذاكرة وتغير المزاج واكتئاب وذهان قبل ظهور تغيرات حسية على شكل فقر دم خبيث، وتختفي الأعراض العصبية لنقص فيتامين ب12 عند حصول المريض على مقادير كافية منه. لكن يتعذر في الحالات الشديدة لنقصه إصلاح التلف الذي حدث في أعصاب المريض، وتنتشر حالة نقص هذا الفيتامين بين أفراد الطائفة الهندوسية في الهند وغيرها وكذلك في الأشخاص النباتيين، وفي الظروف الطبيعية لا تظهر أعراض نقص حمض البنتوثنيك والبيوتين وهما أيضاً من أفراد فيتامين ب المركب، لكن يسبب انخفاض تركيزهما في دم الإنسان حدوث تغيرات في سلوكه الحياتي وشعوره بالاكتئاب النفسي.

نقص فيتامين ج

اكتشف الأطباء أن داء الحفر (scurvy) الناشيء عن نقص مزمن لفيتامين ج (حمض الأسكوربيك) في جسم الإنسان يصاحبه حدوث اضطرابات عقلية على شكل وسواس المرض وحالة اكتئاب والمراق (وهو داء عصبي) (hypochondriasis)، وتكون حالة نقص هذا الفيتامين نادرة الحدوث لانتشار وجوده في الأغذية كالخضراوات والفواكه وعصائرهما الطازجة.

الفيتامينات الزائدة تسمم الجهاز العصبي، وتقارير تربط ألومنيوم حلل الطبخ باعتلال الدماغ ومرض الزهيمر

حالات نقص أحماض أمينية

أظهرت الدراسات الحديثة أضرار النقص الغذائي لبعض الأحماض الأمينية الضرورية للجسم مثل التربتوفان (tryptophane) والتيروزين (tyrosine) على الجهاز العصبي للإنسان، ويستعمل الجسم التربتوفان داخل الجسم كمادة أولية في بناء فيتامين النياسين وهو أحد أفراد مجموعة فيتامين (ب) المركب والمستخدم بدوره في تكوين مركب السيروتنين (serotinin). ويعمل الأخير كناقل في الجهاز العصبي المركزي، ويرتبط نقص التربتوفان بحدوث حالة الاكتئاب للمريض واضطراب في نومه، واستعمل بعض الأطباء المستحضرات الصيدلانية للتربتوفان مع عقاقير أخرى في علاج اضطرابات سلوك الإنسان وحالة الاكتئاب كالتين تحدثان لمرضى باركنسون –وهو مرض عصبي– وفي الاكتئاب الجنوني وكانت نتائجه الأولية مشجعة، كما يكون الحمض الأميني التيروزين مادة أولية في إنتاج الهرمونين الكاتيكول أمين دوبامين ونوربنفرين في أدمغتهم وهو يضاد حالة الاكتئاب.

التسمم بالفيتامينات

كما يسبب الإفراط في تناول عناصر غذائية يحتاج الجسم إلى كميات صغيرة منها مثل الفيتامينات الذائبة في الدهون (أ وَ د) ظهور أعراض عصبية ونفسية وهما نادرتا الحدوث لكنهما يظهران عند الإفراط في تناول مستحضراتهما الدوائية، ويخزن هذان المركبان داخل الجسم فتظهر أعراض زيادة مستوييهما فيه، فيؤدي التسمم بفيتامين (أ) إلى حدوث اضطرابات نفسية على شكل تهيج وفقد الشهية للطعام وصداع ودوخة، كما يصاحب حالة التسمم بفيتامين د ظهور أعراض عصبية ونفسية تشمل شعور المريض بضعف وتعب وصداع.

أحماض نووية

جرب بعض العلماء استعمال الحمض النووي (nuclic acid) المعروف بـ "ر. ن. أ" (R.N.A) في علاج التخلف العقلي في الإنسان، وفي تحسين ذاكرة مرضى الخبل الشيخوخي (Senile demenia)، بعد أن عرفت فائدة إعطاء مستحضراته الدوائية في علاج حالتي حدوث الوهن العصبي والتشنجات العصبية، واكتشفوا فائدة المركب "ر. ن. أ" في علاج ضحايا مرض الزهيمر (Alzheimer disease)، ويستخلص هذا المركب تجارياً من خميرة المخابز (Backery's yeast).

نقص عناصر معدنية

يصاحب حدوث نقص عنصر الكالسيوم في جسم الإنسان شكواه من اضطرابات عقلية وعصبية، كما تسبب حالة نقص عنصر الماغنسيوم نتيجة عدم الحصول على مقادير كافية منه في الطعام أو الإدمان على شرب المسكرات ظهور اضطرابات نفسية عصبية على شكل تهيج واضطراب عقلي.

كما أن عنصر الليثيوم له دور مهم في علاج بعض الأمراض النفسية فتستعمل كربونات الليثيوم في علاج حالات الهوس وانفصام الشخصية والاكتئاب النفسي وفي الوقاية من الجنون، ولهذا العنصر فعل منظم للمزاج، وتعطى الأدوية النفسية للمرضى لوحدها أو مع الليثيوم، كما يصاحب انخفاض مستوى البوتاسيوم (Hypokalemia) في الجسم نتيجة حدوث بعض الأمراض أو الامتناع عن الطعام فترة طويلة شعور المريض بضعف عضلي واضطراب عقلي، ولحسن الحظ يندر حدوث هذه الحالة لانتشار وجوده في الكثير من الأغذية.

التسمم بالألمنيوم

يصاحب حدوث التسمم بعنصر الألمنيوم نتيجة إذابته من حلل الطبخ المصنوعة منه في وجود حامض أو قلوي عند تحضير الطعام فيها وامتصاص مقادير كبيرة منه في الأمعاء، حدوث اعتلال في دماغ المريض (Encephalopathy) له مظاهر مرضية سريرية تختلف

عن أعراض مرض الزهيمر وتربط بعض التقارير العلمية بين الألمنيوم وحدوث مرض الزهيمر لاكتشاف تركيز مرتفع منه في أنسجة أدمغة ضحاياه.

حدوث حالة سوء التغذية

لاحظ الأطباء من نتائج التحاليل المخبرية لأنسجة أدمغة الأطفال الذين عانوا من حالة سوء تغذية شديدة تعرف بالضوى (marasmus) -نتيجة عدم حصولهم على كميات كافية من الطعام فترة طويلة أو في حدوث حالة المجاعة- أن عدد الخلايا العصبية في أدمغتهم كانت أقل من أطفال آخرين حصلوا على تغذية جيدة وقيس في تلك الاختبارات كمية مركب "ر.ن.أ" الموجودة بالمخيخ (cerebellum) في الدماغ كدليل على عدد خلايا المخ.

مستحضرات غذائية صيدلانية لمعالجة الاضطرابات العصبية السكرية والمحيطية وصولاً إلى حالات الشلل الخفيف في الوجه

خطر شرب المسكرات

يفقد الإنسان عند شربه المسكرات القدرة على إصدار الأحكام السليمة والملاحظة والانتباه، فيجد الخطيب نفسه ينطلق لسانه في الحديث دون تفكير في عواقب ما يقوله. وللإدمان على شرب الكحول تأثيرات سمية على الجهاز العصبي ويسبب تدهوراً في وظائف المخ وحدوث الذهان (Psychosis) والخبل واعتلال عصبي محيطي، وفقد المدمن القدرة على التحكم بمزاجه وضعف قدراته العقلية والجسمية.

تأثيرات الكافيين

يوجد مركب الكافيين في مشروبات القهوة والشاي والكاكاو والمتة ومشروبات الكولا وهو منبه للجهاز العصبي المركزي للإنسان، ويحسن الإنجاز العقلي نتيجة تأخيره الشعور بالتعب، وتتباين تأثيراته على الأداء الجسمي والعقلي من شخص لآخر. كما يثير الكافيين الشعور باليقظة والنشاط والخفة والإنعاش، لكن يسبب الحصول على جرعة كبيرة منه شعور متعاطيه بالقلق والشد العصبي والرجفة فتقل قدرته على أداء أعماله العضلية والعقلية.

مستحضرات غذائية صيدلانية

تباع في الصيدليات العديد من مستحضرات الفيتامينات لوحدها أو مع العناصر المعدنية لفائدتها للجهاز العصبي للإنسان ومنها عقار بيروكا (Berocca) الذي يحتوي على فيتامينات ب1، ب2 وحمض النيكوتنيك وفيتامين ب12 وفيتامين ج وعناصر معدنية كالسيوم وفوسفات. ويفيد هذا المستحضر في علاج الالتهاب العصبي الغولي والاضطرابات العصبية الناشئة عن التسمم بالمعادن والتسمم بالفطريات والأدوية، كما يستعمل في علاج حالات نقص هذه الفيتامينات والعناصر المعدنية في الجسم وفي حالتي الحمل والرضاعة للمرأة وفي الأمراض المزمنة، كما يحتوي عقار نيروبيون (Neurobion) على فيتامينات ب1، ب6، ب12 التي لها أهميتها لعمل الجهاز العصبي للإنسان. ويوصي الأطباء باستعمال هذا الدواء في علاج الاضطرابات العصبية بما فيها الاعتلال العصبي السكري والالتهاب العصبي المحيطي في المدمنين على شرب المسكرات والاعتلال العصبي الذي تشكو منه بعض النساء أثناء الحمل وعند حدوث تسمم الحمل، ويمكن استعماله أيضاً في علاج الالتهاب العصبي والنيورالجيا لأعصاب الحبل الشوكي بما فيها حدوث شلل خفيف بالوجه.

الطعام النباتي

ازداد اتجاه قطاعات كبيرة من الناس خاصةً في أمريكا وأوروبا نحو تشجيع الإكثار من تناول الأغذية النباتية بما فيها الخضراوات والفواكه والحبوب والإقلال من تناول اللحوم، فيما يسميه البعض الغذاء النباتي (Macrobiotics) وهذا يشابه العادات الغذائية في بعض شعوب شرق آسيا. ويقوم هذا النظام الغذائي على أساس الموازنة بين احتياجات جسم الإنسان من طاقتي الأرض (Yin) وطاقة السماء (Yang) اللذين يؤثران كما يقال على كل شيء حول الجسم. ويتركب هذا النظام من الحبوب غير المزال منها قشورها كالقمح والمعكرونة والمخبوزات كي تحتفظ بعناصرها الغذائية وتمثل من 50 إلى 60 في المئة من حجم أية وجبة طعام، والخضراوات كالكرنب والجزر والفجل والبصل والقرع واللفت والخيار وتشكل من 25 إلى 30 في المئة من الوجبات الغذائية اليومية، وينصح أن يؤكل ثلثاها مطبوخاً، ويبتعد الشخص عن تناول البندورة والبطاطس، وتشكل بذور البقول كالفول والعدس والحمص 10 في المئة من حجم الوجبات اليومية، وتطهى إما لوحدها أو مع غيرها من الخضراوات أو مع الحبوب، وتؤكل عدة مرات أسبوعياً، وينصح في الأغذية المكملة بتناول القليل من الأسماك، وخاصة ذات اللحوم البيضاء، منها وكذلك ثمار الفواكه عدة مرات كل أسبوع، والابتعاد عن تناول لحوم الحيوانات والدجاج والألبان إلا إذا كانت هناك دواعي طبية لذلك. ويستحسن استخدام الأسماك ذات اللحوم البيضاء لاحتوائها على قدر أقل من الدهون، وتفضل الأنواع المملحة من الأسماك على الطازجة.

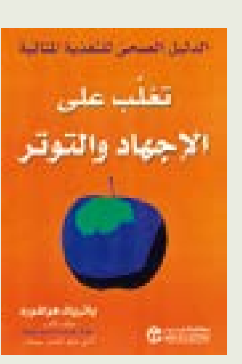
والقاعدة الذهبية لنظام التغذية النباتية هي تحقيق التوازن بين طاقتي الأرض والسماء فيما نأكل عن طريق تناول الحبوب مع قشورها والخضراوات كأساس له، فالإكثار من تناول الأغذية التي تحتوي على طاقة السماء كالسمك والدجاج واللحم البقري والبيض والملح بالترتيب الأقل فالأكثر تأثيراً يكون له تأثير الضغط والتضييق فتجعل من يأكلها يشعر بأنه تحت ضغط يميل إلى الغضب والعنف ويصبح عصبي المزاج وضيّق الخلق نتيجة لاكتسابه سلوك الحيوانات التي يأكل لحمها ومنتجاتها في طعامه. بينما يؤدي الإكثار من تناول الفواكه والبهارات والأعشاب والعسل وهي ذات طاقة أرضية إلى شعور من يتناولها بكثرة بأنه موزع ومشتت ومتعب وضعيف القدرة على التركيز. ويكون هذا النظام الافتراضي بلا شك هو أحد خيالات أهل الشرق، وهناك حاجة إلى أدلة علمية لإثبات وجود هذين النوعين من الطاقة اللذين يستند عليهما هذا النظام في اختيار أنواع الطعام الذي يؤثر على سلوك الإنسان وصحة عقله.

نظام الغذاء النباتي (Macrobiotics) يفتقر إلى الأدلة العلمية لإثبات وجود نوعي الطاقة المستند إليها

في المستقبل!!

تتركز اهتمامات بعض الأطباء المتخصصين في علاج الأمراض النفسية والعصبية على استخدام عناصر غذائية ذات فعالية على الجهاز العصبي للإنسان بإعطاء المركبات المولدة لنواقل التيارات العصبية ومنها الكولين والتربتوفان والتيروزين في علاج اضطرابات المخ غير الغذائية، لكن يتحتم دراسة تأثيرات مثل هذه المركبات بمقادير كبيرة على جسم الإنسان قبل استعمالها في علاج متلازمات عصبية ونفسية بعد أن أصبحت مستحضراتها الصيدلانية تباع من دون وصفات طبية في محلات تسويق الأغذية الصحية في الولايات المتحدة وأوروبا.

اقرأ للتغذية



راحة البال.. تبدأ من المعدة!

يتميز هذا الكتاب عن غيره من الإصدارات المتعلقة بالتغذية، بكونه يفرد مساحات واسعة للحديث عن أثر التغذية على الحالات النفسية والمزاجية من خلال أثرها على المخ.

يقع هذا الكتاب في 174 صفحة موزعة على أربعة أجزاء مختلفة هي: توليد الطاقة، تناغم أجهزة الجسم، المحافظة على الطاقة، ومعادلة الطاقة. وفي كل واحد من هذه الأجزاء هناك فصول تتناول أثر الغذاء على الحالة الذهنية والنفسية بشكل خاص، مثل المنبهات والتدخين في الجزء الأول، والمكملات الغذائية والوجبات اليومية عالية الطاقة في الجزء الأخير.

مؤلف هذا الكتاب هو البريطاني باتريك هولفورد، المعروف بكونه من الرواد العالميين في مجال الكتابة عن التغذية، والذي كان قد أسس عام 1984م «معهد التغذية المثالية»، وهو مركز بريطاني مستقل لا يهدف إلى الربح، ومخصص لإجراء أبحاث التغذية وممارساتها.

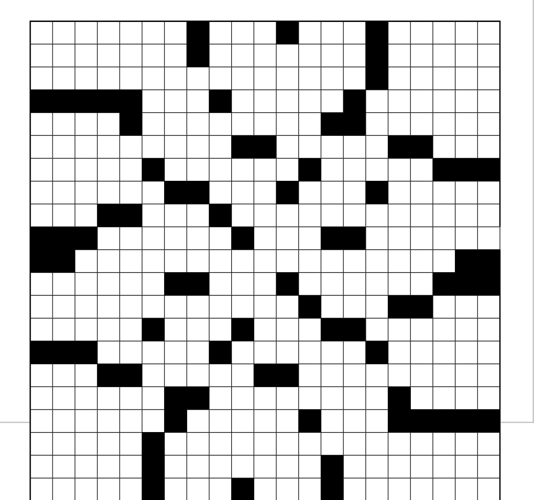
وننقل عن المؤلف في الفصل الأول قوله: «ليس من المفاجئ أنك إذا غيرت ما تعطيه لجسمك، فسوف تغير تماماً طريقة تفكيرك ومشاعرك.. وقد أثبتت تجاربنا منذ الثمانينيات أن إعطاء الأشخاص جرعات مثالية من الفيتامينات والمعادن يرفع معدل ذكائهم». ويضيف أن مسحاً أجراه معهده تضمن إعطاء أشخاص تغذية مثالية، كانت نتيجته أن 79 في المئة منهم لاحظ تحسناً في الطاقة، و60 في المئة منهم تمتع بذاكرة أفضل ويقظة عقلية أحسن، و66 في المئة بدا متوازناً عاطفياً بدرجة أكبر.

«تغلب على الإجهاد والتوتر» من إصدارات مكتبة جرير، 2004م.

قصة ابتكار

الكلمات المتقاطعة

الحاجة إلى ملء فراغ في الجريدة وراء ابتكارها



في أحد أيام ديسمبر من العام 1913م، وقع آرثر أوين، رئيس تحرير جريدة «نيويورك وورلد»، في مأزق تمثل باقتراب موعد طباعة الجريدة التي كانت تصدر يوم الأحد، ولا يزال أمامه فراغ على إحدى صفحاتها عليه أن يملأه بأية مادة ممكنة.

وفي لحظة ارتباكه أمسك بقلم وأخذ يكتب مجموعة من الكلمات المبعثرة من دون عناية بترتيبها، بحثاً عن فكرة لمادة صحافية. ومن ثم راح يكتب كلمة واحدة ويختار الحرف الذي تنتهي به ليكتب كلمة أخرى تبدأ بهذا الحرف. وسرعان ما وجد قصاصة الورق أمامه تتزاحم بالكلمات.. بعضها مكتوب بشكل أفقي والآخر رأسي.. وكل كلمة تتصل بأخرى من خلال حرف مشترك معها.

فكّر أوين بهذه الكلمات وأوضاعها، ورأى أنها قد تشكل مادة مسلية، أو لعبة جديدة تكون الكلمات وكتابتها بشكل صحيح مادتها، الأمر الذي لا يخلو أيضاً من الفائدة. فقام الرجل بمحو بعض الكلمات، وترك أماكن حروفها خالية. وكتب حلاً يتضمن معاني تلك الكلمات، بحيث يكون المطلوب من القرّاء تخمين ماهية الكلمات الناقصة استناداً إلى معانيها وعدد الفراغات المساوية لعدد الحروف الناقصة. ويسهّل ذلك على القارئ تقاطع الكلمات مع بعضها البعض وتوافر بعض حروفها. وأطلق أوين على هذه الأحجية «لعبة الكلمات المتقاطعة».

ظهرت أولى هذه الأحاجي في عدد 21 ديسمبر 1913م في جريدة «نيويورك وورلد». وأحب القرّاء هذه اللعبة المسلية والمفيدة منذ بدايتها. وبسرعة تبنتها عشرات الصحف الأمريكية، لتنتشر بعد ذلك في معظم الصحف والمجلات في العالم.

وفي عام 1924م، طبع أول كتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من أحاجي الكلمات المتقاطعة، وقد أهدي مع كل كتاب قلم مجاني للدعاية التسويقية، فكان أكثر الكتب مبيعاً في العالم آنذاك.

وفي تفسير عالمية النجاح الذي حظيت به الكلمات المتقاطعة يمكننا أن نشير إلى أنها قابلة للإنتاج بكل لغات العالم، وأدوات ممارستها تقتصر على قلم وعلى صورة الأحجية مطبوعة في جريدة أو مجلة حتى ولو مرّ زمن طويل على صدورها. كما يمكن لممارس هذه الهواية أينما كان هناك انتظار: خلال السفر الطويل، في عيادة الطبيب، في وقت الفراغ على شاطئ البحر، أو في السرير.. كما أن فائدتها الذهنية مهمة بدورها إذ تغني القاموس اللغوي للفرد إضافة إلى ثقافته العامة.

وحتى اليوم، لا يزال للكلمات المتقاطعة هواتها.. وتفنن معدوها في ابتكار أشكال مختلفة منها، مثل وضع صورة شخصية في مربع، وسهم للإشارة إلى الاتجاه الذي يكتب به اسمه في حال معرفته، كما عمد البعض إلى إعداد هذه الأحاجي حول محور محدد فتكون كل الحلول من مجال محدد كالجغرافيا، أو الفن، أو التاريخ، وما إلى ذلك.

قصة مبتكر

تشارلز بابيج

مبتكر الآلة الحاسبة البخارية!



حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت كل الأعمال الحسابية في عالم المصارف وعلم الفلك وما شابه تتطلب جداول رياضية معقدة لا يعرف إعدادها غير المتخصصين في الرياضيات.. وكان تشارلز بابيج أول من فكّر بطريقة تسهل عليه وعلى غيره عملية إعداد مثل هذه البيانات المعقدة.

ولد بابيج في سري بإنجلترا عام 1791م، وظهر ولعه بالرياضيات وعلم الحساب منذ الصغر. وفي العام 1812م، ولم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره، بدأ مشواره الطويل لاختراع آلة حاسبة، منطلقاً من قناعته بأن الآلة قادرة على إعداد الجداول الرياضية بدقة وسرعة أكثر من الإنسان.

تمكن بابيج بعد عشر سنوات من العمل من بناء آلة حاسبة ميكانيكية عرفت باسم «آلة الفروق». وكانت هذه الآلة تقوم بحسابات تشمل حتى ثمانية أرقام عشرية. ولكن مبتكرها لم يكن راضياً عن أدائها بل عزم على إنتاج آلة أسرع وأشمل قادرة على تكرار الحسابات وتخزين الأرقام وطباعة النتائج. وتمر سنوات عشر أخرى، ويرسم بابيج آلة حاسبة أخرى تعمل على البخار وسمّاها «الآلة التحليلية».

كان مقدراً لهذه الآلة الحاسبة أن تكون هائلة الحجم ومعقدة في تركيبها. فكانت عبارة عن مجموعة متشابكة من الأسطوانات والعجلات والروافع والقضبان.. ويمكن تلخيص ما يفترض بهذه الآلة أن تؤديه على الشكل الآتي: تقوم أعمدة من العجلات بتخزين الأرقام، ثم تغذى المعلومات داخل الآلة بواسطة بطاقات مثقوبة بحيث تمثل الثقوب وترتيبها أرقاماً وعمليات حسابية محددة. وتعمل هذه البطاقات بمثابة مفتاح يدير تروساً وروافع وعجلات بشكل يجعل الآلة قادرة على إجراء الحسابات التي تحملها البطاقات. كما كان بابيج أول من وعى قيمة الذاكرة الآلية، فصمم لآلته ذاكرة لتخزين المعلومات، وطابعة ذاتية لتسجيل النتائج.

ولضيق في ذات اليد وللسخرية والاستهزاء الذي واجهه من بعض علماء الرياضيات، ظل بابيج يكافح لمدة سبع وثلاثين سنة في سبيل بناء آلته التحليلية من دون أن يتمكن من ذلك.

عوّض هذا المبتكر عن فشله في بناء آلته بمجموعة أنشطة علمية أخرى. فكان أحد مؤسسي جمعية العلوم الفلكية التي تعرف اليوم باسم الجمعية الملكية للعلوم الفلكية. وألفّ عدداً من الكتب في عام 1832م حول «اقتصاد الآلات والصناعات».

توفي بابيج عام 1871م. وبعد ذلك بأربعين سنة، قام ابنه ببناء جزء من «الآلة التحليلية» ليثبت أن مشروع والده كان قابلاً للتحقيق. وأكثر من ذلك، فقد أثبتت السنوات اللاحقة أن «الآلة التحليلية» هذه كانت بالفعل النواة الأولى لصناعة الكومبيوتر الذي بدأ بدوره كبير الحجم ويشغل غرفة كاملة، وأصبح اليوم بحجم قبضة اليد.

اطلب العلم

التكنولوجيا الحيوية من التطورات الحديثة ذات الأثر البالغ في مستقبل البشرية. وهي تشمل في تطبيقاتها الهندسة الوراثية وإعادة تركيب الحمض النووي واستخدام البكتريا والفيروسات والأنزيمات وزراعة الأنسجة النباتية والأجنة الحيوانية ونقل الشيفرات الوراثية.

وقد أسهمت هذه التكنولوجيا في تحقيق تطورات نوعية مهمة وعديدة. ففي المجال الزراعي على سبيل المثال، ارتفعت المبيعات العالمية من المحاصيل المعدلة وراثياً من 75 مليون دولار في العام 1995م، إلى 1.5 مليار دولار

التكنولوجيا الحيوية
الواقع والمخاطر المحتملة

الدكتور نوزاد عبدالرحمن الهيتي *

عام 1998م. ويتوقع أن تصل إلى 25 ملياراً عام 2010م. وفي المجال الصحي، فقد نما سوق الدواء القائم على الجينات من 2.2 مليار دولار عام 1999م إلى 8.2 مليار عام 2004م. وإذا استمرت الأمور على ما هي عليه فستصبح التكنولوجيا الحيوية العامل الأول في النمو الاقتصادي العالمي قبل نهاية القرن الحالي.

ولكن بالرغم من الفوائد المحتملة لتطبيقات التكنولوجيا الحيوية، غير أنها قد تكون ذات مخاطر محتملة. فقد تتحول أبحاث التكنولوجيا الحيوية إلى أسلحة إذا اختار البعض هذا الطريق. ومن ثم تظهر الحاجة إلى حظر متعدد الأطراف لإنتاج الأسلحة البيولوجية، وإلى التفتيش لمراقبة الامتثال. علاوة على ذلك هناك ضرران محتملان ينبغي أن يخضعان للفحص الدقيق هما:

• **الأضرار المحتملة على صحة الإنسان.** إذ طالما مثلت التقنية الحيوية تهديدات على صحة الإنسان، فتطبيقاتها الحديثة في الرعاية الصحية من اللقاحات والتشخيصات وحتى العقاقير والعلاج بالجينات يمكن أن تكون لها آثار جانبية غير متوقعة. فمع الأغذية المعدلة وراثياً، هناك شاغلان: الأول، هو أن تقديم جينات جديدة يمكن أن يجعل الغذاء ساماً. والثاني، هو تسببها في التعريف بأنواع جديدة من مسببات الحساسية في الغذاء مسببة أعراضاً جانبية لدى بعض الأفراد.

• **الأضرار المحتملة على البيئة.** ويدعي البعض أن الكائنات المعدلة وراثياً يمكن أن تتسبب في الإخلال بالنظام البيئي من خلال ثلاث طرق هي:

1- حلول الكائنات المحولة محل الفصائل الموجودة وتغير النظام البيئي. وشواهد التاريخ القريب تدلل على هذا الخطر، فقد تكاثرت ستة أرانب أوروبية أدخلت على أستراليا في الخمسينيات من القرن التاسع عشر حتى وصل عددها إلى 100 مليون، وراحت تدمر الحيوانات والنباتات والحياة النباتية والحيوانية، واليوم تكلف هذه الأرانب الصناعات الزراعية الأسترالية 370 مليون دولار سنوياً. والسؤال المطروح الآن هو: هل يمكن أن تقوم الكائنات المعدلة وراثياً بغزو النظم البيئية بطريقة مماثلة؟

2- انتقال التدفق الجيني عبر النباتات إلى الفصائل ذات العلاقة بها مؤدياً، على سبيل المثال، إلى الحشائش الغريبة المفرطة.

3- يمكن أن تكون الجينات الجديدة ذات آثار ضارة غير متعمدة على الفصائل غير المقصودة، فقد أثبتت الدراسات المختبرية أن حبوب لقاح حب Bt corn المصممة لمقاومة الآفات يمكنها أن تقتل الفراشات الملكية في حالة استخدام قدر كافٍ منها.

وختاماً نقول إنه بالرغم من أن بعض المخاطر متطابقة في كل دولة، فالأضرار المحتملة على الأطفال من الثاليدومايد لا يختلف في سنغافورة عما هي عليه في تونس بالرغم من الاختلاف في المقدرة على السيطرة عليها والتعامل معها. غير أنه توجد مخاطر أخرى تختلف بصورة واضحة، فالتدفق الجيني من الحبوب المعدلة وراثياً يكون أكثر قابلية للحدوث في بيئة ذات فصائل متصلة بالحبوب عن بيئة ليست كذلك. لهذا السبب تكون المخاطر البيئية للتكنولوجيا الحيوية عادة خاصة بنظم بيئية فردية يجب تحديدها لكل حالة على حدة، وعادة ما تكون المخاطر الخاصة بصحة الإنسان أكثر شيوعاً عبر القارات.

* خبير في مجلس التخطيط بقطر










محمد حسن المهنا

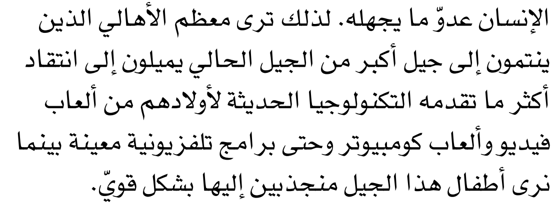
مصور ومدرس سعودي، من مواليد الأحساء عام 1969م. بدأت رحلته مع الكاميرا قبل نحو عشر سنوات، وشارك في معارض جماعية عديدة في المملكة وعلى مستوى الخليج قبل الانطلاق في معارضه الفردية بدءاً من العام 2003م.

حاز على شهادات تقدير عديدة وجوائز منها الجائزة الفضية في المهرجان العربي الأول بهامبورغ (المانيا) ومنحه المهرجان دبلوما في التصوير.

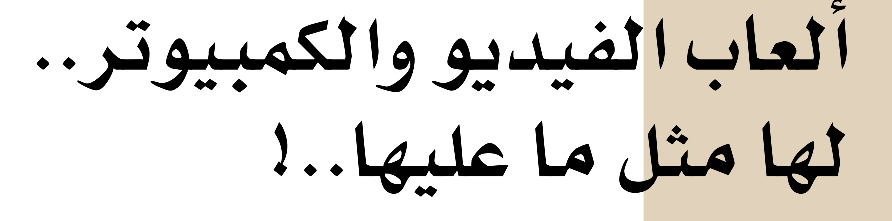


المصور محمد حسن المهنا

مجلة القافلة العدد 5 سبتمبر/أكتوبر 2005



ألعاب الفيديو والكمبيوتر.. لها مثل ما عليها..!



الإنسان عدوّ ما يجهله. لذلك ترى معظم الأهالي الذين ينتمون إلى جيل أكبر من الجيل الحالي يميلون إلى انتقاد أكثر ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة لأولادهم من ألعاب فيديو وألعاب كومبيوتر وحتى برامج تلفزيونية معينة بينما نرى أطفال هذا الجيل منجذبين إليها بشكل قويّ.

مما لا شك فيه أن الانتقادات المبنية على القواعد الأخلاقية التي يحكم من خلالها الأهل على الكثير مما تقدّمه التكنولوجيا الحديثة قد أصبحت معممة أكثر مما يجب. فكل ما علينا فعله هو محاولة اكتشاف تلك الألعاب والبرامج المختلفة لنرى أسباب نجاحها عند أطفالنا وإمكانية إفادتهم منها لكي يكون حكمنا عليها بشكل أصح.

يقول الكاتب الأمريكي ستيفن جونسون صاحب كتاب: "ليس كل ما هو سيّء غير جيد لك: كيف تسهم التكنولوجيا الحديثة في تطوير ذكائنا". إنّ مجمل ألعاب الفيديو والكومبيوتر ليست للبسطاء، بل إنها تتطلّب مهارات معينة، وفي الوقت نفسه تطور التناسق الحركي البصري الذي يُقرّ به حتّى النقاد.

هنالك الكثير من التفاعل ما بين اللاعب وهذا النوع من الألعاب، إذ تمارس علينا تلك الألعاب مجموعة معينة من التمارين العقلية. هذه التمارين متعلّقة بالتعامل مع عدّة أهداف في الوقت نفسه. ولا يجب خلط ذلك مع محاولة القيام بمهام مختلفة متزامنة كما يحصل في حياتنا اليومية، لأنّ الأمر الأخير يتعلّق بالقدرة على التعامل مع سيل فوضوي من الأمور التي لا علاقة في ما بينها. أما ألعاب الفيديو والكومبيوتر فتتعلّق بترتيب المهمات بشكل تراتبي صحيح، والتنقل بين تلك المهمات بالتسلسل السليم.

إنّ النتيجة التعليمية لاستخدام تلك الألعاب هي تطوير القدرة على اتخاذ القرارات وهو أمر يختلف عن الميل إلى الاسترخاء وتلقي المعلومات وتعلّم الدروس من الكتب أو أجهزة التلفزيون. وهنا يمكننا القول أنه بينما تُعلّم ألعاب الفيديو قدرة حلّ المسائل، تساعد الكتب على توسيع المخيّلة. إلا أنّه يجب التوقّف عند نقطة مهمة هنا، وهي أنني عندما سألت ابني ذي السنوات العشر عمّا يحبّه ويستهويه في ألعاب الكومبيوتر، كان جوابه على الشكل التالي: "هل يمكنكِ اللعب مع شخصيات سوبرمان والرجل الوطواط في الحياة العاديّة؟" قال إنه يستطيع القيام بذلك من خلال الاندماج بتلك الألعاب بالذات. لذا، لا يمكننا التقليل من أهمية مساهمة تلك الألعاب في تحريك مخيّلة أطفالنا وإغنائها. رغم أنّه من الإنصاف القول إن الشخصيات التي تعرضها تلك الألعاب تفتقد إلى البعد السيكولوجي الموجود في شخصيات النصوص الأدبية.

يمكن القول إنّ التكنولوجيا بما فيها ألعاب الفيديو والكومبيوتر وحتى البرامج التلفزيونية، أسهمت في زيادة نسبة الذكاء إذا ما قارنّا هذه النسبة مع ما كانت عليه في العقود الماضية. لقد قام الأمريكي جيمس فلين بتحليل معدّلات الذكاء (I.Q.) على فترة عدّة عقود ليجد أنّ معدّل الذكاء زاد بنسبة 13.8 نقطة عبر 46 سنة. أي أن شخصاً كان ضمن العشرة الأوائل في المئة بالولايات المتحدة في عام 1920م أصبح في الثلث الأخير لمعدّلات الذكاء في يومنا هذا. ويعتقد فلين أنّ السبب في ذلك هو التعقيد، والتحدّيات التي تفرضها الثقافة الحديثة على عقولنا. إنّ التقنيات الجديدة تقدّم طريقة جديدة للقيام بالأمور، وتدقّ أبواب مهارات جديدة لم يسبق لنا استخدامها من قبل. لذلك لا يجب علينا الخوف من الطرق الجديدة للقيام بأي نشاط. وبينما يُجْبَر الأولاد على التفكير مثل الراشدين، يجب على الرّاشدين التعلّم من الأولاد وحلّ رموز كلّ موجة تكنولوجية جديدة واكتشاف المكافآت الفكرية التي تقدّمها لنا تلك الألعاب.

وهنا لا بد من لفت النظر إلى أنّ الموقف السليم من هذه الألعاب يكمن في الموازنة بين الوقت الذي يمضيه الأطفال بين اللعب بها وبين القراءة وممارسة الرياضة. إذ أنّ لكلّ من تلك النشاطات فوائدها المختلفة التي تكمل الأخرى. فمن غير المقبول، على سبيل المثال، أن يمضي الطفل ساعات على لعبة كومبيوتر يمارس من خلالها كرة القدم نظرياً تبعده عن الممارسة الحقيقية لتلك اللعبة.

مهى قمر الدين

















التصفيق
الترحيب بلغة عالمية

يُقاطع به كلام الخطيب، ويُختتم به العرض الفني، تُستقبل به الشخصيات الكبيرة، ويُستكمل به تحقيق الأهداف في ملاعب كرة القدم.. إنه التصفيق. هذا الفعل المنتمي إلى لغة إنسانية واحدة، ويعني عادة تحبيذ قول أو فعل أو عمل أو شخصية، من قبل مجموعة أناس مدعوين علناً أو ضمناً إلى اتخاذ موقف. ولكن إضافة إلى معناه التحبيذي أو الترحيبي، فإن لفعل التصفيق دلالات عديدة مختلفة ومتناقضة، وآداب تطورت بتطور الثقافات. عن التصفيق ودلالاته يحدثنا فائق حمصي وإلياس سحَاب.

ما من مراجع حددت للتصفيق بداية معينة.. إذ يبدو حسب كل الدلائل أنه ولد بصورة عفوية كجزء من السلوك الإنساني. ومن غير الممكن أن يكون التصفيق قد عنى منذ بدايته ما عناه في أغلب الأحيان: التعبير عن التحبيذ والإعجاب.

في البداية كان التصفيق إشارة سبقت الكلام.. كان فعل مناداة، أو اجتذاب للحيوانات لكي تتقدم وتقع في فخ يُسهّل اصطيادها، أو زجراً وتحذيراً، وربما تضمن صوت ضرب الكفين ببعضهما تلويحاً بالضرب.

ولأن التصفيق هو حركة وبعث صوت ما في الوقت نفسه، سرعان ما اتخذ دلالات أكثر خصوصية، ولا سيما مع ظهور اللغة - حتى في بداياتها - فصار التصفيق تعبيراً عن صخب ما للفت النظر، ومن ثم للتعبير عن الإعجاب.

وفي يقيننا أنه من الصعب ربط بدايات التصفيق المعبر عن الإعجاب بأمة معينة.. خاصة وأن في إمكاننا أن نعثر على إشارات إليه، وغالباً في مجال تحبيذ جمع من الناس لما يفعله فرد منهم، في الملاحم القديمة من جلجامش إلى المهابهاراتا مروراً بالأدويسة والإلياذة وغيرهما. ونعثر على التصفيق أيضاً في محاورات أفلاطون، ولا سيما حين يختتم سقراط - بطل تلك المحاورات - عبارة ما، فيعبر الحاضرون عن موافقتهم بواسطة التصفيق.

وفي هذا الإطار، حسبنا أن نقرأ مسرحية «يوليوس قيصر» لشكسبير، حيث يطالعنا فعل التصفيق في واحد من أروع مشاهدها.. بل لعله المشهد الأكثر دلالة على ديماغوجية الساسة في تاريخ المسرح: إثر مقتل قيصر، يقوم سجال خطابي بين بروتوس وأنطونيوس أمام الجمهور. كل منهما يحاول أن يقنع هذا الجمهور بصواب رأيه: بروتوس بضرورة قتل القيصر، وأنطونيوس يشجب تلك الجريمة. فهنا نجد أنفسنا أمام منطقين وخطابين شديدي الذكاء.. أما الجمهور، فإنه يستخدم التصفيق مع الهتاف ليعبر عن رد فعله. والمهم في الأمر أن هذا التصفيق هو ما كان يسعى كل من الخطيبين إلى اجتذابه؛ لأنه في تلك اللحظة كان يعني موقفاً سياسياً محملاً بالدلالات.

تعدد الدلالات

والتصفيق كان دائماً محملاً بالدلالات.. في مجالات السياسة كما في مجالات الفن، وله تقاليده أيضاً.
والحقيقة أن التفاوت في مستوى تحريك اليدين خلال التصفيق، لا يقل أهمية في دلالاته عن طول الفترة التي يجري التصفيق خلالها.. وكذلك في عدد المرات التي يصفق فيها الجمهور عند نهاية عرض فني معين.

ومن الأمثلة الشهيرة التي يمكن ذكرها في هذا المجال عازف الجاز الشهير مايلز دايفيس الذي استعيد إلى خشبة المسرح ستاً وثلاثين مرة، بتصفيق كان يزداد حدة في كل مرة، خلال حفل قدمه في «المسرح الوطني» اللندني عام 1971م. وهو العدد نفسه تقريباً الذي استعيد به العازف روستروبوفيتش على خشبة المسرح نفسه حين قدم أولى حفلات عزفه في العاصمة البريطانية بعد مبارحته الاتحاد السوفياتي هارباً. وهنا، في حالة روستروبوفيتش كان التصفيق فنياً بالطبع، ولكنه كان أيضاً تعبيراً عن موقف سياسي.

ويمكن لمن يحب أن يتوغل في الأمر أن يجد للتصفيق دلالات عديدة غير دلالته الترحيبية، مثل تغطية موقف حرج يتعرض له شخص له مكانته، كالشاعر الذي خانته الذاكرة وهو يلقي قصيدة، فتلعثم وارتبك وسكت.وفي هذه الحال ينم التصفيق عن تهذيب كبير. وفي المقابل، فإن صفقة أو اثنتين ترميان إلى استدعاء نادل في مقهى، باتت اليوم تعتبر أمراً مهيناً ومستهجناً، بعدما كانت هي النظام السائد قبل جيل أو جيلين.

التصفيق في المسرح

من المرجح أن المسرح يشكل واحداً من أفضل المجالات التي تسمح لنا بإضاءة أكبر عدد من جوانب فعل التصفيق والغوص في تفاصيله.

يعود تاريخ التصفيق في المسرح إلى العروض المسرحية الإغريقية، إلا أن هدفه لم يكن إبداء الاستحسان، نظراً لأن حضور المسرحيات كان واجباً اجتماعياً، بل كان يتم في نهاية العرض، وبطلب من أحد الممثلين لتحية الممثلين في بعض الأحيان. أما جمهور المسرح الروماني فعرف نوعاً من التحيّة في نهاية العرض، أطلق عليها بعض الباحثين تسمية التصفيق الصامت، وهي عبارة عن وقوف المشاهدين والقيام بحركة باليدين تشبه إرسال القبل للمؤدين، ولم ينتظم التصفيق، كما نعرفه، إلا في عهد الإمبراطور "أوغست"، في مستهل القرن الميلادي الأول، وخاصة في العروض الشعرية، حيث كان أحد الموسيقيين، وعند نهاية العرض، يعطي الطبقة الصوتية التي على الجمهور اتباعها للتهليل بشكل كورس، ثمّ يتقدم ممثل آخر ليعطي إشارة البدء بالتصفيق.

وظلّ التصفيق في أوروبا مرتبطاً بمزاج الحاكم، الذي كانت تقدم العروض برعايته حتى القرن السابع عشر، فلا تضحك الرعية أو تصفّق أو تستحسن إلا إذا بدأ الحاكم بذلك.

ومع انتشار المسارح في التجمعات المدنية الكبيرة، في أوروبا (القرن السابع عشر)، وانتشار حركة التأليف المسرحي، وتقديم العروض للعامّة من الشعب، تكوّن جمهور المسرح الحر والذي كان يتجه لحضور العروض بقرار منه، وبدافع الفرجة، وبالطبع كان هذا الجمهور يصفّق مستحسناً ساعة يريد أو يصفّر مستهجناً أو يموء مقلداً الهررة للاحتجاج، وخاصة في إنجلترا حيث كان الرعب يدب في قلب المؤلفين، عند العرض، مما كانوا يسمّونه "MISTER MIAOU" أي "السيد مياو" ويقصدون به الجمهور الذي لن يعجبه العرض. إذن تحرر تعبير الجمهور من أوامر الحاكم، لكنه وقع تحت سلطة مديري المسارح، الذين لجأوا إلى تشكيل مجموعات تعمل لحسابهم بغية قيادة الجمهور في عملية التعبير عن شعوره خلال العرض (التصفيق خاصّة)، وكانت هذه المجموعات تعرف باسم "LA CLAQUE" وسنطلق عليها تسمية "جوقة المصفّقين". فما هي هذه الجوقة؟

> **التصفيق أنواع: للترحيب والاستحسان والتشجيع والمحاباة.. وصولاً إلى المبرمج**

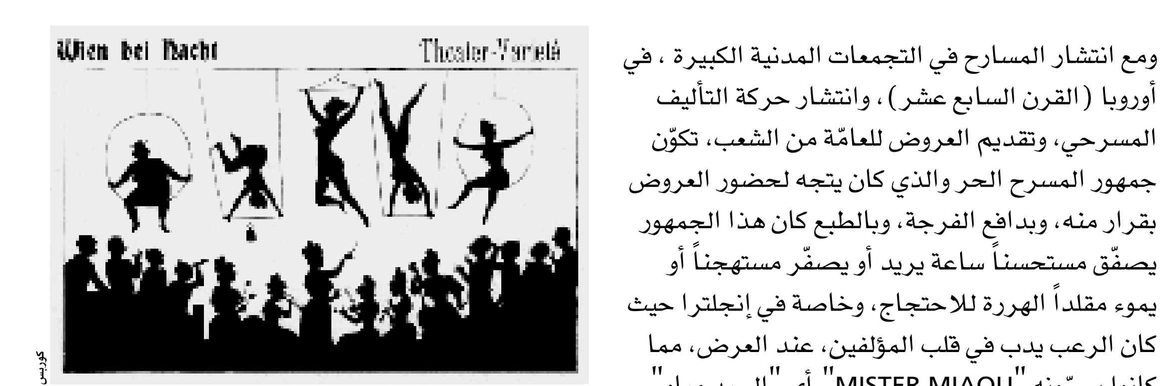
جوقة المصفّقين

جوقة المصفقين هي مؤسسة مؤلّفة من مشاهدين مرتزقة يعملون بقيادة رئيس وهو قائد الجوقة، الذي كان يلتزم بدعم عرض مسرحي لقاء مبلغ من المال، وقد ظهرت هذه الجوقات في القرن السابع عشر كمنظمات محترفة، واستمدت أهميتها في فرنسا خاصّة من التنافس بين المسارح والمخرجين والممثلين وبخاصة النساء منهم.

كان قائد الجوقة يحضر تمارين الفرقة ويقرر مع مدير المسرح أو المؤلف المواقف المراد دعمها، كما كان يقوم بتوزيع المهام على أعضاء الجوقة، فمنهم من مهمته التحريض على الضحك ومنهم من يستثير الجمهور للبكاء ومنهم، وهم الأهم، من يضبط عملية التصفيق، متى وكم، بناءً على توجيهات القائد ووفق رغبة من استأجرهم لقاء مال أو بطاقات مجانية. وقد ظلّ التصفيق محكوماً بجوقة التصفيق وقياداتهم، التي حظيت بدرجات متفاوتة من النجومية في هذا العمل إلى أن ألغاه مسرح "لا كوميدي فرانساز" أي المسرح الوطني، ثم ألغي بقانون فرنسي سنة 1902م.

التصفيق في عادات المسرح في بلادنا

نقل الفرنسيون معهم، إثر حملة نابليون واحتلاله لمصر، تقاليد العروض المسرحية بما فيها، على ما يبدو تقاليد جوقة المصفقين التي نقلت إلينا أخبارها بالتواتر. ففي



كوربس



كوربس

بطاقتين بريديتين تمثلان صالة الموسيقى ومسرح المنوعات في مسرح ليالي فيينا

بداية القرن العشرين ومع انتشار العروض المسرحية في شارع عماد الدين في القاهرة كان بعض المسارح يلجأ إلى استخدام مجموعات من المتفرجين لإثارة التصفيق في القاعات، وغالباً ما كان هؤلاء من العمال القادمين من الريف المصري. كما عرف مسرح "فاروق" في بيروت (لبنان)، في النصف الأول من القرن العشرين، جوقات المصفقين، الذين كانوا يجلبون من سوق الخضار، وفق ما رواه بعض الذين عايشوا هذا المسرح.

وإذا ما حصرنا كلامنا عن التصفيق في زمننا الحاضر، يمكننا التمييز بين عدّة أنواع من التصفيق وهي:

1 – التصفيق الترحيبي، ويطلقه الجمهور عادة عند فتح الستارة وقبل بداية العرض المسرحي. وهو إشارة استعداد إيجابي من جمهور المشاهدين لتقبل رسالة العرض، وإعلان عن الاستعداد للتفرّج.

2 – التصفيق الاستحساني، ويقوم به الجمهور عادة خلال العرض، تعبيراً عن إعجابه بموقف أو بأداء ممثّل أو بعبارة أو بحركة إخراجية مشهديّة أو صوتية، أو عند انتهاء مشهد أو فصل.

3 – التصفيق التشجيعي، ويطلق تعبيراً عن التقدير لممثل ما عند دخوله، وهنا تتفاوت ردّات فعل الممثل، فمنهم من يقف جامداً، ثم ينحني تحية للمصفقين، ثم يعود للتمثيل، ومنهم من لا يكترث ويحافظ على تركيزه متابعاً التمثيل.

4 – التصفيق المحابي، ويطلق عند تلعثم الممثل

أو انطلاقه في الضحك خارج الشخصية التي يؤديها.

5 – التصفيق المبرمج، وهو التصفيق الذي يطلقه الجمهور في أماكن معيّنة من العرض، وعادة ما يطلقه نفر من المشاهدين بالاتفاق المسبق مع المسؤول عن العرض المسرحي.

6 – التصفيق الاحتجاجي ويطلقه الجمهور عند تأخر بدء العرض المسرحي عن موعده المحدد.

7 – تصفيق التحية وهو التصفيق الذي يطلق بعد انتهاء العرض وعودة الممثلين للدخول جميعهم لتحية الجمهور.

آداب التصفيق الحفلات الموسيقية مثلاً

من المؤكد أن تصفيق الجمهور في الحفلات الموسيقية، يتوزع على أنماط كثيرة من السلوك، لها علاقة بنوع ومستوى الموسيقى التي تقدم على المسرح من جهة، وبمستوى جمهور المتلقين ومستوى المسرح نفسه، من

التصفيق في حفلات أم كلثوم وفي الحفلات الأوروبية، متشابه.. إلى حدٍ ما



أرشيف المحترف السعودي



PBase

جهة ثانية. ولا شك بأن أشد التقاليد صرامة في هذا المجال هي تقاليد التصفيق في حفلات الموسيقى الأوروبية الكلاسيكية.

ففي مثل هذه الحفلات، تبدو البلبلة واضحة بين المستمعين غير الملمين بهذه التقاليد والممارسين لها. ولعل العمود الفقري لتقاليد التصفيق في حفلات الموسيقى الأوروبية الكلاسيكية، يستند إلى ضرورة الصمت الكامل والإصغاء الكامل عندما تُؤدى هذه الموسيقى، حتى يصبح السعال مستهجناً (وليس التصفيق فقط).

غير أن التشدد في هذا السلوك الذي يحدد قواعد التصفيق الصارمة، في مثل هذه الحفلات، يصل ذروته في ضرورة الامتناع عن التصفيق إلى آخر القطعة الموسيقية المكونة من عدة حركات موسيقية، فلا يسمح بالتصفيق، إلا عند انتهاء الحركة الأخيرة. ولعل هذه القاعدة بالذات، هي الأكثر تعرضاً للمخالفة من قبل المستمعين غير المتمرسين بمثل هذه التقاليد الثقافية، إذ يصر هؤلاء على التصفيق عند نهاية كل حركة في السمفونية الواحدة (أو السوناتا الواحدة) مما يثير استهجان المستمعين المتمرسين بهذه التقاليد، والمتمسكين بها.

حفلات أم كلثوم والموسيقى العربية

فإذا انتقلنا بالموضوع إلى رحاب الموسيقى العربية، فإننا نقول إن ما يعرفه العرب من تقاليد مماثلة في الحفلات الموسيقية الجادة، ينحصر تقريباً في مجالين عمليين: حفلات أم كلثوم المسرحية الشهرية، وحفلات الموسيقى العربية الجادة كما أرسى تقاليدها الموسيقي الرائد عبدالحليم نويرة، وكما تقدمها فرق الموسيقى العربية المشابهة.

ومع أن تقاليد الاستماع والتصفيق في هذين المجالين، كانت شبيهة جداً بتقاليد التصفيق في حفلات الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية، من حيث المستوى الثقافي والوجداني الرفيع، إلا أنها كانت تختلف عنها تماماً في التفاصيل. ففي حفلات أم كلثوم، نمت تقاليد السماع والتصفيق وطلب الإعادة، رويداً رويداً بين أم كلثوم وجمهورها في مختلف البلاد العربية، وخاصة في القاهرة.

تختلف هذه التقاليد تماماً (في الشكل كما قلنا) عن مثيلتها في الحفلات الكلاسيكية الأوروبية، بأنها تتيح للجمهور التعبير عن إعجابه بالتصفيق (وحتى بالهتاف والتهليل) ليس فقط في آخر العمل الفني (الأغنية) بل في آخر كل مقطع منها، بل حتى عند أية نقلة لامعة وسط المقطع تثير إعجاب

الجمهور ونشوته. وأحياناً، يستعيض الجمهور عن التصفيق، إذا كان الموقف على حساسية فنية رقيقة وهامسة، بعبارات الهمهمة الهادئة، مثل: آه ويا سلام.

كما أن للتصفيق دوراً بازراً في حفلات أم كلثوم، تعبيراً عن الإعجاب بالمقطع الغنائي المنتهي، وطلباً لإعادته، بأسلوب التصفيق الجماهيري الذي يقاطع المقدمة الموسيقية للمقطع الغنائي الجديد، استعادة للمقطع السابق. حتى أن شيخ النقاد العرب الراحل كمال النجمي، كان يأخذ على جمهور أم كلثوم طمعه الجشع في كرم أم كلثوم بتلبية رغبته الدائمة بالإعادة، حتى أن التصفيق يتحول أحياناً نوعاً من تعبير الجمهور عن "عناده" بضرورة إعادة المقطع الغنائي، خاصة عندما تبدي أم كلثوم رغبتها بعدم الإعادة، إما دلالاً فنياً، أو إرهاقاً، أو رغبة فنية في الانتقال إلى المقطع التالي.

للتصفيق آدابه الخاصة.. أكثرها تشدداً في الموسيقى الكلاسيكية، وأكثرها فوضوية في أغنيات الشباب الصاخبة

أما في حفلات الموسيقى العربية التي تقدمها فرق الغناء الجماعي الراقية، فتقاليد السماع أقل تعقيداً، إذ ينطلق التصفيق مع نهاية كل أغنية أو معزوفة. والمشكلة الوحيدة التي تبرز في هذا النمط من الموسيقى العربية الرفيعة، اندفاع الجمهور أحياناً، عندما يعتمد اللحن على إيقاع حاد أو راقص، إلى مصاحبة الأداء الموسيقي والغنائي، بتصفيق موقع ينحدر بمستوى الأداء الفني إلى درجة مزعجة، ولا ينفع في مثل هذه المواقف لضبط الحماس الجماهيري المتفلت، سوى قوة شخصية قائد الفرقة.

أما التصفيق المطالب بالإعادة في حفلات الموسيقى العربية الراقية، فيستجاب عادة بإعادة تقديم الأغنية (أو المعزوفة) نفسها، إذا كانت قصيرة، أو إعادة تقديم المقطع الأخير منها، إذا كانت طويلة. ويحدث بشكل استثنائي أن تكون نشوة الجمهور طاغية، لدرجة الإصرار (بالتصفيق المتواصل) على إعادة الأغنية كاملة، مهما كانت طويلة. وغالباً ما ينحني قائد الفرقة أمام إلحاح الجمهور، إذا كان واضحاً ومصراً.

التصفيق الموقع، والتصفيق الغريزي

غير أن ملف التصفيق في الحفلات الموسيقية، ما زال يحمل أنماطاً أخرى، غير التي استعرضنا في السطور السابقة. من أهمها حتماً، التصفيق المصاحب للأنواع التقليدية من الغناء الخليجي، حيث يتجاوز التصفيق وظيفته المعتادة بالتعبير عن الإعجاب والنشوة في وسط الأغنية أو آخرها، إلى قيامه بدور موسيقي إيقاعي يفوق أحياناً في روعته وجماله دور الآلات الإيقاعية نفسها، ويمتاز هذا النوع من التصفيق الإيقاعي في نمط معين من الأغنيات الخليجية، باعتماده إيقاعات شديدة التعقيد، لاستنادها إلى الإيقاعات المتعاكسة المتصادمة غير المبسطة، الأمر الذي يضفي على الغناء حرارة تمتاز بها الأغنية الخليجية، حتى أن هذا النشاط الموسيقي ذا الطابع الفولكلوري، تحول بعد ذلك من الغناء، إلى مرافقة أهازيج وهتافات الجمهور الذي يشجع فريقه المفضل في كرة القدم، أو منتخب بلاده.

بقي نمط آخر من التصفيق المرافق للحفلات الغنائية تعمدنا تأجيل الحديث عنه، حتى آخر المقال، هو النمط الصاخب، الأقرب إلى الانفجار الغريزي للأحاسيس، وعادة ما يرافق هذا النمط أغنيات الشباب المعتمدة على الحركة اللحنية السريعة، المحفزة على الرقص، أكثر من الغناء. كما أن هذا النمط يروج كثيراً في الأماكن التي تغلب فيها تقاليد السماع الغريزي الصاخب، وتتراجع، بل تختفي، تقاليد السماع الراقي الوجداني المتأمل، لأنها لا تناسب الموضوع أو المكان.



Flickr

من الطفولة.. إلى شد الميزان المغربي

حينما كنت صغيراً لم يكن هناك شيء يرعبني أكثر من تصفيق والدي. كلما سمعت تصفيقه الحاد الصارم توقعت علقة أكيدة. فأحياناً كنت أرفع عقيرتي بالغناء أو أصرخ في وجه أحد إخوتي خلال استغراق والدي في صلاته. فيأتي تصفيقه الحاد على سبيل التنبيه. تنبيه ضاجٌ بالتهديد والوعيد، فأنكمش في مكاني منتظراً أن ينهي والدي صلاته مستعداً للعقاب الذي لا مجال للإفلات منه. والغريب أنني حتى اليوم لم أر والدي يصفّق قط لا سخطاً ولا طرباً. فتصفيقه كان يصلني بالصوت فقط، وما زال يرن في عمق الذاكرة من حين لآخر ليُعيدني إلى زمن الشقاوات القديمة.

أما أنا فقد صفقت كثيراً في حياتي. صفقت طفلاً في أعراس النساء، ويافعاً في مظاهرات الطلبة. صفقت في أمسيات الشعر إما طرباً أو مجاملة، وصفقت في التجمعات النقابية ومسيرات التضامن مع فلسطين والقضايا العربية. لكن التصفيق في كل هذه الحالات كان يأتي دائماً في الدرجة الثانية كنوع من المصاحبة لنشاط أهم: الأغاني في الأعراس والشعارات في المناسبات الوطنية..الخ. إنما هناك حالة أخرى خاصة عشت فيها التوحد التام مع مقام الكفين في نوع من الشطح الذي يصير فيه التصفيق هو الطريق والهدف في الآن ذاته، وذلك أثناء عملية "شد الميزان".

فلدينا في مدينة مراكش فن شعبي عريق اسمه الدقة المراكشية. ويحتاج هذا الفن إضافة إلى الآلات الإيقاعية التقليدية إلى اليد القوية الماهرة، حتى أن الإيقاع حينما يختل أثناء الوصلة سرعان ما تسمع همهمات من هنا وهناك "طاح أفوس"، أي سقطت اليد. فيستعيد فنانو الدقة حماسهم لينخرطوا من جديد في الطقس حتى تستعيد اليد اشتعالها. لكن الأكف لا تشتعل كلياً إلا في "الميزان".

فمنذ طفولتنا ونحن مولعون بالموازين. تصفيق مسترسل يتدرج في الحرارة ويغير إيقاعاته من وصلة إلى أخرى. يسخن ويبرد، يحتد ويفتر، لكنه يشتعل في الأخير فتشتعل معه الأكف والأجسام والأرواح أيضاً. ووصلات التصفيق هذه قد تمتد لساعة كاملة.

وكنت وأنا صبي كلما رافقت الأسرة في سفر إلى الرباط أو الدار البيضاء أو غيرها من المدن المغربية الأخرى طلبوا مني هناك أن "أشد لهم ميزاناً" من موازيننا الذائعة الصيت. ودائماً كنت أفشل، ببساطة، لأن العملية تحتاج إلى غابة صغيرة من الأكف. وإذا كان المثل العربي يؤكد بأن يداً واحدة لا تصفق، فالمفروض أن يجترح المراكشيون مثلاً جديداً خاصاً بهم، يوضحون فيه أن كفين يتيمتين لا تشدان ميزاناً. والحقيقة أن للمراكشيين قدرة عجيبة على توليد أصوات عجيبة وقوية من التقاء الأكف ببعضها خلال حفلات التصفيق الإيقاعي المدروس هذه التي كنا ننخرط فيها. حتى أن فرقة حميد الزاهير، أشهر فرقة شعبية مراكشية، حينما قدمت أحد عروضها في اليابان منذ سنوات، صعد الصحافيون عندهم بعد نهاية الحفل وطلبوا منهم بسط أكفهم أمام عدسات المصورين. هكذا صدرت في اليوم الموالي أكثر من صحيفة يابانية تحمل صور الأكف المراكشية السمراء مبسوطة في رضا وتسليم. وكأني بالمصورين الذين التقطوا صوراً لتلك الأكف العجيبة كانوا يريدون أن يؤكدوا لمواطنيهم المذهولين أن الأكف التي فعلت بهم الأفاعيل في سهرة الأمس ليست طبولاً بل هي أكف عادية من لحم ودم.

ياسين عدنان، الرباط

تكتسب النظافة الشخصية أهمية متزايدة مع تنامي الوعي لأهمية دورها، ليس على صعيد السلامة الصحية فحسب، بل أيضاً لأثرها الكبير في تنمية مكانة الشخص نفسه وعلاقاته مع الآخرين والمجتمع.
ولمناسبة حلول الموسم المدرسي الجديد، اختارت الأخصائية في علم الجراثيم **سمر خازندار** أن تحدثنا عن أهمية النظافة المدرسية والأدوار المناطة بكل من الأهالي والمدرسة والتلاميذ أنفسهم.

النظافة المدرسية

بين الأهل والمدرسة والتلميذ

خلال مرحلة الطفولة يمثل الوالدان كل شيء بالنسبة إلى الطفل، وعليهما أن يتصرفا كنموذج يحتذى بكل شيء. وفي هذه المرحلة، تقع على عاتق الأهالي مسألة تعويد الطفل على أهمية النظافة الشخصية، وإفهامه أهميتها. وخلال مراحل النمو اللاحقة، تنتقل قدرة الوالدين على التأثير، جزئياً، إلى مجموعات خارجية أهمها المدرسة.

في الولايات المتحدة الأمريكية، ونتيجة للاعتراف بوجود صلة وثيقة ما بين صحة الطالب من جهة وقدراته على الإنجاز العلمي من جهة أخرى، باتت البرامج الصحية لمدارس عديدة تتضمن سياسات تحدد الخطوط العريضة للنظافة الشخصية الملائمة والتي يشترط توافرها. وتهدف هذه السياسات إلى تنمية السلوكيات الإيجابية لدى الطلاب في ما يتعلق بمسائل النظافة طوال السنة الدراسية، كي يتمكنوا من التواصل والتفاعل في ما بينهم إلى أقصى حد ممكن.

المطلوب في المدارس

إضافة إلى تطوير سياسات تحدد النظافة الشخصية الملائمة، فعلى إدارات المدارس دعم برامج تدريبية للمعلمين لتسهيل مهمتهم في تعليم مفاهيم النظافة وأهميتها في المدارس. ومن الضروري أن تكون هناك



أرامكو السعودية

كتيبات مطبوعة حول مسائل النظافة التي يجب أن يعرفها الطلاب، حتى يشعر الأساتذة بثقة أكبر وهم يتناولون هذا الموضوع مع طلابهم.

وحالياً، تقوم منظمة اليونيسيف من خلال «البرنامج الصحي للتعليم الابتدائي» بتدريب أساتذة في 60 بلداً حول العالم. ونتيجة للتأكد من أن التلامذة يتعلمون أفضل عندما يشاركون ويتحدثون، تم تطوير «حقيبة» بسيطة جداً تسهّل للأساتذة تحقيق مشاركة التلامذة. ومن أهم ما في هذه الحقيبة من مواضيع هناك غسل الأيدي، النظافة الشخصية، وسلامة البيئة الصحية. ومن خلال بطاقة اللعبة المعروفة «إفعل - لا تفعل» يسمح للتلامذة بالتفكير واتخاذ القرار المناسب، قبل أن يضعوا البطاقة في الصندوق الذي يرونه مناسباً، جواباً عن السؤال حول «غسل الأيدي قبل الطعام» على سبيل المثال.

كيفية التعامل مع المشكلة

عندما يواجه أحد الأساتذة حالة إهمال للنظافة الشخصية، فإن الرصانة والسرية في تناولها أمر أساس. وهناك عدة أسئلة لا بد من أخذها بعين الاعتبار، وهي:

1. هل إهمال النظافة الشخصية يعود إلى إهمال فردي (الأهالي في حالة الأطفال الصغار)، أم إلى عدم إدراك أهمية النظافة الشخصية؟
2. هل هناك حالات سابقة مشابهة من إهمال النظافة عند طلاب آخرين؟
3. هل يؤثر إهمال النظافة عند هذا الطالب على أداء المحيطين به مباشرة؟
4. هل يؤثر الأمر سلباً على العلاقات الاجتماعية لهذا الطالب؟

وعندما يتم تحديد مشكلة إهمال النظافة عند طالب معين، يجب على المدرس الاتصال بذويه لإطلاعهم على المسألة. وإذا كان هذا الطالب في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، فيجب على المدرس مناقشة المسألة معه.

ونظراً لحساسية الموضوع، فلا بد من أن يتم كل شيء بسرية تامة، تلافياً لجرح المشاعر الذي يمكنه أن يلحق ضرراً بالغاً بمعنويات التلميذ. فلا يتدخل في المسألة إلا الأشخاص المكلفين من قبل الإدارة بمتابعة المسائل الصحية (مثل الممرض إذا توافر، أو المدير...).

الخطوط العامة للنظافة المطلوبة

1. نظافة الجسم:
استناداً إلى الخبراء في الشؤون الصحية، يصبح لجسم الإنسان رائحة عندما يتعرق بدءاً من سن البلوغ. ولذا ينصح هؤلاء بالاستحمام ثلاث مرات في الأسبوع للصغار الذين هم دون المراهقة. أما في سن المراهقة وما فوق، فيوصون بالاستحمام يومياً. كما يوصون باستخدام مزيل رائحة العرق تحت الإبطين بعد كل استحمام. وهنا لا بد من التوكيد على أن استعمال العطور، الذي هو أصلاً غير مستحب في المدارس، لا يمكنه أبداً أن يكون بديلاً عن الاستحمام.
2. نظافة الشعر:
يتضافر الزيت الذي تفرزه بصيلات الشعر والعرق والخلايا الميتة على إعطاء الشعر منظراً قذراً. ولذا لا بد من غسله ثلاث مرات أسبوعياً لمن هم دون سن البلوغ، ويومياً لمن هم فوق ذلك.
3. نظافة الملابس:
يمكن للملابس أن تتبقع سواء من إفرازات الجسم أو من أشياء خارجية. وخلال الليل تتكاثر البكتيريا على هذه البقع، ولذا تصبح رائحتها كريهة عند ارتدائها في اليوم التالي. ولذا يجب غسل الملابس بانتظام. ولا معنى لأن يستحم الإنسان ومن ثم يرتدي ملابس غير نظيفة.
4. نظافة الأسنان:
من أساسيات صحة الفم. فأطباء الأسنان ينصحون باستخدام فرشاة الأسنان مرتين في اليوم على الأقل (ومن الأفضل أن يكون ذلك بعد الطعام)، وأيضاً تنظيف ما بين الأسنان بالخيط.
5. رائحة الفم:
من أكثر المؤثرات سلبية على علاقة الفرد بمحيطه. وإذا كانت رائحة الفم قوية إلى درجة أنها تشكل مشكلة، فلا بد من مراجعة الطبيب.

غسل الأيدي

على الرغم من بساطته، فإن غسل الأيدي بالماء والصابون مسألة بالغة الأهمية. ففي المدرسة تتعامل الأيدي مع أشياء كثيرة وتتبادلها: الطاولات، الكتب، الأقلام، الطعام و.. الجراثيم. وقد أظهرت الدراسات أن بعض الفيروسات والبكتريا يمكنه أن يعيش ما بين 20 دقيقة وساعتين فوق معظم الأسطح مثل طاولات الكافتيريا، مقابض الأبواب، والمقاعد الدراسية. وأظهرت دراسات أخرى أن التلامذة لا يغسلون أيديهم بما فيه الكفاية لوقايتهم. وجاء في إحداها أن 58 في المئة من الإناث و48 في المئة من الذكور في المدارس الثانوية الأمريكية لا يغسلون أيديهم بعد استعمال دورات المياه. ومن بين هؤلاء فإن 33 في المئة من الإناث و8 في المئة من الذكور فقط استخدموا الصابون مع الماء.

إن أهم ما يمكن للطلاب وللجهاز التعليمي أن يقوموا به للوقاية من الأمراض هو غسل الأيدي بالماء والصابون لمدة 15 – 20 ثانية. وقد كشفت إحدى الدراسات الأمريكية أن غسل الأيدي بالماء والصابون أربع مرات على الأقل يومياً أدى إلى انخفاض الأمراض المعوية والتغيب من المدرسة بسببها بنسبة 50 في المئة. كما أكدت دراسة أخرى أجريت على 6080 تلميذاً أن الاستخدام المنتظم لأجهزة معقمة للأيدي تم توزيعها على غرف الدراسة، أدى إلى تخفيض نسبة التغيب من المدرسة بسبب المرض نحو 20 في المئة.

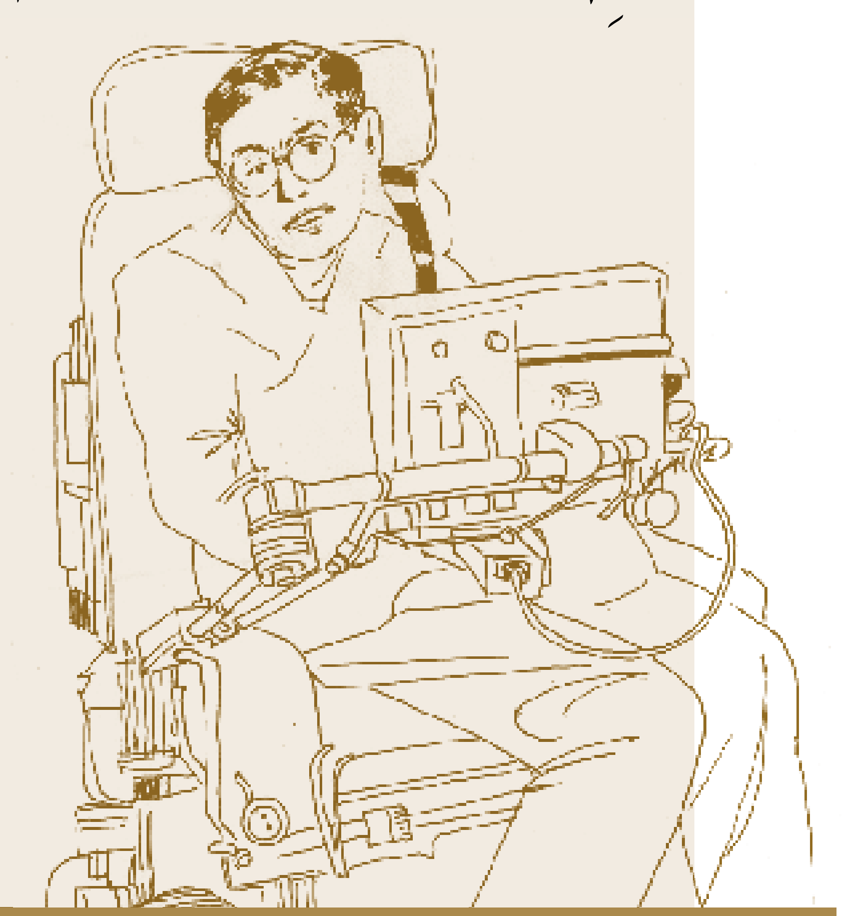
باختصار، إن العمل على توفير الشروط الصحية الملائمة في مدارس بلادنا، يتطلب من الطلاب الشبّان تحمل مسؤولياتهم في التأكد من حسن العناية بأنفسهم. وعلى الأهالي أن يتذكروا أن ما يقومون به (وما لا يقومون به) له أبلغ الأثر على أولادهم. ولذا، فعلى الأهالي أن يشكلوا القدوة الحسنة لأولادهم. وعلى المدارس التأكد من أن متطلبات النظافة تبقى قيد المراقبة والمراجعة باستمرار طوال العام الدراسي بأسره.

صورة شخصية

إنه واحد من ألمع علماء الفيزياء في عصرنا. ولا يتردد البعض في القول إنه صاحب أعظم عقل علمي بعد أينشتين أو غاليليو.. إنه ستيفان هوكينغ الذي يجمع النبوغ العلمي من حياة شخصية بالغة الخصوصية ليشكل منهما ملحمة تتحدى خيال الروائيين.

ستيفان هوكينغ

العالِم، المريض، المقاوم



صورته الفوتوغرافية مثيرة للتعاطف معه.. فالرجل الستيني مقعد على كرسي متحرك، ورأسه يتدلى على كتفه لعجز في القدرة على إبقائه مستقيماً، كما أن جهازاً مثبتاً في حنجرته يؤكد وجود مشكلة في قدرته على النطق.. ولكن، هيهات من أن تلخص هذه الصورة الفوتوغرافية المثيرة للشفقة سيرة الرجل ومكانته الساحقة والمثيرة للاحترام حتى حدود الإبهار.

نشأته.. ومكانته العلمية

ولد ستيفان وليم هوكينغ في أوكسفورد بإنجلترا في الثامن من يناير عام 1942م، وبعدما التحق لبعض الوقت بمدرسة سانت ألبانز في ضاحية لندن، انتقل إلى كلية أوكسفورد الجامعية. كان والده يرغب في أن يدرس الطب، أما هو فرغب في الرياضيات، ولما لم يكن في تلك الكلية قسم للرياضيات، انصرف إلى دراسة الفيزياء، وما هي إلا ثلاث سنوات حتى حاز شهادة شرف من الدرجة الأولى في العلوم الطبيعية.

بعد ذلك انتقل هوكينغ إلى جامعة كمبريدج لإجراء دراسات في علم الكون تحت إشراف الأستاذ دنيس سياما. وبعدما نال شهادة الدكتوراه في هذا المجال أصبح باحثاً ثم أستاذاً محاضراً.. وراحت شهرته العلمية تنمو مع كل بحث يجريه أو نظرية يطلقها، حتى توصل في العام 1979م إلى شغل كرسي هنري لوكاس في الجامعة، وهو الكرسي الذي شغله إسحاق نيوتن عام 1669م.

انصبّت جهود هوكينغ منذ سبعينيات القرن الماضي على دراسة القوانين الفيزيائية التي تتحكم بحركة الكون. راجع أهم النظريات العلمية، وتمكن من نقد أشهرها: نظرية النسبية العامة التي كان قد وضعها ألبرت أينشتين.

رددت الدوائر العلمية في العالم بأسره أصداء نظرياته واكتشافاته المتعلقة بحدود الكون، وما هية الثقوب السوداء التي عارض بشأنها أينشتين وأكد أنها لا بد وأن تكون غير سوداء تماماً، وتصدر أشعة، وبالتالي تتلاشى في أزمان لاحقة وتزول.

وضع كتباً عدة: «الهيكلية الكبيرة لزمن الفضاء»، «النسبية العامة، مراجعة لمناسبة مئوية أينشتين»، و «300 سنة من الجاذبية». كما أن بعض كتبه حققت رواجاً شعبياً قلّما عرفه علم الفيزياء مثل «مختصر تاريخ الزمن»، «الثقوب السوداء والأكوات الصغيرة»، وأخيراً «الكون في قشرة جوز» الصادر عام 2001م.

حاز البروفسور هوكينغ نتيجة دراساته وأبحاثه على اثنتي عشرة شهادة دكتوراه شرف، ونال من الأوسمة والميداليات والجوائز ما لا يمكن تعداده. وأصبح عضواً في الجمعية الملكية البريطانية، والأكاديمية الوطنية للعلوم في أمريكا. وحتى اليوم، لا يزال يتابع أبحاثه في الفيزياء النظرية، ويكيف اهتمامه بحياته العائلية (عنده ثلاثة أولاد وحفيد) مع برنامج حافل بالأسفار والمحاضرات في الصروح العلمية العالمية.

ولو أن تحقيق مثل هذا التفوق العلمي كان على يد فرد ذي حياة شخصية عادية لكان الأمر بحد ذاته مدعاة للدهشة، أما في حالة هوكينغ فللدهشة بالمقاييس الفلكية ما يبررها.

المرض الذي لا يقتل.. يزيده قوة

منذ فتوته، وستيفان هوكينغ يعاني من داء عضال يتمثل في إتلاف متدرج ومستمر لجهازه العصبي الموجه للعضلات (ALS). ويؤدي هذا المرض عادة إلى وفاة المصاب خلال 3 إلى 5 سنوات. ويتحدث الرجل عن مشكلته مع المرض بقوله: «منذ أن كنت طفلاً لم أكن أتمتع بتنسيق جيد ما بين حركاتي. فلم أبرع في الألعاب، وكان خطي مصيبة بالنسبة إلى أساتذتي. وعندما كنت في السنة الثالثة بأكسفورد، لاحظت أنني أصبح أخرقاً أكثر فأكثر، وتعثرت وسقطت مرتين من دون سبب. ولاحقاً عندما دخلت إلى جامعة كمبريدج كانت حالتي أصبحت بحاجة إلى استشارة الطبيب».

ويضيف: «بعيد عيد ميلادي الحادي والعشرين دخلت المستشفى لأسبوعين لإجراء فحوصات مختلفة. أبلغني الأطباء في نهايتها أنني أعاني من حالة لا نمطية من تلف في الجهاز العصبي، كل ما أكدوه لي هو أنه ليس تصلب الأنسجة (MS). ولكني فهمت منهم أن حالتي ستزداد سوءاً بمرور الوقت.. ولم أسأل عن الكثير من التفاصيل، لأني أيقنت أنها ستكون سيئة».

نصحه الأطباء بمتابعة أبحاثه في كمبريدج كان شيئاً لم يكن. ولكن الرجل كان محبطاً إلى درجة كبيرة لأن علمه بالرياضيات كان ضئيلاً، وقد لا يعيش حتى حصوله على شهادة الدكتوراه.

«إن فكرة الموت قريباً كانت صدمة بالنسبة إلي. ولكني أذكر صبياً كان في سرير مجاور لسريري يحتضر لإصابته بسرطان الدم. فأحسست أن هناك من هم في أوضاع أسوأ من وضعي. فمرضي على الأقل ليس مؤلماً».

أصبح للحياة معنى

يصف هوكينغ حالته النفسية آنذاك بالقول: «قبل تشخيص مرضي، كنت ضجراً من الحياة، وأشعر أن لا شيء يستحق أي مجهود. ولكني بعيد خروجي من المستشفى راودتني أحلام مضطربة. فحلمت ذات مرة بأنه سيتم إعدامي. وهناك حلم آخر راودني عدة مرات وهو أن أضحي بنفسي في سبيل إنقاذ الآخرين. فطالما أنني سأموت فمن الأفضل أن يتخذ ذلك شكلاً مفيداً للآخرين. ولكني لم أمت. ورغم الغيمة السوداء التي كانت تحوم فوق مستقبلي لاحظت أني بدأت أستمتع بحياتي أكثر فأكثر. فتحسنت دراستي، وخطبت جين وايلد. وأمدتني الخطبة بالقوة بعدما صار في حياتي ما أعيش لأجله..».

حصل هوكينغ على الدكتوراه، وتزوج وعاش في حرم جامعة كمبريدج ليسهل عليه التنقل على كرسيه المتحرك ما بين البيت وغرف التدريس بعدما أصبح أستاذاً. ولكن حالته استمرت في التدهور.

«حتى العام 1974م كنت قادراً على تناول الطعام والنهوض من سريري بنفسي. ولكن أوضاعي راحت تسوء أكثر فأكثر. فاتفقت مع بعض تلامذتي على مساعدتي مقابل إيوائهم مجاناً وإيلائهم اهتماماً خاصاً في دراساتهم. بعد العام 1980م صرت أعتمد على ممرض خاص لساعة أو ساعتين صباحاً ومساءً».

في العام 1985م أصيب هوكينغ بالتهاب رئوي استدعى إجراء جراحة في صدره تدهورت بعدها قدرته على الكلام. «قبل الجراحة كنت أتحدث بشكل ضعيف جداً، وقلة كانوا يفهمون ما أقوله. وكنت ألقي المحاضرات بمساعدة مترجم يكرر بصوت عالٍ ما يفهمه من كلامي. أما الجراحة فقد أودت بصوتي تماماً. وصرت أتواصل مع الآخرين من خلال رفع حاجبي للإشارة إلى الحرف المناسب على بطاقة تحمل حروف الأبجدية ويشير إليها محدثي لكي أؤلف كلمة..»

ولحسن حظ هوكينغ أن تدهور حالته الصحية تزامن مع لمعان شهرته العلمية. فهبت جمعيات عديدة لتمويل الخدمات التي يحتاجها. ولعل أهمها جهاز الكومبيوتر الذي صممه له دايفيد مايسون ودمجه بكرسيه النقال مع نظام معقد رد لهوكينغ القدرة على الكلام، بحيث عاد اليوم يتحدث بسرعة 15 كلمة في الدقيقة.

ويلخص هوكينغ اليوم الحديث عن حاله بالقول: «غالباً ما أُسأل: ما هو شعورك حيال المرض الذي تعانيه؟ فأجيب: ليس بالكثير. فأنا أحاول متابعة حياة عادية قدر الإمكان، ولا أفكر بوضعي، ولا أتأسف على الأمور التي يمنعني عن القيام بها، وهي بالمناسبة ليست كثيرة».



نجيب الريحاني — أرشيف المحترف السعودي

شارلي تشابلن — كوربس

فرنانديل — أرشيف المحترف السعودي



ثلاثة وهبوا لنا الضحكات الأولى:

الريحاني وتشابلن وفرنانديل

الكوميديا.. صنف سينمائي حاضر دائماً في الصالات وعلى شاشات التلفزيون. عشرات الأفلام الجديدة سنوياً ومئات الحلقات التلفزيونية أسبوعياً على مختلف فضائيات العالم، ولكل منها مستواه ومذهبه الخاص في التأثير والإضحاك. الناقد محمد رضا يعود بنا إلى انطلاقة الكوميديا.. إلى روادها الذين غابت أسماؤهم عن صالات وشاشات اليوم.. إلى أولئك الذين أسسوا هذا الفن وجمعوا بعبقرياتهم فن الإضحاك بالنقد العميق والتعبير عن المعاناة الاجتماعية والألم.

أرشيف المحترف السعودي

نجيب الريحاني رائد الكوميديا عربياً من خلال شخصية «كشكش بيه» المسرحية والسينمائية



في العام 1931م، كان الممثل العربي نجيب الريحاني يباشر تمثيل أول أفلامه، "صاحب السعادة كشكش بيه". وكان الممثل الفرنسي فرناندیل يبدأ فيلمه الأول أيضاً "دكان زهور مدام أوسون" وكان الأمريكي (الوارد من بريطانيا) تشارلي تشابلن يقدّم فيلمه "أضواء المدينة".

المشترك ما بين هذه الشخصيات الثلاثة هو أنها لثلاثة ممثلين تخصصوا في الكوميديا. ويجمعها أيضاً كونها شخصيات تركت بصمات كبيرة وواضحة على المدارس الكوميدية بأسرها. عرفت في دولها نجاحاً كبيراً، وبعضها عرف عالمياً نجاحاً فائقاً. لكن بين هاتين الميزتين، ميزة التخصص في الكوميديا وميزة النجاح فيه تكمن ميزة ثالثة: كل من هؤلاء نجح حينما جسّد شخصية الرجل الذي يُعاني من قسوة الحياة والمجتمع. الذي يعاني ألماً وراء الابتسامة، أو الذي يخفي، كما تقول أغنية سموكي روبنسون، "دموع المهرّجين".

نجيب الريحاني أضحك ظاهرياً وأبكى داخلياً، أو على الأقل هذا كان القصد من شخصيته. وفرناندیل أيضاً. وكان تشابلن أفضل من توّج هذا اللقاء بين الكوميديا والتراجيديا في شخص فرد واحد سمّاه "تشارلو". وفي الحقيقة، فإن ما نجح تشابلن في إنجازه هو التأكيد على أن الكوميدي الذي يسعى إلى الضحكة من دون إظهار المعاناة، لديه حظ أقل بكثير من النجاح من ذلك الذي يمثل الشخصية مزدوجة ومركّبة. باستر كيتون هو شخصية أخرى من هذا النوع، لكن تشابلن كان الأكثر شهرة إلى درجة أن هناك احتمالات في أن تكون شخصية كشكش بيه وشخصية فرناند التي مثّلها فرناندیل في أكثر من عمل، من استلهام تشابلن، ليس بالحركة التي لها مقلّدوها الذين لم يصلوا إلى الشهرة حتى اليوم – هناك من يؤدي حركات تشابلن على بعض المسارح والنوادي أو حتى في الساحات والطرق العامة في أوروبا – بل في جوهر الملامح الخاصة بشخصية "تشارلو".
الملامح التي تتبدّى كحالة إنسانية أكثر منها حالة شكلية. ليس هناك ما يؤكد اقتباساً مباشراً، وبالتأكيد كلمة اقتباس أكبر من الحقيقة، لكن حتى ولو لم يكن هناك أي استلهام، فإن الدور الاجتماعي الذي عند الريحاني وذاك الذي عند تشارلي تشابلن كان واحداً.

ابن البلد والشقي

شخصية كشكش بيه لم تكتب أساساً للسينما. حين بدأ نجيب الريحاني، الذي ولد سنة 1892م وتوفي سنة 1949م، تقديمها على المسرح كان قد تقلّب في عدة وظائف (بدأت موظفاً في أحد البنوك، البنك الزراعي) قبل أن يلتقي بالكاتب بديع خيري الذي ساعده في التحوّل إلى التمثيل، لاعباً شخصية كشكش بيه على المسرح.
ومن المسرح انتقل نجيب الريحاني وشخصيته تلك إلى الشاشة الكبيرة بفيلم "صاحب السعادة كشكش بيه". لم تكن هذه الشخصية مرسومة ومصممة كشخصية تشارلو ولكن جوهرها كان مشابهاً: إنها شخصية من يرى الخطأ فيحاول تقويمه علماً بأنه لا يملك ما يساعده على ذلك فينتهي متحمّلاً أذى الآخرين وسوء فهمهم له.

فرناندیل.. 100 فيلم على مدى 40 سنة.. وشهرة تخطت فرنسا إلى العالم

وحينما وضع نجيب الريحاني شخصية كشكش بيه وراء ظهره في أفلامه الأخرى، مثل "سي عمر"، (إخراج نيازي مصطفى 1941م)، و"أبو حلموس"، (إبراهيم حلمي 1949م)، حافظ على شخصية ابن البلد الذي هو غالباً شقيّها أيضاً. لكن، عندما مثّل الريحاني "غزل البنات"، (أنور وجدي 1947م)، الذي لم يكن فيلماً مهماً على الصعيد الفني، ولعب فيه دور الأستاذ الذي يقدر ما هو صادق وأمين بقدر ما هو بائس ومضطهد، كان قد أصبح الشخصية المناسبة للعب هذا الدور بشكل رائع.

مشكلات فرناندیل

فرناندیل، بوجهه الطويل وأسنانه العريضة وابتسامته الخجولة، كان – شكلياً على الأقل – الوجه المختلف عن سواه. فرناندیل، لم يكن هذا اسمه الحقيقي كاملاً. ولد عام 1903م ومات في 1971م في مرسيليا باسم فرناند جوزف ديزيريه كونتادان. كان ابن موسيقار وبدأ التمثيل صغيراً. ومثل الريحاني، بدأ على المسرح وانتقل إلى السينما الروائية الطويلة سنة 1931م في "دكان مدام أوسون"، وذلك بعد عدة أفلام قصيرة خرج بعضها في ذلك العام وبعضها الآخر في العام السابق.

منذ دخوله السينما أصبح نجماً، واستمرت نجوميته نحو 40 سنة مثّل فيها أكثر من 100 فيلم. وكان لا بد لهذه الشهرة أن تفيض عن الحدود الفرنسية فظهر هذا الممثل في أفلام أمريكية وأوروبية أخرى رغم أنه لم يبتعد مطلقاً عن بلده الأم.

كان تعبير فرناندیل عن مشكلاته في معظم أفلامه، مجسّداً في مواضيع عاطفية. إنه الرجل الذي يحب ويضحّي، أو يحب ولا ينال المرأة في نهاية الفيلم أو يحب وينالها بعد مشقة. وكان وجهه يمنحه الحزن الذي تستحقّه تلك الأدوار كما الحال في "ملاك" (مارسل بانيول – 1931م) و"حصاد" (مارسيل بانيول – 1937م) و"مسيو هكتور" (موريس كاماج – 1945م) والكثير من الأفلام الأخرى.

وكان دوره في "علي بابا والأربعين حرامي" نموذجياً من حيث جمعه بين الشخصية ذات الأصل العربي وبين ذلك النوع من الأداء الخاص به. الأداء الصادر عن كوميدي موهوب يتمتع بشخصيته الخاصة.

يلتقي فرناندیل بتشابلن من حيث أن كليهما واجه عقبات في مواجهة من يحب. ففي حين أن تشابلن كان يعزو فشله في الحب، في أفلامه الأولى على الأخص، إلى فقره المدقع، فإن فرناندیل كان يعزوه إلى شكله إلى جانب فقره في بعض الأفلام (مثّل فيلماً ساخراً لعب فيه دور "البلاي بوي" هو "دون جوان" لجون بيري – 1956م). لكن لقاءهما الملحوظ هو في تمتع كل منهما بالقلب الكبير. قلب نجده عند تشابلن مرتبطاً بقضايا ساعته وهموم محيطه، وقلب نجده عند فرناندیل محاطاً بمجتمع كل يتصرّف فيه بمنأى عن الآخر، الأمر الذي يتركه وحيداً.


فرنانديل مع.. سامية جمال!



تشارلي شابلن.. دمج الإنجازات الفنية بالأبعاد الاجتماعية جعله أشهر عالمياً

تشارلو العزيز

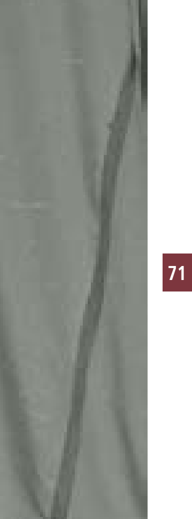
إن كون تشارلي تشابلن (1889 – 1977م) الأشهر عالمياً جعله موضع دراسات عديدة، وموضوع أفلام تسجيلية مختلفة، كان آخرها فيلم حققه ناقد مجلة تايم رتشارد شيكل هو "حياة وفن تشارلز تشابلن" – 2003م. وكلها وجدته، عن حق، عبقري الكوميديا. وعبقرية تشابلن لها علاقة أساسية بالوضع الذي يحفره لنفسه عبر شخصية تشارلو، كما عبر شخصيات أخرى لعبها خصوصاً في الثلاثينيات وما بعد في أفلامه.

إننا هنا لا نتحدّث عن أي دور يراه مناسباً لعكس شخصية الصعلوك المسكين بل عن موقع هذا الصعلوك المسكين من المجتمع بكامله. فهو بذلك قريب إلى حد ما من الشخصية التي لعبها الريحاني، لكن نموذج الريحاني بقي محدوداً بالمفهوم الاجتماعي في أفلام مصرية أنتجت قبل الثورة. بعضها كان مدخلاً لنقد الأسر البرجوازية، لكنها في نهاية الأمر شملت الصالح والطالح، كما الحال مع كل الناس من كل الطبقات.

في أفلام تشارلي تشابلن هناك ذلك النقد المماثل، لكن الدائرة تتسع لتحوي رسائل اجتماعية – سياسية. كذلك يتميّز تشابلن عن الريحاني وفرنانديل في أنه تمكّن من حرفته ليس كممثل وكاتب فقط بل كمخرج وكمنتج أيضاً. وهذا جعله سيّد لعبته وحامي شخصيته من أي عوامل لا يرتضيها. لم يكن تشابلن المخرج فناناً على نحو أسياد الصنعة، آنذاك أو اليوم، بل بالمقارنة مع باستر كيتون نجد أن كيتون تحسس أهمية الأسلوب والتصميم التنفيذي العام أكثر مما فعل تشابلن. ضع "الجنرال" لكيتون في مواجهة "سيدة من شنغهاي" لتشابلن، مثلاً، تجد الفارق واضحاً. لكن مزج إنجازات تشابلن فنياً بالأبعاد الاجتماعية التي حرص عليها وعبّر عنها جيّداً يجعل الفيلم الواحد من أعماله أكثر قدرة على الوصول إلى القطاع الأعرض من المشاهدين.

كان تشابلن قد انطلق سنة 1912م عندما اكتشفه الكوميدي ماك سينيت وقدّمه بعد عام. وتطلب الأمر اثني عشر فيلماً لعب فيها شخصية "الصعلوك الصغير" حجماً وليس سناً قبل أن ينتقل إلى كرسي الإخراج. كانت السينما الصامتة في تلك الآونة لا تزال سينما سردية أولاً، وارتاح تشابلن لعملية قص الصور هذه منجزاً فيلماً لدى ستديو كيستون الذي امتلكه سينيت، متطلعاً إلى فرص أكبر في ستديوهات أخرى. وفي العام 1916م انتقل إلى ستديو "Mutual" في صفقة رئيسة قيمتها عشرة آلاف دولار في الأسبوع. وأنجز لحساب ذلك الأستديو أفلاماً مثل "المهاجر" و"إيزي ستريت" قبل أن يقدم فيلمه الأهم لتلك الفترة "الفتى" سنة 1921م.

نظرة تشابلن الاجتماعية المغمّسة بفن الضحك بدت واضحة منذ "الصعلوك" 1915م، وتكررت في "المتشرد" 1916م و"المهاجر" 1917م، وتتوّجت في "الفتى" حيث الفقر والعوز ليس من نصيبه هو فقط، بل من نصيب ذلك الصبي الصغير الذي يحاول تشابلن إنقاذه من






أرشيف المحترف السعودي

تبقى شخصية الصعلوك عند تشابلن هي نفسها، سواء أكان في دور عامل أم عاشق أم شرطي..

قساة القلوب: البوليس وأثرياء المجتمع. وإلى أن أتم إنتاج وإخراج "الاندفاع نحو الذهب" 1925م، كان تشابلن قد عرف كيف يحوّل الصعلوك الشهير إلى أداة نقدية. ويحتوي "الاندفاع نحو الذهب" على حقيقة أخرى: تشابلن في دورين هما وجهان للشخصية ذاتها: الفقير والغني.

أزمنة معاصرة

على أن بعض أفضل أفلام تشابلن، التي خلّدته طويلاً، وردت من العام 1928م وما بعده: "السيرك" الذي قام فيه علاوة على كتابته وإنتاجه وتمثيله، بالكتابة الموسيقية والتوليف والإشراف على التصوير. ولعب فيه دور الصعلوك الدائم الذي يقع في حب الفتاة ابنة صاحب السيرك، ومن أجلها يتحمّل غلاظة صاحب السيرك. إنه لا يجيد التهريج وتقديم نمر السيرك التقليدية، لكن جهله هذا هو ما يضحك الناس عليه. لوعة القلب تأتي عندما تفضّل الفتاة التي أحبها شخصاً آخر عليه. وفي نهاية رائعة، يرحل السيرك ويبقى هو وحيداً فوق أرض شهدت المضحك المبكي أياماً طويلة.

بعد ثلاثة أعوام، قدّم "أضواء المدينة" الحافل بالطروحات الاجتماعية أيضاً. ثم في العام 1936م قدّم "الأزمنة العصرية".

كانت السينما قد نطقت في العام 1927م، ومع أنها بقيت تطلق أعمالاً صامتة حتى سنة 1930م إلا أننا وجدنا تشارلي تشابلن صامتاً في العام 1936م، ووحيداً بين كل أترابه الذين تخلوا عن الصمت ونطقوا. لكن "الأزمنة المعاصرة" شهادة رائعة، وتكثيف لكل مفاهيم المخرج الاجتماعية. والمرء يحتاج إلى صفحات للحديث في هذا الشأن، وبل إلى كتاب. ولم يكن الفيلم اللاحق لهذا العمل أقل أهمية، وهو "الدكتاتور"، حيث الصعلوك أصبح حلّاقاً والشخص الآخر في ذات تشابلن، ذلك الذي كان يخرج من حين لآخر كثري يتصرّف بقدر كبير من التعنّت والكبرياء، أصبح هتلر. الصراع غير متكافيء لكن الغلبة... تعرفون لمن!

الكوميديون الثلاثة: الريحاني وفرنانديل وتشابلن سعوا جميعاً إلى تجسيد مثل مهمة عبر الشخصيات التي لعبوها. لكن، في حين أن الريحاني وفرنانديل عمدا إلى الرسالة المغلّفة وليس إلى السياسة المباشرة، سنحت لتشابلن فرصة ألاَّ يكون أقل من داعية سياسية أو اجتماعية في العديد من الأفلام التي قدّمها. وسواء أكان نقده موجه إلى السلطة أو أصحاب الثراء أو إلى الحياة المعاصرة وفيلم "الأزمنة المعاصرة" فيه كل هذه النماذج أو الرموز، فإنه حافظ على النكهة الكوميدية من دون أي تنازلات فنية.

من الضحك شافي القلوب إلى الضحك شافي الجيوب

الكوميديا في صناعة السينما اليوم

حين وُلدت السينما وُلدت كوميدية. إنسَ المشهد التسجيلي حول "خروج العمّال من المصنع" وكل أعمال الأخوين الفرنسيين لوميير. فما أن بدأت السينما تحاول تقديم قصّة، حتى وجدت أن القصة التي تريد تقديمها هي كوميدية. من رجل يعطس، إلى فيلم حول ساحر عربي يستخرج راقصات شرقيات من سلّته، إلى نسخة مبكرة من "علي بابا والأربعين حرامي"، امتداداً إلى كل ما نعرفه من أعمال كوميدية من مصر إلى المكسيك ومن فرنسا إلى الهند مروراً بهوليوود وسواها، سادت الكوميديا ناصية الترفيه إلى اليوم. نعم، أفلام الوسترن والبوليسي والعنف شاركت ولا تزال المواقع الأولى في سلم الإيرادات.. لكن الكوميديا لم تتعرّض إلى ما تعرّضت له بعض الأنواع الترفيهية الأخرى. ففي حين اختفى فيلم الوسترن وأفلام العصابات والأفلام الحربية (إلا في مناسبات محدودة) فإن الكوميديا لا تزال تُنتج بكثرة.

فمن المثير أن نلاحظ أن الفيلم الكوميدي اليوم لا يتبوأ المركز الأول في نهاية العام كالفيلم الأكثر رواجاً بين أفلام السنة. نظرة واحدة على الإيرادات في الأعوام الأخيرة (وربما ما قبلها إذا ما سعينا نحوها) تكشف عن أن أفلام الخيال والفانتازيا والعنف عموماً هي التي تسود. ففي العام الماضي مثلاً تربع "سيد الخواتم" على القمة حاصداً أكثر من بليون و130 مليون دولار. أما سلسلة الأفلام التي تليه فتضمنت "شرك 2" و"هاري بوتر 3" و"سبايدر مان 2" و"اليوم التالي للغد" و"الخارقون" و"تروي" و"الساموراي الأخير" و"أنا، روبوت".

ورغم ذلك، فإن نحو 45 فيلماً كوميدياً وعاطفياً يتم إطلاقها كل عام في هوليوود. وممثلو العديد من هذه الأفلام نجوم معروفون: آدام ساندلر، بن ستيلر، ول فارل، جاك بلاك، ول سميث وآخرين عديدين. حتى غير الكوميديين أخذوا لهم مكانة كوميدية وفي مقدّمتهم روبرت دي نيرو في "حلل هذا"، "حلل ذاك" ثم "قابل الأبوين" وبعده "قابل آل فوكرز".

وحين كبت السينما المصرية ثم حاولت النهوض قبل سنوات قليلة، وجدت أن الكوميديا هي سبيلها إلى الخروج من الأزمة مع ممثلين جاهزين للنجومية، ولو بوقود لا يعمّر طويلاً كما كان الحال في تاريخها العريق: محمد هنيدي، أحمد آدم، هاني رمزي وأحمد رزق. ومقارنة هؤلاء مع جيل الكوميديا السابقين تشي بأن المال المجني اليوم قد يكون أسرع، لكن النجومية أيضاً أقصر في مقابل عادة مكوث الكوميدي نجماً لأمد طويل سواء أكان ممثلاً شاع في أدوار أولى (كإسماعيل ياسين وعادل إمام) أو كان ممثلاً شاع في أدوار مساندة (مثل عبدالمنعم إبراهيم وعبد السلام النابلسي).

وفي حين تشكل الكوميديا كل تلك الأهمية في صناعة السينما شرقاً وغرباً، فإن النوعية هي أمر مختلف.

فالصنف الكوميدي من الأفلام الأصعب على صعيد الإتقان. ومن السهل اعتماد الممثل الكوميدي كقيادة، والاتكال عليه في توزيع الضحكات على المشاهدين، لكن من الصعب كثيراً مزج الكوميديا بالموقف الأبعد من مجرد مناسبة ضاحكة واعتماد ممثل يستطيع التجوال جيداً بين حالتي الكوميديا والمأساة على نحو ما كان يفعل الريحاني وفرنانديل وتشابلن وباستر كيتون، وعلى نحو ما يقوم به حالياً بِل موراي.

وكانت نتيجة هذه الصعوبة ظهور أطنان من الأفلام الضحلة والرديئة الموجهة -بالضرورة- إلى جمهور إما لا يعرف كيف يفكّر، أو لا يريد أن يفكر في أي شيء، فيجد في الكوميديا خير وسيلة للترفيه عن نفسه ونسيان متاعب الحياة اليومية.

فأمّا المَشيبُ فصُبْحٌ بَدا..

يقترن الحديث عن الشيب عادة بالحكمة والتأمل. فهو إيذان بانتقال المرء من طور الشباب إلى الكهولة أو الشيخوخة، وهذا ما يدفع الإنسان إلى النظر فيما مضى وما تبقى من سنين. في هذا المقال، يعرض **عماد بو خمسين** الأشكال المختلفة التي تعامل بها الشعراء مع الشيب بين مرحبٍ به وذامٍ له.

يمر الإنسان خلال مراحل حياته بتغييرات عديدة، لعل أبرزها هو ظهور الشيب وابيضاض الشعر، وبينما نجد أن أكثر الشعراء قد عدّوا الشيب علامة على رحيل الشباب وتوديع نضارة الحياة، فقد عدّه آخرون دليلاً على الوقار والنضج العقلي. لذلك قد نرى بعض الأمثلة على الترحيب بالشيب، بل ومديحه أيضاً، كقول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

فأهلاً وسهلاً بضَيفٍ نَزَلْ
وأسْتَوْدِعُ الله إلْفاً رَحَلْ
فأمّا المَشيبُ فصُبْحٌ بَدا
وأمّا الشبابُ فَبَدْرٌ أفَلْ
سَقَى الله ذاكَ وهَذا مَعَاً
فَنِعْمَ المُوَلّي ونِعْمَ البَدلْ

ولأن الشيب ضيفٌ قد نزل، فإن للضيف واجب الضيافة والإكرام، ولكن للشيب إكراماً من نوع خاص، كما يرى ذلك دِعْبِل الخُزاعي:

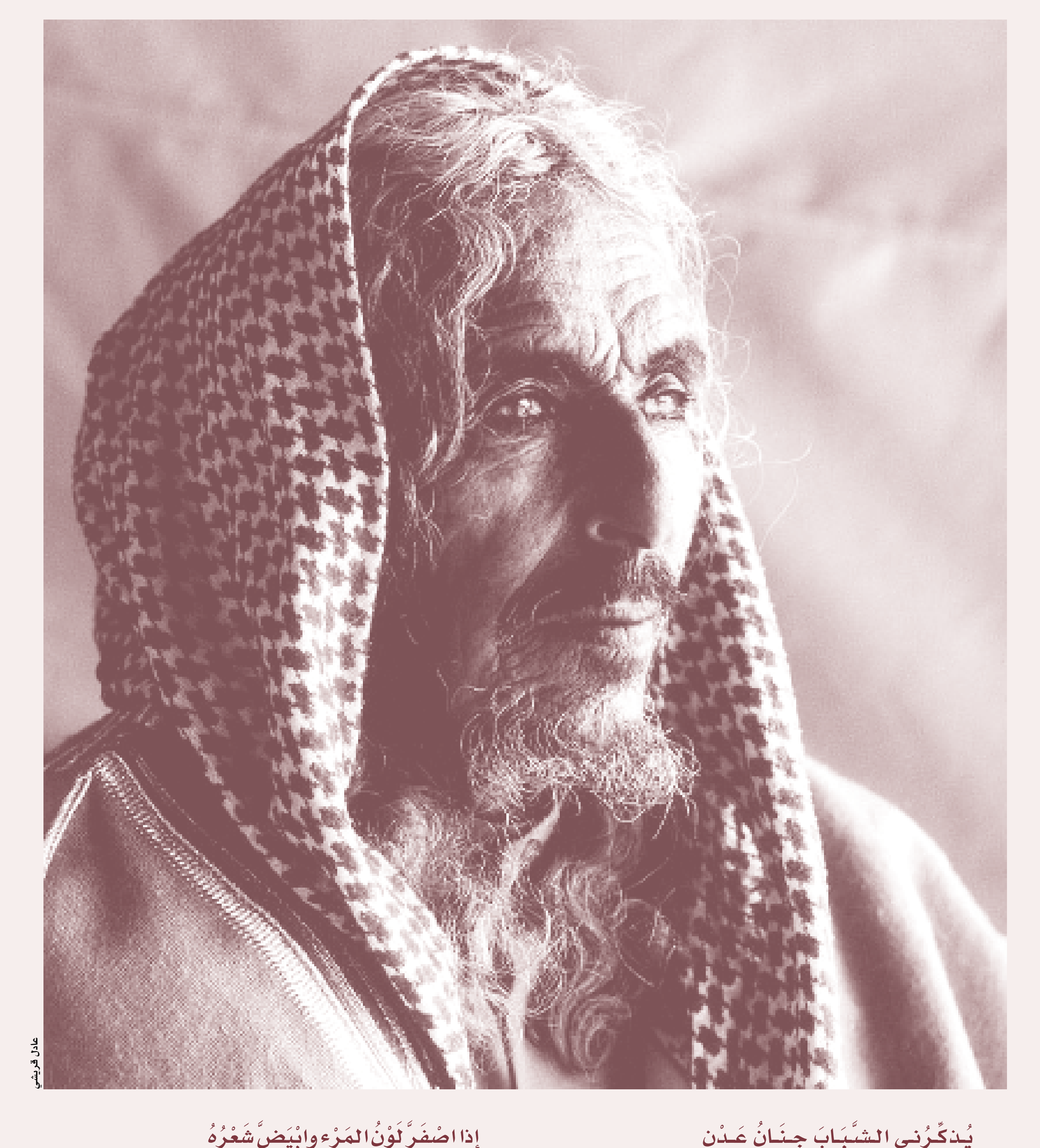
أهلاً وسهلاً بالمَشيبِ فإنَّهُ
سِمَةُ العَفيفِ وحِلْيَةُ المُتَحَرِّجِ
وكأنَّ شَيْبي نَظْمُ دُرٍّ زاهِرٍ
في تَاجِ ذي مُلْكٍ أغَرَّ مُتَوَّجِ
ضَيْفٌ ألَمَّ بمَفْرقي فَقَرَيْتُهُ
رَفْضَ الغِوَايَةِ واقتِصَادَ المَنهَجِ

إذن فالمشيب زينة للرجل، أو هو كالدُرِّ في تاج الملك كما وصفه الشاعر، وهو علامة النضج وترك الغواية، وعلى هذا يوافق ابن الرّومي في قوله مرحبّاً بالشيب أيضاً:

وقُلتُ مُسَلِّماً للشَيْبِ: أهْلاً
بِهادي المُخْطِئينَ إلى الصَّوابِ
ألَسْتَ مُبَشِّري في كلِّ يَوم
بِوَشْكِ تَرَحُّلي إثْرَ الشبَابِ
لقدْ بَشَّرتني بلِحَاقِ مَاضٍ
أحَبُّ إلَيَّ مِنْ بَرْدِ الشَّرابِ

ولكن هل الشيب فعلاً يحملُ معه هذه الصورة الجميلة التي صورتها لنا الأبيات السابقة؟ ترى هل هذا ما أحسسنا به حقاً عند ظهور أولى الشعرات البيض في الرأس؟.. إن ابن الرومي يناقض نفسه بعد أبيات قليلة من نفس القصيدة، فيتحسَّر على شبابه الذي مضى ويقول إنه يستحق أن يُعَزّى على شبابه المفقود:

لَعَمْرُكَ، مَا الحَيَاةُ لكلِّ حَيٍّ
إذا فَقَدَ الشَبَابَ سِوَى عَذابِ


عادل قريشي

يُذكِّرُني الشَّبَابَ جِنَانُ عَدْنٍ
عَلَى جَنَبَاتِ أنْهَارٍ عِذابِ
فَيَا أسَفاً، ويَا جَزَعاً عليه
ويَا حَزَناً إلى يَوْمِ الحِسَابِ
أأفْجَعُ بالشبَابِ، ولا أعزّى؟
لقدْ غَفَلَ المُعَزّي عنْ مُصَابي

فمصيبة فقد الشباب تطغى على فرحة الترحيب بالمشيب، إن كان يستحق الترحيب حقاً!!.. وما أكثر الأبيات التي تبكي على رحيل الشباب، ورحيل لذة العيش معه، كما في أبيات الإمام الشافعي:

إذا اصْفرَّ لَوْنُ المَرْءِ وابْيَضَّ شَعْرُهُ
تَنَغَّصَ مِنْ أيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا

ويبين لنا بهاء الدين زهير سبب بكائه على الشباب في الأبيات التالية:

نَزَلَ المَشِيبُ، وإنَّهُ
في مَفْرقي لا عَرْوَ نَازِلْ
وبَكَيْتُ إذ رَحَلَ الشبابُ
فَآهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلْ
أتُريدُ في السّبْعينَ ما قدْ
كُنتَ في العِشْرينَ فاعل؟

فواحسرتاه على أيام الشباب التي ضاعت سدى دون أن يستغلها المرء فيما ينفع به نفسه، فهي أيام لا سبيل إلى عودتها، ولا ينفع بعد رحيلها تمني رجوعها.

وقد يلجأ البعض إلى خِضاب الشَّعْر، لعله يستر به شيئاً من البياض، ويعيد بعضاً من رَونق الشباب ونضارته، خصوصاً وأن شيب الرجل له تأثير سلبي على النساء، كما يقول عَلقَمة بن عَبْدة:

فـإنْ تَسْألوني بالنّسَاءِ فإنني
بَصِيرٌ بـأدْوَاءِ النّسَاءِ طَبيبُ
إذا شابَ رأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالُهُ،
فليسَ لـهُ مـنْ ودِّهِـنَّ نصِيبُ

ولكن يبدو أن للشريف الرضي رأي مختلف في الخضاب، فهو في الأبيات التالية يحاور زوجته التي استنكرت عليه شيبه، ويَسوق الحجة تلو الأخرى مدافعاً عن بياض شَعْره، ومُدّعياً أنّ الخضابَ هو نوعٌ من الكذب:

نَبَتْ عَينا أُمَامَـةَ عن مَشيبي
وعَـدَّتْ شَيبَ رأسـي مـنْ ذُنُوبي
وقالت: لوْ سَتَرْتَ الشيبَ عني
فكَمْ أَخْفى التَسَتُّرُ منْ عيوبِ
فقلتُ لها: أُجِلُّ صَريحَ ودّي
وإخلاصي عن الشَّعْرِ الخَضيبِ
ومَالكِ يَا أُمَامُ معَ الليالي
إذا طَاوَلْنَ بُدٌّ منْ مَشِيبِ
ومَا تَدليسُ شَيْبِ الرّأسِ إلا
كتدليسِ الوِدَادِ على الحَبيبِ

فالخضاب هو ضربٌ من التدليس والغش كما وصفه الشاعر، وإظهار الأشياء بغير مظهرها الحقيقي. وقد تبعه صَفيّ الدين الحِلّي في ذلك، بعد أن اختصر المعنى وهذبه:

قالوا اخْضِبِ الشيبَ فقلتُ اقْصِرُوا
فإنّ قَصْدَ الصّدقِ منْ شِيمَتي
فَكيفَ أرْضَى بَعْدَ ذا أنَّنِي
أوّلُ مَا أكْذِبُ في لِحْيَتي

والشيبُ ليس مقصوراً على الرجال فقط، وإنما هو «آفةٌ» تصيبُ الرجال والنساء معاً، كما أشار إلى هذا الشريف الرضي سابقاً، ولكن شتّان ما بين الاثنين، فشيبُ الرجل زينةٌ ووقارٌ له، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للمرأة، كما يوضح ذلك دعبل الخزعلي:

إنّ المَشِيبَ رداءُ الحِلْمِ والأدب
كما الشبَابُ رداءُ اللّهْوِ واللعِبِ
تَعَجّبتْ أنْ رَأتْ شَيْبي فقلتُ لها:
لا تَعْجَبي، منْ يَطُلْ عُمْرٌ بهِ يَشِبِ
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ ومَكْرُمةٌ
وشَيْبُكُنَّ لَكُنَّ العَارُ فاكْتَئِبي
فينا لَكُنَّ، وإنْ شَيْبٌ بَدَا، أرَبٌ،
وليسَ فيكُنَّ بعدَ الشيبِ مِنْ أرَبِ

وإن كان هذا الشاعر يرى الشيب على أنه رداء الحلم والأدب، فمن العجيب أن هناك من يراه على النقيض من ذلك تماماً، ويدعي أنه دافع لمزيد من التسلية واللهو:

لاحَ شَيْبي فظَلَلْتُ أمْرَحُ فيهِ
مَرَحَ الطِّرْفِ في اللِّجَامِ المُحَلَّى
وتَولَّى الشبَابُ فَازْدَدْتُ غِيّاً
في مَيَادينِ بَاطِلي إذْ تَوَلَّى
إنَّ مَنْ سَاءَهُ الزمَانُ بشَيْب
لأحَقُّ امْرِءٍ بأنْ يَتَسَلَّى
أتُرَاني أسُوءُ نَفْسِي لمَّا
سَاءَني الدَّهْرُ؟.. لا لَعَمْرِيَ كلا

وهذه الحجة التي أتى بها الشاعر ليبرر ضلاله وغوايته لا تنطلي على أحد بالطبع، وإن كانت الأمثلة على هذا النوع من الناس موجودة فعلاً في واقعنا.. وهذا دليل على قلة العقل وضعفه، كما يعترف بذلك أسامة بن منقذ:

أحْبَبْتُهَا في عُنْفُوانِ الصِّبَا
وقلتُ: إنّ الشّيبَ يُسْلِيني
فَزَادَني شَيْبي جُنُوناً بهَا
حتى كأنّ الشّيْبَ يُغْريني
وكالشّبَابِ الشيبُ، لا مِيْزَةً
بَينهُما عندَ المجَانينِ

ديوان الأمس ديوان اليوم

مكة.. عروس الثقافة

محمود محمد كلزي من سوريا

ادخلوها
هاهيَ العاصمة الشمّاء عرسٌ للنخيلْ
وصلاة .. وابتهالٌ .. وهديلْ
كلّما باكرها البوح شدَتْ
واهتزّ منها الغصن في زَهْوٍ .. وقال :
ها هنا مكّةُ بالإسلام تزهو
توّجتْ تاج الثقافه
فاقبلوا منّا الضيافه
واشربوا نخبَ الهدى من زمزم
واشعلوا الفرحة مشكاةً لدرب المَسلم
وانثروا فوق الأزاهير عقود الياسمينْ

• • •

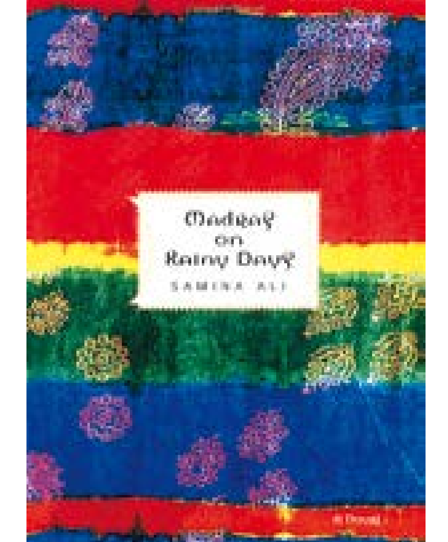
ادخلوها كلما بارحها النوم وتاهتْ
ملءَ عينيها عناقيد من الضوء
حباها اللّه
فازدانت عذوق النخل من زهْوٍ
وتاريخ يوشّي مقلتيها
ها هنا "عنترةٌ" بين يديها
فارسٌ أهدى جدار الكعبة الغرّاءِ
وشياً من قوافي
وصهيلاً من خيولٍ رشفت رمل الفيافي
في خيام لبني عبسٍ وليلى العامريه
وأفاقت في مدى الصحراء جنْد الهاشميه
تسمع الصرخة من غار حراء
وبياناً لم يكن شعراً ..
ولكنْ كان وحياً لإمام الأنبياء
ورسول البشريّه
فتهاوتْ
كلُّ أصنام وأحلام رءوس الجاهليه
حين دوّتْ صرخة الحقّ على هام السنينْ

• • •

ادخلوها
كلما رحّبت الروض بنا
ثمّ أهدتنا عقوداً من سنا
لنصيغ اليوم إكليلاً من الغارِ
ليهدى لعروسٍ
من ثرى نجدٍ ومن رمل تهامَهْ
ومن الدرِّ يوشّي الغارَ
في طوق اليمامَهْ
فامنحوها العقْدَ من سوق عكاظٍ
هاهيَ اليومَ عروس للبيانِ
تُوّجتْ مكةُ أبهى صولجانِ
هيَ للحبّ وللشعر
وللوحْي الأمينْ
جنّةً للمبدعينْ
فادخلوها بسلامٍ آمنينْ

«بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية»

ماغنوم



هي الرواية الأولى للكاتبة الهندية الأمريكية سامينا علي، التي تعالج الازدواجية الثقافية عند المهاجرين من بيئة إلى أخرى مختلفة عنها، وما يترتب عليها من آثار.

"مدراس في أيام مطيرة" رواية عالمية تنطلق من كل ما هو حميم وملتصق ببيئة محلية مؤطرة ضمن مدينة حيدر آباد بالهند.

علاء الدين رمضان يعرض للرواية، ويختار بعض مقاطعها.

"مدراس في أيام مطيرة"

ظهرت سامينا علي على مسرح الأدب للمرة الأولى من خلال روايتها "مدراس في أيام مطيرة" التي جسدت من خلالها خلفيات الصراعات الطائفية في المدينة القديمة لحيدر آباد في الهند. كما تستدعي بشكل ثنائي تعقيدات الحياة التقليدية هناك، وانعكاس تقاليدها على الجالية الهندية في أمريكا.

واستطاعت سامينا علي استكشاف الجوانب المعقدة للحب والثقافة والهوية وغيرها وطرحها أمام القرّاء ممزوجة بالمحفزات الحيوية غير العادية للمزاج الهندي، مثل العادات والتقاليد والحرارة والغذاء والطبيعة... الخ. فهي معبأة بأجواء الهند وحرارتها في التفكير والصراع والوعي وأساليب الحياة.

ولا تكمن قوة الكاتبة فقط في تشكيل شخصيات معقولة ومعقدة، ولكن أيضاً في إيصال ثراء عالمهم الداخلي بالإضافة إلى النسيج الخارجي، مع يسر في اللغة التي تكشف عن العواطف البدائية والمعقدة وغير الملحوظة تماماً.

الهندي والأمريكي اثنان في واحد

تفتتح رواية "مدراس في أيام مطيرة" أحداثها بحفل زفاف بين ليلى، الطالبة الجامعية التي تبلغ من العمر حوالي تسع عشرة سنة، وسمير المهندس الطموح.

مراسم الأيام الخمسة كانت حافلة بالتقاليد الغنية لثقافة العائلات في مدينة حيدر آباد. إلا أن وراء هذه الاحتفالات الغنية بعض الأمور المفزعة. فليلى التي صرفت شطراً من حياتها في الولايات المتحدة، تبدو شخصية موزعة يتخبط وجدانها بشدة. فهي في بيت العائلة لا تشعر بأنها هندية، حيث يُنظر إليها بارتياب دائم بوصفها غريبة، وكذلك في أمريكا، حيث تعمّد أبواها عزلها عن الثقافة الحديثة. فتقول: "كان من المفترض أن أسكن أمريكا من دون أن أسكن فيها..".

وعلى الرغم من محاولة أبويها حمايتها، إلا أن ليلى خضعت للعديد من طقوس التقلبات الأمريكية، وصولاً إلى بعض التجاوزات الخطرة التي لو انكشف أمرها، فسيكون والدها مكلفاً بتعذيبها حتى الموت.

فليلى نتاج كل من الحياة الأمريكية من جهة والتربية الهندية التقليدية من جهة أخرى. إنها شابة صغيرة وجدت نفسها عالقة بين عالمين مختلفين تماماً. عالمان يتنازعان وجدانها كما يقتسمان حياتها: أمريكا والهند، بما لهاتين البيئتين من تمايز وخصائص مختلفة ومتناقضة. فأمريكا أتاحت لها إطلاق الرؤية وحرية التعبير والتصرف. والهند بيئة محافظة بشدة على التقاليد والعادات والخصائص الإنسانية. وقد عمل أبواها على غرس ذلك التنوّع وإنتاج تلك النفسية. إذ قسّما حياتها بدقة طوال تسع عشرة سنة إلى قسمين: أحدهما تعيش خلاله لمدة ستة أشهر من كل سنة في أمريكا، والثاني، لستة أشهر أخرى في بيت العائلة في المدينة القديمة في حيدر آباد بوسط جنوب الهند. بينما كانت حياتها، دورها، واجباتها وتطلعاتها "محددة بشكل واضح كالحائط الذي يعزل المدينة القديمة".

فالحرية التي استمتعت بها ليلى في أمريكا - حيث انزلقت بعيداً عن السيطرة الأبوية واقترفت شأناً محرماً، تبعتها عواقبه إلى الهند - هذه الحرية تبقى رسالة مخبأة في جسمها على شكل رسالة. بينما هي لا تعرف أن عريسها سمير يحمل سره الخاص.

إن الرجل الذي تزوجته هو إلى حدٍ بعيد شخصية معقدة على نحو مذهل في كيفية قيادة حياته الخاصة متعددة الثقافات. لقد تمرّس قليلاً خارج نطاق أسلوب حياة



سامينا علي

ولدت في حيدر آباد بالهند عام 1969م، وهاجرت مع أبويها إلى أمريكا عندما كان عمرها ستة أشهر. تابعت دراستها الجامعية في مينسوتا حيث حازت على بكالوريوس الآداب، وحصلت لاحقاً على شهادة الماجستير من جامعة أوريغون.

نشرت كتاباتها في عدد كبير من الدوريات الأمريكية، كما أصدرت بعض الأعمال، ومنها "كلمات مهمة.. محادثات مع الكتّاب الأمريكيين الآسيويين" و"شؤون ثقافية، القراءة والكتابة في الموجة الثانية لتعدد الثقافات". حصلت كتاباتها على مِنح من كل من صندوق باربارا ديمنج التذكاري، ومؤسسة روناء جافي، وهي عضو في "لجنة القلم".

تعيش سامينا علي حالياً مع ابنها الذي يبلغ من العمر ست سنوات في كاليفورنيا.

الطبقة المتوسطة في الهند، ولكنه يرى نفسه كأنه أكثر من منتج للثقافة والقيم الغربية العالمية.

تخضع ليلى طواعية لطقوس الزفاف، وللدور الذي يبدو أنها تطوعت للقيام به، بعد تمرد أولي قصير. غير أن الزواج لم يتم طوال شهر بعد المراسم التي بدت مهرجانية بهيجة ورائعة كطبيعة الهند. أصبح أنسباؤها البديل عن أبويها. يمطرونها بالحب والمودة. قبلت سمير إلى درجة أنها وقعت في حبه لاحقاً. لكنها لم تعرف أن وسامته وفحولته يخفيان سراً مستحيلاً شنيعاً.

كانت تعرف أنه يستغلها للوصول إلى أمريكا. وكان كذلك طوال الرحلة إلى مدراس لقضاء شهر العسل والحصول على التأشيرة الأمريكية. ولكن سر الزوج يتخذ وجهاً آخر عند شهر العسل، حيث الأشياء تبدأ بالكشف عن بواطنها، عند الانفراد به للمرة الأولى والأمطار الموسمية الثقيلة تهطل من حولهما. لقد أصبحت وجهاً لوجه مع سر زوجها. والمصادفة تهدد بتمزيق آمالها المستقبلية معه.

مسرحها حيدر آباد وزمنها فصل الأمطار الموسمية، وعودة البطلة إلى مدينتها القومية أشبه بالعودة الأيديولوجية

تبدأ محاولاتها لترك الزوج، فيحبطها أنسباؤها وزوجها. ولا يؤيدها أعمامها العديدون وعمّاتها الذين وطدوا أشد الأركان سعادة في عالمها قبل الزفاف وأثنائه.

يقبل الزوج بعروسه على الرغم من ماضيها. لكن العروس تكتشف أن هذا القبول ناجم عن شيء ما غير الأحاسيس المجردة. وبلغة حاذقة ومحملة بالظلال، تؤكد الكاتبة أن كل شخصياتها متشبثة بالمعتقدات ونظم السلوك التقليدية، ومع ذلك يبدو أنهم نسوا المعنى الحقيقي لتلك المعتقدات في عالم الثقافة الغربية والمستغربة باضطراد. وبينما تعتاد ليلى على دورها الجديد بوصفها زوجة تقليدية، تبدأ بمساءلة تربيتها المتأمركة، بطعامها الجاهز وأسلوب حياتها الشبق.

الزمان والمكان والمرأة

على الرغم من إشارة العنوان إلى مدراس، فإن أحداث الرواية تدور في حيدر آباد، ما عدا وقت شهر العسل. أما زمنها فهو مطلع فصل الأمطار الموسمية في الهند. عندما تخلق الأمطار الغزيرة والحرارة الشديدة جواً خانقاً وضاغطاً يصعب تحمله. ويتوازى كل ذلك مع الضغط الذي ترزح تحته بطلة الرواية، والرؤى النافذة والمثيرة لحياة بنت هندية مسلمة عادت من الولايات المتحدة إلى مدينتها القومية، عودة أشبه بالعودة الأيديولوجية، خاصة بعدما استشعرت في نفسها محبة لزوجها سمير، كما أشارت إلى مواطن الخطر التالي في انصراف سمير عنها إلى البحث عن منافعه وإشباع رغباته.

فالرواية بوصفها التفصيلي للأشياء الداخلية، وتأكيدها على حياة النساء في البيت، تنقل عملياً هذا الشعور بالحياة الموجهة التي تعيش تحت سيطرة قانون التقليد.

إنه جانب من عالم الهنود، النساء بالدرجة الأولى. فالنساء هن الفاعلات الحقيقيات في هذه البيئة التقليدية. الخادمة العائلية المخلصة الكبيرة في السن نافذة دائمة الحضور للمشاركة بالرأي، والخبرة وتقديم المشورة، وهي التي تحذر ليلى من مصير هذا الزواج. وهناك عدة خالات، وبنت العم، وجنَّة، وذيبة، والعمة... تقول ذيبة: "النساء سلع معروضة. يعرفن أنهن سيبعن، ويتطلعن إلى ذلك". وتقول لليلى: "الزوجة تبقى مع زوجها مهما حصل". وأم ليلى التي كانت قد نُبذت وطُردت، ليست هي نفسها مجردة، لكن جنسها الأنثوي كله أُذّل معها... وضمن هذه المنظومة النسائية هناك ليلى في القلب. ليلى التي تتحرك كل الشخصيات تبعاً لحركتها، وتصعّد مسيرتها الدرامية.. فليلى ضحية سيطرة القوى التي لن تتركها تفلت منها.. هذه القوة هي قوة الرجال. فتقول عن والدها: "بدأ يضربني عندما كنت في الثانية من عمري، وتوقف فقط يوم زفافي".

قصة امرأة أم قصة وطن؟

لقد قدمت الكاتبة في روايتها حكاية معقدة عن محاولة امرأة الهروب المادي والمعنوي ليس من بل إلى كيان واحد هو ذاتها، ورأب الصدع الذي خلفته في نفسها حياة مجزأة إلى شطرين بالتساوي. فالرواية تؤرخ فترة شهرين من حياة هذه البطلة الأمريكية المسلمة، التي تسعى إلى تنسيق عواطفها ومعرفتها الذاتية بالأدوار المطلوبة منها – ابنة مطيعة، زوجة عفيفة، كنّة مثالية – كما تحددها العائلة والوسط الاجتماعي.

تقول الكاتبة على لسان بطلتها: "جدران عالمي التي أخذتُ قروناً لبنائها يأتي زمن انهيارها.. خسارتي الحقيقية كانت عذريتي". وهذا يدفعنا إلى التساؤل: "أية قرون عاشتها ابنة الأعوام التسعة عشر؟". إذن على القارئ أن ينفض يديه من الرواية التي تحكي عن فتاة اسمها ليلى، ويعود إليها متأهباً لقراءة رواية عن وطن أو أمة خسرت الكثير عندما بذلت نفسها للغرباء. وها هي تسعى إلى لملمة ما تبقّى من كرامتها، من خلال العودة إلى هويتها الحقيقية والأصيلة. ويتمثل هذا المسعى فيما تبديه ليلى من ندم على سلوكها القديم في أمريكا، وخسارتها التي تصفها بأنها "خسارة العمر". وهذا ما يفسر شخصية الرواية ككل وموضوعها وتاريخ تأليفها الذي تقول عنه المؤلفة: "لقد أعدت كتابة الرواية كلياً من الغلاف إلى الغلاف في ستة أشهر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر". إذ أن القضية المطروحة هي قضية ثقافية وحضارية بالدرجة الأولى.

إنها قصة وطن أو أمة خسرت الكثير عندما بذلت نفسها للغرباء، وتسعى لاحقاً إلى لملمة ما تبقى من كرامتها

من المحلية إلى العالمية رغم بعض العثرات

لقد حرّكت الكاتبة شخصياتها بالإشارة والإلماح في ذكاء أدبي باهر، مستغلة طاقة اللغة الإيحائية. وقدمها هذا الأسلوب أميالاً في طليعة مجموعة شهيرة من الروائيين، لما تمتلك من سهولة في تدافع الأفكار وأسلوب العرض، واليسر في النقل والتخزين في عقل القارئ.. فهي كاتبة ذات ذهنية مرتبة، وقد انعكس ذلك على جلّ أجزاء الرواية.

وتجلت المقدرة الفنية للكاتبة في سرد قصتها حول الثقافة والتقاليد من دون تشويه موضوع الرواية الذي يكاد ينحصر في مسلمي حيدر آباد المعاصرين. فالمؤلفة تحشد الكثير من التفاصيل حول الحياة المعقدة لبني جنسها في روايتها، من دون أن تغفل عن ثقافة المتلقي الرئيس للرواية المكتوبة بالإنجليزية، أي لجمهور عالمي.

في نهاية الرواية، تنفجر التوترات الطائفية وتطل برأسها القبيح. لكن الكاتبة بذكائها الفني لم تشأ أن تكثف دور هذا الصراع فبدأ سرد الحادثة عرضياً، وإن كان مهماً للرواية لأنه يطرح مسألة الصراع الداخلي الموازي للصراع الخارجي. فنتيجة هذا الصراع، ساد الشعور برهبة الموت المؤكد لدى ليلى وذيبة، الحبيستان في غرفة داخلية، بينما الرجال في الخارج.

إن العلاقات ما بين المسلمين والهندوس ليست موضوع الرواية، فليس هناك تراض لشخصيات أو عقائد الطائفتين. وفي الحقيقة نلاحظ عند قراءة هذه الرواية أن الكاتبة أرادت أن تعرض الحياة في الهند وكأنها بلد للمسلمين وحدهم. وفي ذلك السياق سردت وقائع ليلة الاشتباك مع الهندوس، رغم أن النقلة جاءت قوية وعميقة أكثر من المتوقع. فالتأثير السطحي لهذه القلاقل على مسيرة السرد يكمن في الهامش المأساوي للاضطراب الاجتماعي.

لكن الرواية تعاني من بعض المشكلات المتوطنة في الروايات الأولى. فالكاتبة تنحى أحياناً تحت وطأة شؤونها الخاصة، كما أن بعض رموزها أصيب بالافتعال. وهناك احتلال الكاتبة للبطلة وفرض منظورها الفكري عليها. فصوت ليلى يتردد طوال الرواية حكيماً إلى درجة لافتة للنظر، يكون أحياناً أبعد من سنوات عمرها، ففلسفتها ناضجة جداً بالنسبة إلى ابنة تسع عشرة سنة. ولو لم يذكر عمرها، لاعتقد القارئ بأنها في منتصف الثلاثينيات. فهي لا تغضب على أبيها المتعسف، ولا على أمها وأقربائها الذين أجبروها على القبول بهذا الزواج.

كما أن الصدق الذي تتكلم به ليلى مع الجميع يبدو غير واقعي. ومن الأمور المشابهة البعيدة عن الواقع وغير المقبولة في الرواية تصويرها لبشاعة وقسوة أبيها الذي يذبح خروفاً بالمنجل لإعداد وليمة زفافها.. إضافة إلى ذلك، فإن الكتاب يحتشد بالكلمات الأوردية والعربية التي كان يمكن للمؤلفة أن تترجمها إلى الإنجليزية. وإن كانت تلك الكلمات تضيف إلى ألوانها الغنية ونكهاتها ونسيجها، إلا أنها تختلق طرقاً عديدة وغريبة في تهجئة هذه الكلمات. وعلى الرغم من الأمور المروّعة التي تحدث لليلى والناس من حولها، فإن العالم من حولهم يبقى زاخراً بالحياة النابضة بكل جمالياتها، ولكن هذه العيوب يسيرة وقليلة في رواية تتمتع بمثل هذه القوة والاعتدال. فالشخصيات تواصل حركتها وتصاعدها الدرامي طويلاً، حتى بعد قراءة الصفحة الأخيرة من الرواية.

إن "مدراس في أيام مطيرة" أداء باهر لصوت جديد ومدهش. لذا يمكننا القول إن سامينا علي صوت جديد قوي في عالم الرواية الإنجليزية. و"مدراس في أيام مطيرة" حكاية حزينة ومهمة. قد لا تكون رواية عظيمة، لكنها ذات قامة باسقة لأنها تعرض لقرّائها تصويراً باهراً لأزمة ثقافية كما تعانيها امرأة شابة.

مقتطفات

قبل سنة واحدة

فصل من رواية مدراس في أيام مطيرة

في الخارج ، أصبحت شوارع المدينة القديمة أضيق وأضيق، والمساكن الإسمنتية أصغر. في هذه الأجزاء، لا تمرُّ حتى عربات "الركشة"، لذا جعل صوت سيارتنا البطيئة الأطفال يندفعون بمؤخرات عارية، يتقافزون خارج مداخل الأزقة ويلاحقونها من الخلف، وبعضهم يلوح بالعصي. استحوذ علينا الصمت في غمرة ضحكهم. كان هناك مطر خفيف، على الرغم من أن الغيوم هنا وهناك تبددت وأشرقت الشمس على السفح تماماً، إنها تباشير يوليو في الهند، والرياح الموسمية كانت تنطلق راحلة.

وعلى الرغم من المطر، كانت نافذة خالي مفتوحة وذراعه السميكة مستقرة خارجها. الشعر الأسود أصبح مبللاً وملتصقاً إلى جلده الشوكولاتي، ذراعه الأخرى مرمية على طول المقعد الخلفي وأصابعه قريبة من ظهر أحمد النحيل. تنبهت لميل أسطوانة مقعد السيارة الفينيل وانتظرت لأرى هل هو مس أحمد فعلاً؟، الرجال يفعلون ذلك هنا، يلاطف أحدهم الآخر بصراحة، وما من أحد يعرف على وجه الدقة ماذا تعني تلك اللمسات حقاً، ولا حتى الرجال أنفسهم... أو عرائسهم المقبلة. في الشوارع، رجال يشتبكون بالأيدي ويلفّون أذرعهم حول الخصور عندما يمشون، هذه الظاهرة تحصل في الهند وأمريكا على السواء. وهذه الاختلافات في الثقافات، تسبب تشويشاً كثيراً لدي، كلما وصلت إلى الهند أو الولايات المتحدة، بعد قضاء نصف سنة. كانت مثل تشكيل صفحة، ولا أعرف ما إذا كان عليّ أن أبدأ بقراءة المخطوطة من اليمين إلى اليسار أم من اليسار إلى اليمين؟ الأوردو أم الإنجليزية..؟. وعلى الرغم من ذلك، فالاتجاه الذي أختاره دائماً يصنع اختلافاً. قال خالي الأكبر: "هنا.. هنا"، واعتصر كتف أحمد ثم أشار يساراً نحو زقاق يبدو مثل غيره من الأزقة : "استدر هنا".

أوقفَ أحمد السيارة وأخرج رأسه من النافذة.

"أنا لا أستطيع الدخول إلى هناك، صعب، السيارة ستنحشر". قال لخالي الأكبر.
"لا...، لا...، أعتقد أن هذا ممكناً.. استمر، استمر".
"أنا لا أعتقد ذلك، إنه صعب، انظر كيف يضيق الممر، وحتى إذا دخلت السيارة، كيف سيكون أيّ منكم قادراً على الخروج؟"، ثم ضحك. من الخلف كان شعرهما طويلاً ومتموّجاً ، يغطّي العرق خلف رقبتيهما.

اتكأنا أمي وأنا للأمام. كان صباحاً باكراً ليوم جمعة، اليوم المقدس للمسلمين، لذا فالشوارع كانت خاوية على غير العادة، وجعلهم ذلك مكشوفين كلياً. تفحصت الممر الضيق الذي يقع بين صفين من البيوت الصغيرة جداً. لكني لم أستطع التأكد ما إذا كنا مهيئين أم لا. السيارة من نوع فيات كانت أصغر من بي إم دبليو التي أقودها في مينيابوليس لذا أنا لا أستطيع أن أثق برأيي.

تقول أمي: "حاول الدخول بقدر ما تستطيع يا أحمد".
"خذنا إلى أقرب ما يمكن".
"أنا لا أعتقد أن السيارة سوف تدخل" قال أحمد ذلك وهو يستدير في مواجهتها.
"أعرف ما يمكن أن يكون ملائماً وما لا يمكن يا أحمد. فقط أدخل إلى أبعد ما يمكن، أنا لن أمشي متعثرة في هذه الشوارع، ماذا سيقول الناس إذا رأونا؟".

"لكن ذلك مستحيل...".
أمره خالي الأكبر: "افعل ذلك".

تنهد أحمد وأدار السيارة، فضحك الأطفال وصاحوا ثم قرعوا الصندوق براحاتهم المفتوحة، المعدن يردد الصدى، تمتم أحمد بأنه لا يمكن لأحد أن يعرف أمي وأنا ما دمنا ملتحفتين بعباءتينا، ونحن تظاهرنا بعدم سماع أي شيء. كان الشارع مرصوفاً بالحصى، وأنا افترضت أنه كان قد بُني خلال زمن نظام الدين. اليوم، لا شيء في تلك الأزقة الخلفيّة سوى ممرات قذرة. المحرك يئن، لكن



منال الضويان

السيارة تقدمت ببطء وحسب، بينما تظاهر الأطفال بدفع السيارة الفيات من الجوانب والخلف، قادنا أحمد نحو خمسة أقدام ثم أطفأ المحرك تماماً، والأطفال اللاهون يزداد صخبهم.

على جانبينا كانت البيوت الإسمنتية البيضاء مصطفة، الأسقف من الألواح المعدنية المتموّجة، النوافذ موصدة، المصاريع الخشبية مفتوحة تماماً لتجتذب أي هواء هناك. كل عشر أقدام أو أكثر باب مختلف اللون، أزرق، برتقالي، وردي، ظلال صفراء، كل لون يمثل بيتاً مختلفاً.

"أنا سوف أتوغل لبقية الطريق وأرى إن كان في الداخل"، عرض علينا خالي الأكبر ذلك، كان لهُ وجه حاد بحواجب سميكة.

أومأت أمي، ورمقني خالي بنظرة سريعة، عندها حاولت أن تطفر على وجهي ابتسامة. حدقتُ فيه، معروف أنّه لا يستطيع أن يرى أي شيء سوى عيني لذا أنا لا أحتاج لتعبيرات الوجه، فتح الباب الذي ضرب حائط بيت، وخرج بصعوبة. راقبت قميصه، مربعات الأسود والأحمر تختفي حول الزاوية بينما يتوغل داخل الممر المقوس.

"إنهم يسمون هذا الممر ممر الفيل" أحمد قال ذلك وهو ينعطف نحونا، شفاهه كانت داكنة من التدخين، "إنه مشهور لأن فيلاً لم يستطع حتى أن يعبر. فانحشر هناك" أشار في اتجاه خالي الأكبر الذي أقفل راجعاً، "استغرق الرجال أربع ساعات لسحب الحيوان الأخرس".

قلتُ: "الناس هنا يجبرون الأشياء دائماً على الحدوث"، وأخذت أفحص بدقّة الجدرانَ المُغَطّاة بحثاً عن أية آثار جلدية أو دم، لم يكن هناك شيء (...).
أوضح أحمد: "لقد حدث بسبب زفاف".
غمغمت: "يحدث كلّ شيء هنا بسبب حفلات الزفاف".

استمر السائق متكلماً، "العريس كان يركب الفيل لمقابلة عروسه في نهاية الشارع، فرقة الزفاف كاملة كانت هنا، كما ترون، وهم كانوا يلعبون على أبواقهم ويقرعون طبولهم بينما كانوا يقتادون العريس، بهذه الطريقة يعرف الضيوف والعروس أن العريس قد وصل. أنت سوف ترين ذلك خلال يومين فقط...".

"أحمد.." حذرته، لم أكن في حالة تسمح لي بمناقشة أمر زفافي. "أنت دائماً تتكلم أكثر من اللازم".
قال: "آسف يا آنسة ليلى"، وابتسم. كنت متأكدة أنه يعتقد بأنني كنت أتصرف بخجل كمن صارت عروساً، لذا تكبح جماح الكلام عن الحدث القادم – لأنه يعني فقدان البكارة في ليلة الزفاف – وأنا تركته يعتقد هذا.

الأطفال واصلوا الضرب على صندوق السيارة، صوت دوي المعدن يستدعي النساء إلى المداخل والنوافذ، كن يرتدين أثواب الساري القطنية القديمة، وإحداهن حملت طفلاً بين ذراعيها، عيناه خُططتا بالكحل الأسود كيلا يلفت الطفل انتباه العين الحاسدة. وقفن وحسب خارج سيارتنا وراقبننا.

أحكمنا أمي وأنا القبضة على القماش الأملس صوب وجهينا. اختفت أمي تماماً داخل حجابها الذي يظهر نصف عينيها وحسب.
.....

السيارة تتأرجح بينما يتدافع الأطفال صوبها، معدتي بدأت تتمغص تماماً من هذه الحركة الطفيفة، وأنا درت وحدجت الأطفال المزعجين بنظرة ازدراء، فلم يروني.

بدأت أمي تهمس بالدعاء لإنقاذي، عيونها مغلقة، قماش الحجاب يتموج قبالة شفتيها، وأنا أدركت أن لا شيء يمكنها أن تفعله الآن لإنقاذي.

"دع الأطفال يبتعدون"، أمرت أحمد، خدوده الداكنة كانت مغطاة بندبات البثور.
أخرج رأسه من النافذة وصرخ فيهم. صرخوا راجعين، ثم واصل أرجحة السيارة.
قالت أمي: "هؤلاء أطفال مقرفين"، وأكملت "هؤلاء الأمهات ينجبن الأطفال ثم يلقونهم في الشوارع، لا تهذيب، لا اهتمام، دع كل ما يحدث يحدث، ثم يتساءلون لماذا الهند لا تصنع تقدّماً .. أف!" وبصقت خارج النافذة لتُري النساء احتقارها. ثم غطت وجهها بسرعة.

قال أحمد: "انسيهم"، محاولاً مواساتها. "ليسوا سوى أطفال أزقة وحسب".
قالت: "أنا لا أعبأ بهم. أَنا قلقة بشأن السيارة"، ومالت إلى الخارج وصرخت في الأطفال. "ابتعدوا عن السيارة، أنتم لقطاء!"، فتوقفوا عن تعقبنا فوراً، استدرت ورأيت ثلاثة أو أربعة كانوا يجلسون فعلاً على السقف وينزلون من على النافذة الخلفية، أفخاذهم النحيلة كانت تضغط مباشرة على الزجاج، "من الذي سيدفع ثمن الأضرار؟ أبوك؟".

"ابتعدوا وإلا سوف أخرج وأستعمل تلك العصي فوق أجسامكم".
ضحك الأطفال، هناك يجب أن يكون لديك عشرة منهم. قمصانهم النايلون أصبحت مبللة وشعرهم المثبت على تيجان رؤوسهم يجعل آذانهم بارزة.

"ساهير"، نادت إحدى النساء من مدخل بيتها. أسندت راحتها على طرحتها عندما تطلعت صوب فوق السيارة نحو الأطفال: "افعلوا مثلما تقول السيدة وأوقفوا اللعب بالسيارة".

خيّم الصمت. بعدئذ أمر الولد الذي يفترض أن يكون ابن ساهير، الآخرين بالابتعاد. فقفز الآخرون من فوق السقف، وثَبَتَ السيارة.
تحركت أمي إلى الخلف، وجلست مستقرة فوق المقعد.
قالت: "عجيب أمركم... لم أر أبداً مثل هؤلاء الناس الجهال".

"استمعن جيداً". بدأ أحمد ثانية: "العريس كان متلهّفاً جداً على الزواج، وثب من فوق مؤخرة الفيل وركض إلى المسجد – من دون الفرقة الموسيقية! كانوا على الجانب الآخر ولم يروه حتى عندما ذهب..".

قالت أمي: "أحمد، أوقف ثرثرتك... أنت تجعلني أزداد غضباً".
"أنا أحكي قصة وحسب؛ لتهدئة الآنسة ليلى".
"الآنسة ليلى ليست بحاجةٍ إلى تهدئة، لماذا تعتقد ذلك؟".
قال: "بالطبع ليست بحاجة إلى ذلك" وابتسم.

هكذا، هو الآن سيخبر الجميع، الخدم دائماً يفعلون ذلك. فأنتِ لن تستطيعين حفظ أي أسرار عنهم، ألمحتُ إلى أمي، لكنها لم تلاحظ ابتسامته. لقد ازداد قلقها وكانت تتفحص هذا الطريق وذاك، تنظر للخلف ثم إلى الأمام.

سألتْ: "متى يرجع؟.. أنت لا تستطيع ائتمان أي شخص بأي شيء، يعرف أننا لا نستطيع أن نُرى هنا، وما زال يأخذ وقته".
قلتُ: "لا يستطيع أحد التحقق منك وأنت تحت الحجاب"، كنت أحاول معالجة الموقف، "حتى أنا لن أكون قادرة على ذلك".
"لا تكوني ساذجة هكذا يا ليلى، كل الناس يعرفوننا" طقطقت مفاصل أصابعها مرةً أخرى ولفتها فوق فخذها، كانت تنتهج هذا الأسلوب طوال الصباح، منذ أن أخبرتها عن نزفي واقترحت بأن نلغي الزفاف. "شخص ما قد يعرف حتى هذه السيارة"، استمرت: "أو أحمد... أحمد!"، اتجهت إليه: "توقف انظر هنا وهناك، أخف وجهك".

قال: "لا تقلقي يا سيدتي"، وابتسم ابتسامة عريضة. "لا أحد سيعرفني".

"إذا لم تتوقف عن المجادلة معي يا أحمد، فسوف أسرحك وآتي بسائق آخر، أنت لست سوى واحد في دستة، لا تنس ذلك".

ازداد وجهه جدية وهو ينكب مطأطئاً وراء عجلة القيادة. وسررت لأنها أسكتته.
قالت: "ولا تخبريني، أنك لا تعرفين أمك التي أنجبتك"، أشاحت بوجهها بعيداً عني. "لك مثل هذا اللسان الحقود، جاحدة جداً – كأبيك، كل يوم تزدادين أكثر فأكثر شبهاً به، لا تعبئين بما أفعل ولا ترينه. عمياء تماماً، كلاكما على الشاكلة نفسها".

أنا، أيضاً، نزلت في مقعدي وتطلعت بذهن شارد خارج النافذة الأمامية إلى ما بعد ضيق الممر، مع ذلك عملت كل ما يمكن عمله لكي لا أكون مثل أبي – بما في ذلك الموافقة على هذا الزواج – أنا لم أعد أستطيع القول إنها كانت مخطئة.

قول آخر

أصبح هذا السؤال سؤال المجالس والمنتديات العامة والخاصة. ولعل تأطيره يقود إلى ما يطمح له الجميع من مستقبل واعد للثقافة والفكر في هذه المملكة الواسعة الأرجاء والعريقة في تاريخ الإنسانية. بطبيعة الحال لن نكون طرفاً في الإجابة عن هذا السؤال بربط الجزيرة العربية بعوالم خارجها تشكل ثقافتها، ونفرض عليها أذواقها كما سعى طه حسين عند ربطه الثقافة في مصر بمحيط البحر الأبيض المتوسط.

فكما هو معلوم تنفتح جزيرة العرب على القارات الثلاث القديمة، وهي بقدر انفتاحها على إفريقيا انفتحت على آسيا، براً وبحراً، كما كانت لها علاقات قوية مع فضاء أوروبا وبالذات جنوبها عن طريق بلاد الشام ومصر. لكن غالبية هذه العلاقات لم تتمكن من تسيير ثقافة شبه الجزيرة العربية.

لقد صبغت الدعوة الإسلامية ثقافة الجزيرة العربية بتعاليمها وعقائدها. وانطلقت من قلب الجزيرة حضارة إنسانية تقوم على الوحي وتتجسد داخل إطار من القيم والأعراف والشمائل المتناغمة مع الثقافة العربية.

مستقبل الثقافة في المملكة العربية السعودية إلى أين؟

الدكتور أبوبكر باقادر

إن الحضارة الإسلامية تشكلت، على هدى الوحي وما جاء به من عقائد وقيم، وأيضاً مما استوعبته هذه الحضارة في تفاعلها مع الحضارات السابقة والمعاصرة. لكن ورغم كل هذا الانتشار والاستيعاب، بقيت جزيرة العرب تحافظ على نقاء الثقافة العربية المسلمة.

وتعد النهضة الثقافية المعاصرة محاولة لإعادة بلورة تجاور الأصالة والتجذر التاريخي للقيم والأعراف مع انفتاح مستنير جاد على الإنجازات الإنسانية في كافة المجالات.

ولعل الدارس لبواكير النهضة الثقافية الحديثة في الحجاز ونجد في النصف الأول من القرن العشرين يلحظ ذلك وبقوة. فلقد كانت أفكار المبدعين من شعراء وأدباء بشكل عام تعبر عن رغبة أكيدة في استعادة درو ريادي، والتأكيد على أن هذا الدور ممكن التحقيق.

ولعل الخطاب الثقافي المعاصر المنتظر يسعى إلى تجذير أصالة مؤكدة على انفتاح وعالمية الخطاب الذي صدر من مكة، وأن يلبسها إطار الوحدة في التنوع والتعدد والتسامح في قبول الاختلاف، كما تجده في مواسم الحج التي تستضيف كل جديد ونافع، في أيام التقاء المسلمين من كل مكان، من أجل تعميق التعارف.

ويقتضي "التعارف" القبول بالآخر وتقديم التراث والعمل في حلة مناسبة. ومن ثم انفتاح الثقافة المرجوة في قدرتها على كسب عقول وقلوب الآخرين. ومن هذا المنطلق يصبح من هموم الخطاب الثقافي الذي نتطلع إلى حضوره، أن يكون مميزاً في خصوصيته، ويحمل هم العلمية المنتظرة لما يجسده المكان والتاريخ الذي انطلق منه.

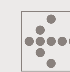
لذا فإن العالم بأسره ينظر إلى المملكة العربية السعودية، مهبط الوحي وأرض الرسالة وذات الوضع الاقتصادي المتميز أن يكون خطابها الثقافي على المستوى نفسه الذي تتمتع به في المجالات الأخرى. وبناءً على هذا، ننتظر أن يكون للثقافة رسالة عربية إسلامية عالمية، ومشروع حضاري يؤكد على الأصالة، ويلعب دوراً ريادياً في عملية تقديم المعرفة النافعة والمنفتحة على الحكمة والرؤى الإنسانية انطلاقاً من أن كل ما هو مفيد ونافع هو إرث لهذه الحضارة.

وحتى يمكننا القيام بهذا الدور، لا بد من تسخير الإمكانيات والمكانة العالية التي تتبوأها هذه البلاد في نشر أنواع مختلفة من المشروعات الثقافية المتميزة في شكل سلاسل كتب وموسوعات، والعناية بالفنون والآداب العربية والإسلامية والعالمية، وتشجيع انتشار المراكز والمؤسسات الثقافية التي من شأنها دعم كل ما هو ثقافي داخل إطار رسالة الأصالة المنشودة.

إن قيام وزارة للثقافة والإعلام يؤكد على اهتمام جاد بالثقافة، فهل سيصبح الهم الثقافي هماً حقيقياً؟ هذا ما نأمل وننتظر!



مرآتي ... يا مرآتي الجميلة



إن صفحة الماء التي كانت بمثابة مرآة لنرسيس، أحد أبطال الأساطير الإغريقية، هي نموذج لما يسميه الفيزيائيون «الصفحات العاكسة» وما يعرف عادة باسم الزجاج أو المرايا.

فالمرآة، بحسب تعريفها العلمي، هي سطح صقيل يعكس معظم الضوء الذي يسقط عليه. والمعروف أنه عندما يقع الضوء على جسم معين فإنه يعكس جزءاً من هذا الضوء ويمتص جزءاً آخر وينقل ما تبقّى إلى جسم أو محيط آخر.

لذلك فإن الجسم القادر على عكس كمية كبرى من الضوء، من دون أن يمتص إلا نزراً قليلاً منه، قد تم تصنيفه كمرآة. ولا يتم هذا الانعكاس إلا إذا كان السطح أملس تماماً، أو أن تكون خشونته (شذوذياته وانحرافاته) أقل من طول موجة الضوء.

ولكن هذا التحديد البسيط لا يعكس حقيقة المرآة نفسها، ولا عمق دورها في حياة الإنسان وعلاقته بنفسه.

ظهرت أول ما ظهرت كأداة تسمح للإنسان برؤية ما لا يستطيع رؤيته مباشرة: صورة وجهه. وحافظت حتى يومنا هذا على الوظيفة نفسها. ولكنها أضافت إليها وظائف لا تعد ولا تحصى، من الأدب والفن حيث أصبحت رمزاً للذات أو للوجه الآخر لهذه الذات، وصولاً إلى العلم الذي زج بها في التقنيات الحديثة، وأدخلها كضرورة لا غنى عنها في العديد من مستلزمات الحياة اليومية في العصر الحديث.

التاريخ على صفحة المرآة

إن أقدم مرآة وصلت إلينا كانت من مصر الفرعونية وتعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وهي محفوظة اليوم في متحف القاهرة. والغريب أن تاريخ صنع هذه المرآة يتزامن مع ولادة أسطورة نرسيس. فهل هي صدفة أن تولد المرآة مع ولادة فردية الإنسان واهتمامه بنفسه فور خروجه من عتمة ما قبل التاريخ؟ ألا يصح القول هنا أن نظرة نرسيس إلى المياه - المرآة كانت أول فعل اكتشاف الإنسان لنفسه؟

المصريون، الإغريق، الفينيقيون، الأتروسكيون، الرومان.. استعملوا المرايا كأدوات منزلية وللزينة. لكن مرايا الماضي كانت تختلف عن تلك التي نستخدمها اليوم. فقد كانت صغيرة الحجم تصنع يدوياً على شكل أسطوانات أو أقراص محدّبة قليلاً. وكانت إحدى صفحتي القرص تصقل صقلاً شديداً كي تعكس الصورة بشكل طبيعي وواضح. كما أن ثمنها كان باهظاً؛ لأنها كانت تصنع من المعادن الثمينة كالبرونز والفضة والذهب.

ولم تظهر المرايا كبيرة الحجم التي تظهر الجسم كاملاً إلا في القرن الأول بعد الميلاد. أما استخدام الزجاج المطلي بالصهارة المعدنية فلم يبدأ إلا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي.

وظلّت المرايا معروفة على هذا النحو إلى ما بعد العصور الوسطى. ففي القرن السادس عشر طرأ تطوّر ملحوظ على صناعة المرايا، وما إن أطلّ عصر النهضة حتى كان لمدينة نورنبرغ والبندقية صيتٌ ذائعٌ في إنتاج المرايا، وامتازت تلك المرايا المصنوعة في جزيرة مورانو «Murano» قرب البندقية بجودتها العالية.

وعلى الرغم من القيود التي فرضها قُضاة البندقية على العاملين في صناعة المرايا، إلا أن هؤلاء لم يتأخّروا، بفعل الإغراءات المادية، عن حمل أسرار هذه المهنة ونشرها في مدن أخرى في أوروبا مثل لندن وباريس. وكانت المرايا في ذاك الحين لا تزال باهظة الأثمان، ومن معالم الثراء والأبهة والمكانة الاجتماعية العالية. ولذا، فليس عجباً أن يكون لقصر فرساي في فرنسا ذلك الإبهار الصارخ بعدما تزينت أكبر قاعاته بعدد كبير من المرايا العملاقة المواجهة للنوافذ الكبيرة.

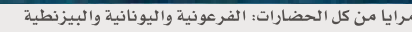
وعلى الرغم من أن سقف القاعة مزين برسوم رائعة لأستاذ الكلاسيكية الفرنسية لوبرون، فإن المرايا هي التي أعطت اسمها لهذه القاعة. وفي قاعة المرايا هذه أعلنت الوحدة الألمانية عام 1870م، بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا، وفي القاعة نفسها أعلنت نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م، كي تثأر فرنسا من هزيمتها القديمة.

وارتبط تطور استخدام المرايا بتطور صناعتها. فحتى القرن التاسع عشر كانت ألواح الزجاج تُغطى من الخلف، بصحيفة رقيقة من المعدن العاكس، وهو عبارة عن مزيج من الزئيق والقصدير. وفي العام 1835م، كان «جوستس فون ليبغ» أول من بدأ عملية طلاء لوح الزجاج بفضة معدنية. وبهذه الخطوة الرائدة، فتح المجال أمام التقنيات الحديثة في صنع المرايا: وضع طبقة رقيقة من الألومنيوم أو الفضة على السطح الخلفي للوح الزجاجي. على عكس المرايا التي تُستخدم في المنظارات والأدوات البصرية الأخرى، حيث السطح الأمامي للوح الزجاجي هو الذي يُطلى بالفضة أو الألومنيوم.

وقد سمحت التقنيات الحديثة قليلة التكاليف باستخدام المرايا بشكل واسع بدءاً من القرن التاسع عشر، ولم يعد استخدامها محصوراً بقطع الأثاث المنزلي كخزائن الملابس، «وبوفيهات» غرف الطعام، بل أصبحت تستخدم في مجالات لا حصر لها، بدءاً بغرف النوم، وصولاً إلى السيارات في الشوارع.



كوربس



مرايا من كل الحضارات: الفرعونية واليونانية والبيزنطية



كوربس

قاعة المرايا في قصر فرساي.. أضخم قاعة في أفخم قصر في العالم



كوربس

.. وفي محراب أحد مساجد كاشان



مرآتي ... يا مرآتي الجميلة

المرآة رفيقة المرأة، في البيت وفي السيارة وفي حقيبة اليد، بل في كل مكان ترى فيه المرأة وجهها حتى ولو كان سطحاً صقيلاً.

تطول وقفتها قبالة المرآة. تنظر إلى جمالها ومحاسنها.. تسرّح شعرها.. تتأمل هندامها وزينتها، وقد قيل في بعض الأمثال: المرآة روح المرأة كما السيف روح المحارب.

وإذا ما كانت المرآة تعكس مظهر المرأة الخارجي، فهل هي تعكس أيضاً شخصيتها الداخلية؟! لنر.. وسنجد أنفسنا نُقرّ بصحّة جوانب عديدة من هذه الاعتقادات.

يُقال إن صاحبة الشخصية المبتسمة هي التي تبتسم كلّما نظرت في المرآة؛ ذلك لأنها تكون راضية عن نفسها، بشوشة، محبّة للآخرين وصديقة لِمن حَوْلها.

أما المرأة التي تُطيل النظر في المرآة وتتأمل عينيها ووجهها بعناية شديدة، فهي صاحبة شخصية تأمّلية، تحاول أن تجد أجوبة عن تساؤلاتها وحيرتها من خلال نظراتها المتمعّنة في عينيها.

وصاحبة الشخصية المُتشائمة هي التي، عندما تنظر في المرآة، ترى كل شيء إلاَّ نفسها، حتى جمالها لا تراه. إذ تظن أن المرآة لا تعكس إلاَّ ما هو قبيح.

والمرأة الحالمة هي التي تُطيل النظر في المرآة وكأنها شاشة سحرية تريد أن ترى فيها كل ما كانت تتمناه في الماضي، وكل الحاضر حولها، وما تحلم به أو تريد تحقيقه في المستقبل.

هذا، بعكس تلك التي تتجنّب النظر إلى المرآة، وتُشيح بوجهها عنها إذا تَصادف وجودها قبالتها، فهذه المرأة هي صاحبة شخصية رافضة، غير اجتماعية، لا تهتم كثيراً للمظهر الخارجي، وإنّما يهمّها الموضوع والجوهر.

ويُقال أيضاً إن صاحبة الشخصية الحزينة العاطفية، هي التي تقف بصمت أمام المرآة، وتركّز النظر إلى العينين لتُجسّد حُزنها برؤية الدموع تنهمر منهما، وقد تكون الرغبة في البكاء هي سبب وقوفها أمام المرآة.

وهناك نساء لا يستطعن منع أنفسهن من النظر إلى أية مرآة تُقابلهن، أو حتى إلى أي سطح زجاجي أو سطح عاكس. فمثل هذه المرأة تتمتع بشخصية حساسة تهتم بمتابعة أحدث خطوط الموضة، وعادة ما تكون ممن يمارسْن الرياضة فهي تحب المحافظة على رشاقتها، وتميل إلى التنسيق والديكور، وتحب الملابس والعطور.

وربما أفضل تسمية لصاحبة هذه الشخصية هي «عاشقة المرآة».

يقول أحد خبراء التجميل إنه لا يمكن تحديد علاقة المرأة بالمرآة بمواصفات ثابتة. فهي علاقة متغيّرة تبعاً للمزاجات البيولوجية والحالات النفسية.

أما الإكثار من التطلع إلى المرآة فقد يوجد في نفس المرأة ما هو غير الرضا عن الذات، خاصةً إذا تمنعت بسماتها التي خصها بها الخالق، وسعت إلى مقارنتها بالصورة المتخيلة التي نسجتها لنفسها في ذهنها.

فهذا ما دفع ويدفع نساء عديدات إلى الإكثار من العمليات الجراحية التجميلية التي أفقدتهن جمالهن الطبيعي. فبتنا نرى وجوهاً مركبة متشابهة، لا تنسجم مع الحقيقة الشخصية.

مرايا لكل الاستعمالات: صغيرة، كبيرة، مستديرة، مستطيلة...

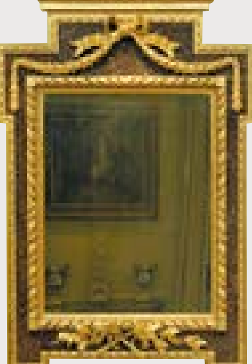












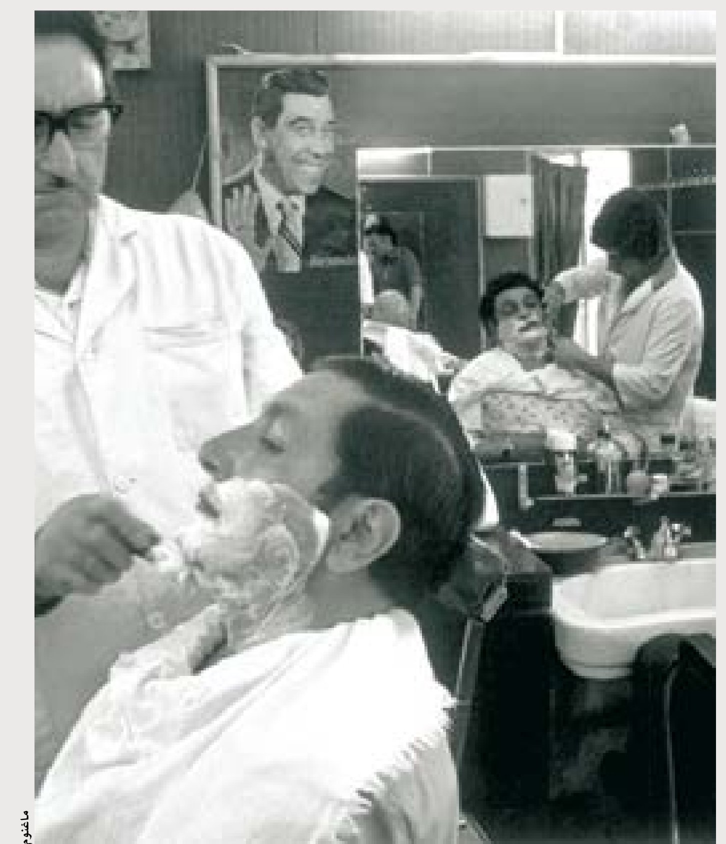


والرجل أيضاً

وإن تكون المرآة رفيقة المرأة الدائمة، في غرفة النوم، وفي حقيبتها اليدوية، وفي مركز التجميل.. فهذا لا يعني أن المرأة احتكرت المرآة. فقد أظهر استطلاع نشرته الصحف قبل أسابيع في فرنسا أن 81 في المئة من النساء و74 في المئة من الرجال ينظرون إلى المرآة مرة على الأقل في اليوم.

فمهما بلغ إهمال الرجل لهندامه ومظهره الخارجي، فهو مضطر إلى التطلع إلى المرآة عند حلاقة ذقنه كل صباح. فالمرآة وحدها تستطيع أن تدل يده الممسكة بشفرة الحلاقة.. ووحدها تخبره أنه أتم الحلاقة بشكل جيد. هذا إذا استطاع أن يستغني عنها عند تصفيف شعره.

وفي محلات الحلاقة الرجالية، لا يقل حجم المرايا ودورها عما هي عليه في مراكز التجميل النسائية. فإضافة إلى المرآة الرئيسة التي يجلس أمامها الرجل لنصف ساعة مستسلماً إلى أنامل الحلّاق، لا بد وأن يلجأ هذا الأخير إلى مرآة ثانية أصغر حجماً بعد أن يتم عمله، فيضعها خلف رأس الزبون، لتنعكس بدورها على المرآة الكبيرة أمامه، وتسمح له بالتالي برؤية شكل رأسه من الخلف.. الشيء الذي لم ولن يستطيع أي إنسان أن يراه من دون المرآة.



.. وفي صالونات الحلاقة الرجالية

أنواعهـــا

تختلف الصور التي تعكسها المرآة باختلاف شكل المرآة. وهناك ثلاثة أنواع رئيسة من المرايا، هي:

1 - المرايا المستوية

للمرايا المستوية أسطح مستوية وتُعد معظم المرايا المستخدمة في حياتنا اليومية من هذا النوع. ويسمّى الخط المتعامِد على المرآة المستوية في أية نقطة «انعكاساً عمودياً»، ويرتطم الضوء بالمرآة بزاوية ما إلى الخط العمودي، تُسمى زاوية السقوط. وينعكس الضوء بزاوية مساوية على الجانب الآخر من الخط العمودي. وتسمى هذه زاوية الانعكاس. وهاتان الزاويتان متساويتان دائماً.



والصورة التي تتكوّن على المرآة المستوية، التي تبدو كأنها خلف المرآة، هي صورة «تقديرية» كما أنّها «قائمة» أي أن طرفها الصحيح إلى الأعلى، لكنها معكوسة من اليسار إلى اليمين. وقد تكون الصورة في حجم الجسم نفسه الذي تعكسه، وتبدو مُتعادِلة البُعد من المرآة.

2 - المرايا المحدّبة

وهي تشبه الجزء المقوّس من السطح الخارجي للجسم الكُروي. وفي حالة إنارة المرآة المحدّبة بأشعة متوازية من الضوء، فإن الضوء المنعكس يبدو وكأنّه يأتي من نقطة خلف المرآة تُسمّى «البؤرة». وتقع البؤرة في منتصف المسافة بين المرآة ومركز تقوّس المرآة. وهو مركز الجسم الكروي الذي تشكّل المرآة جزءاً منه.

تكوّن المرآة المحدّبة صوراً تقديرية قائمة لكنّها مُصَغَّرة، أي أصغر من الأجسام التي تعكسها. وتوجد في كثير من السيارات مرايا رؤية خلفية محدّبة كي تزوِّد السائق بمجال رؤية أوسع مما تزوّده به المرايا المستوية.



PBase

..ولا غنى عنها في السيارة

3 - المرايا المقعّرة

وهي تُشبه الجزء المقوّس المجُوَّف من السطح الداخلي للشكل الكُروي. وتتواجد كلّ من البؤرة ومركز البؤرة أمام المرآة. كما أن البؤرة بؤرة حقيقية، وذلك لأن أشعة الشمس المتوازية المرتطمة بالمرآة تتلاقى في هذه النقطة عند انعكاسها. وتستخدم أفران الطاقة الشمسية المرايا المقَعَّرة لتركيز أشعة الشمس.

تكون الصورة التي تظهر على المرآة المقعّرة صورة تقديرية قائمة ومكبّرة. وتشمل المرايا المقعّرة مرايا الحلاقة ومرايا الزينة. وعادة ما ينتج نوعا المرايا المحدّبة والمرايا المقعّرة صورة مشوّهة إلى حدٍّ ما.





PBase

المرايا في صميم فن العمارة الحديثة



PBase



وفي الأماكن العامة

المرآة في المنزل

هي أساس من أسس الديكور المنزلي، تدعم الإحساس بالأناقة والإشراق، وطالما تطلّب اختيار المكان الملائم لها عناية ودراية. وخير ما يدل على ذلك الفلسفة الصينية المعروفة بـ «فينج شوي»، التي ترى أن استخدام المرآة في المنزل يطرد الطاقة السلبية من المكان!

يمكن اختيار حائط يواجه أحد المشاهد الطبيعية الجميلة، لوضع المرايا بحيث تعكس هذا المنظر ويصبح أحد القِيم الجمالية في البيت، وربما استخدمت في المطبخ أو في غرفة الطعام لتعكس صورة مماثلة للأطباق وأصناف الطعام الشهية.

قد تستخدم المرآة في تحويل حجرة غير متوازنة في مقاييسها ونِسَب مساحاتها إلى حجرة متناسقة تماماً، وتَخلق وَهماً باتساع المكان مما يمنع الشعور بالضيق لدى الأشخاص الذين يعانون اكتئاباً من الأماكن الضيقة. كما أن وَضعها في مدخل المنزل يُضفي اتساعاً عليه وانشراحاً، ومن الناس من يحبّذ وضع مرآة على سطح طاولة في وسط القاعة بحيث تعكس أشعة الشمس القادمة من النافذة، فتوفّر مصدراً للإنارة غير المباشرة.

ويستحسن، عند وجود نافذتين متجاورتين على الحائط نفسه، وضع مرآة طويلة في المساحة التي تتوسطه فتصبح هي بؤرة جذب الانتباه عن شكل النافذتين المتجاورتين غير المستحبّ. كما أن استخدام المرايا يبث حيوية في الجدران الصامتة، فتبدو أكثر حيوية وأناقة.



Flickr

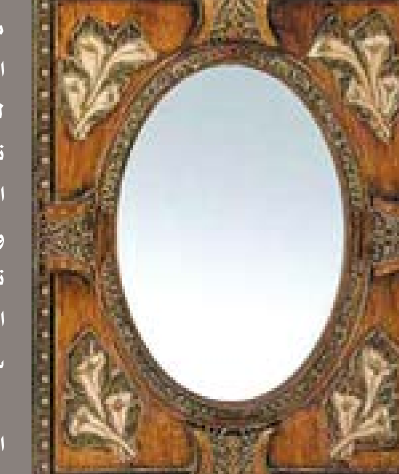
جزء لا يتجزأ من ديكور المنزل

إطار المرآة

جمال الإطار من جمال المرآة، وأحياناً كثيرة تكون روعتهُ آسرة للعين فنقول: «ما أجمل تلك المرآة»، ولا يكون فيها جمال سوى إطارها.

بدأت فكرة تأطير المرآة في القرن السابع عشر، وسرعان ما اكتشفت أهمية الإطارات في إضفاء مسحة تجميلية في تزيين الغرف. فأصبحنا نجد المرايا ذات الإطارات العاجية أو الفضية، أو الخشبية من الأبنوس، وأحياناً كانت تطعم بالأصداف أو المعادن.. وإلى جانب ذلك، راجت الإطارات المطرّزة أو المزيّنة بالخرز الملوّن.

ومع ازدياد الوعي لأهمية جمال الإطار، بدأ الحرفيون يعتنون عناية فائقة في حفر إطارات المرايا ونقشها وزخرفتها كي تأتي منسجمة مع طراز الأثاث المنزلي، حتى أصبح من أولويات التزيين المنزلي وجود مرآة جدارية معلّقة. وكانت إطاراتها تُصنع من الزجاج المحفور. ثمّ لجأ بعض كبار مهندسي البناء إلى تصميم وحدات للتدفئة تمتّد من الموقد حتى السقف معتمدين، لإبراز مهارتهم الفنيَة، على استخدام المرايا ذات الإطارات الباهرة.. لذلك أصبحت المرايا من العناصر التي تعكسُ الذوق العام السائد في أي عصر من العصور، ولم يكن هناك أي عائق يقف في وجه تغيير أسلوب زخرفة الإطارات ونقشها تماشياً مع الطراز السائد، خاصة أنّ استبدال أطر المرايا بأطر أخرى كان أكثر سهولة وأقل تكلفة من تغيير المرآة نفسها.



وفي القرن الثامن عشر شاع الرسم والنقش على المرايا. وظهرت الأطر المزينة بنقوش خاصة بالأزهار، أو بزخارف كلاسيكية. وبدأ، في فرنسا، إنتاج المرايا المستديرة الشكل التي كانت غالباً ما تُحاط بأُطر خشبية مذهّبة سرعان ما لاقت رواجاً وانتشاراً واسعاً.

المرآة وديمومة الأمل في الفن والأدب

«مالي أحدق في المرآة أسألها: بأي ثوب من الأثواب ألقاه» في هذه الأغنية التي أنشدتها نجاة الصغيرة من كلمات نزار قباني، تظهر المرآة فجأة أمام أعيننا بوظيفتها المزدوجة. فهي من ناحية، مجرد لوحة تعكس النور والصورة المماثلة في مواجهتها – وهذه وظيفتها الفيزيائية – ومن ناحية ثانية، هي متحدث يتوجه إليه المرء سائلاً متأملاً شاكياً، ما يعني أن لها وظيفة أخرى غير وظيفتها الأولى. ومنذ نرسيس (الذي رأى صورته منعكسة في الماء فذهل بجماله من دون أن يعرف أن الصورة صورته ومات دون أن يتمكن من العثور على ذلك الكائن الجميل الذي هو بنفسه)، وحتى وصولاً إلى الشعراء والفنانين الذين شكلت المرآة واحداً من مصادر إلهامهم، تجاوزت المرآة كثيراً وفي العمق، وظيفتها الأولى، لتدخل في الوظيفة الثانية.

والحقيقة أن المبدعين، جعلوا من المرآة دائماً، العنصر المكمل للساعة (الزمن) وللنافذة (الانفتاح على الخارج.. الآخر)، باعتبارها إطلالة على الداخل؛ لأن المرآة هي في المقام الأول، الحيز الذي يرى فيه المرء نفسه، واقعياً ورمزياً في آن معاً. ومن هنا، فإن نجاة الصغيرة حين تتوجه بالحديث إلى مرآتها. فإنها إنما تتوجه به إلى ذاتها إلى داخلها. ولطالما فرّغ البائسون والفرحون، القلقون والمنتظرون، شؤونهم وشجونهم في ذلك المسطح الذي قد يكون من النادر مشاهدة فيلم من الأفلام إلا وله فيه حضور.

تسلية وإثارة للفضول

ومع هذا، ربما تكون «المرآة» الأشهر في تاريخ الأدب، هي تلك اللوحة التي لا علاقة لها بالمرآة الواقعية، والتي رُسم عليها دوريان غراب – في رواية أوسكار وايلد – وفيما بقي دوريان شاباً، راحت صورته في اللوحة تشيخ. والحال أن أحداً غير النرجسي وايلد ما كان في مقدوره أن يكتب مثل هذه الرواية.

وكذلك كان صعباً على أي سينمائي آخر، غير أورسون ويلز، أن يترك لنا ذلك المشهد الرائع والغامض في فيلمه «سيدة من شانغهاي»، حيث تعكس عشرات المرايا صورته وامرأته، ريتا هايوارث، بطلة فيلمه وشريكة حياته في ذلك الحين (أواسط أربعينيات القرن العشرين). وهذه الصورة، حتى خارج سياق الفيلم، تبدو الأشهر في تاريخ السينما.

إذاً، المرآة التي ولدت في أسطورة نرسيس التي يرويها لنا أوفيد في «مسخ الكائنات»، امتزجت على مر الزمن بالغموض، ولكن أيضاً بالتفات المرء إلى داخل ذاته. هذه الذات التي كثيراً ما عبر الفنانون والكتاب عن الرغبة في التسلل إليها، عبر العبور إلى الجانب الآخر من المرآة («أليس في بلاد العجائب» للويس كارول). ولقد عزز من تعامل المبدعين هذا مع المرآة، فكرة أنها، بمقدار ما نحدق نحن فيها، تحدق هي فينا، في لعبة تبادلية تبدو أحياناً مسلية، وأحياناً مثيرة للفضول، ولكن – في أحيان كثيرة – مثيرة للرعب أيضاً، ما يجعل خوف الإنسان من ذاته، الخوف الأكبر الذي اعتراه ويعتريه على مر الأزمان.

على صفحة المرآة

ومنذ القدم شقت المرآة طريقها، من الأسطورة إلى السينما والشعر الحديث، وصولاً، مثلاً، إلى الشاعرة الإنجليزية سيلفيا بلايت (1932 – 1963م) التي وصفت في قصيدتها الأشهر «مرآة»، ما روته المرآة نفسها حول سيدة عجوز تأتي لتحدق فيها كل صباح، تاركة عندها الفتاة الشابة الحسناء التي كانتها ذات يوم.. حتى اللحظة التي تتحول فيها هذه المرآة الراوية إلى بحيرة تنحني عليها العجوز «باحثة عما هي عليه حقاً على صفحتي اللامعة».

أما المهتم الأكبر بالمرآة، فكان فرويد، عالم التحليل النفسي، الذي وصف الأحلام كلها بأنها ليست شيئاً آخر سوى مرآة الشعور، أي الصفحة التي تنعكس عليها مخاوفنا وآمالنا وضروب قلقنا، حين نخلد إلى النوم، وبدلاً من أن نحدق في المرآة متسائلين عن ذواتنا، شكلاً ومضموناً، نحدق في تلك المرآة الداخلية طارحين عليها آلاف المشاعر والإحباطات والتمنيات.

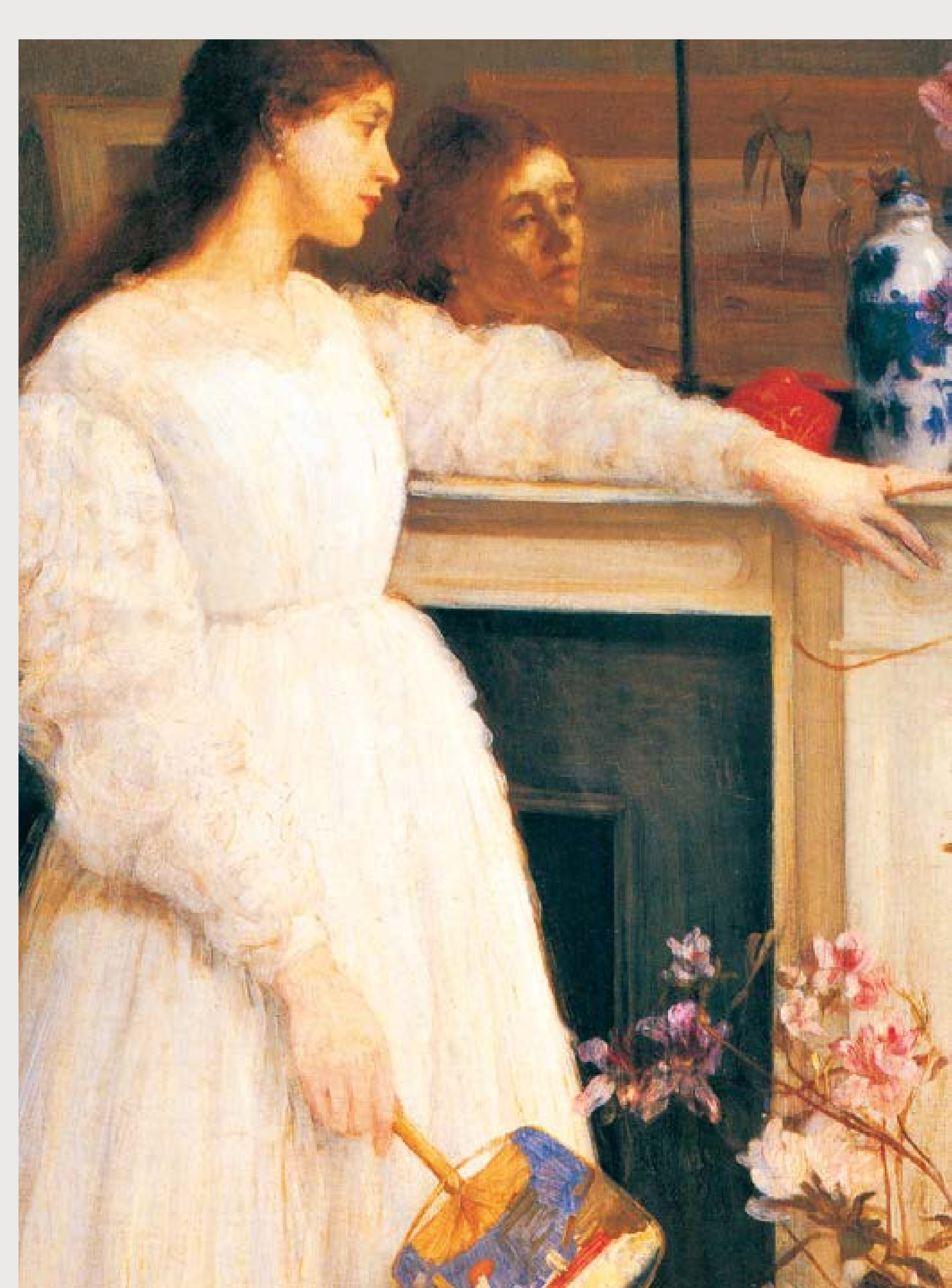
المرآة في الفن

ظهرت المرآة في فن الرسم مع ظهور اللوحات الأولى ذوات المواضيع الدنيوية غير الدينية في القرن الخامس عشر الميلادي. ففي ذلك العصر رسم الفنان الفلامنكي جان فان إيك صورة «أرنولفيني وزوجته»، وهي اللوحة الأولى في تاريخ الفن التي تظهر أناساً لا ينتمون إلى الأرستقراطية. وفي هذه اللوحة نرى رجلاً واقفاً قرب زوجته، وخلفهما على الحائط مرآة مستديرة. وبالتمعن في المرآة نرى الرسام نفسه وإلى جانبه رجل دين يعقد قران الرجل والمرأة. وبالتالي أصبح سر اللوحة كله في المرآة التي تقول لنا أننا أمام صورة عقد زواج.

وحافظت المرآة لأكثر من قرن على هذا الدور الذي يسمح للفنان بأن يضيف إلى لوحته المزيد من «الأخبار» من دون أن يثقل تركيبها العام. ففي القرن السادس عشر رسم الفلامنكي أيضاً كانتان ماتسيس «المرابي وزوجته»، حيث نرى رجلاً يمسك بميزان صغير. وأمامه على الطاولة كمية من الذهب، ومرآة مستديرة. وتعكس المرآة وجه رجل يقف خلف الرسام، يبدو عليه الهم والحزن، وأيضاً نافذة مفتوحة على الخارج.

ومن مدرسة فونتنبلو الفرنسية التي ازدهرت في القرن السادس عشر، وصلت لوحة تمثل الأميرة «غابريل ديستريه» الحامل، وفي المرآة خلفها انعكست صورة الوصيفة أو المربية تحيك ثوباً من الصوف للطفل المنتظر.

واستمر حضور المرآة في لوحات يستحيل لتعدادها أن ينتهي حتى القرن التاسع عشر، وأحياناً كموضوع رئيس في اللوحة كما هو حال «السيدة والمرآة» للرسام ويستلر، حيث نرى التعبير على وجه المرأة في المرآة يكمل التعبير البادي على وجهها في الجزء الظاهر مباشرة منه.



المرآة أمام المرآة.. موضوع حاضر في تاريخ الفن وحضوره في الحياة اليومية بريشة الرسام الأمريكي جايمس ويسلر

غير أن الدور الأهم الذي لعبته المرآة في تاريخ الفن، كان في أن إليها يعود الفضل في معرفتنا لما كانت عليه شخصيات الفنانين ونفسياتهم أيضاً. فمئات الفنانين رسموا أنفسهم في «صور ذاتية». ووسيلتهم إلى ذلك كانت في التطلع إلى المرآة. بعضهم اكتفى بالتطلع إلى مرآة واحدة. وبعضهم أدرك أن الدقة في نقل تقاسيم الوجه تقتضي باستخدام مرآتين. الأولى لتعكس الوجه، والثانية مقابل المرآة الأولى لتعيد إلى اليمين ما هو إلى اليمين، وإلى اليسار ما هو إلى اليسار، كما هو الحال في الصورة الذاتية التي رسمها لنفسه الفرنسي نيكولا بوسان.

ومن الفنانين من أعاد رسم صورته الذاتية مرات ومرات كما هو حال الهولندي وامبراندت، لتسجيل ما هو أعمق من الملامح الشخصية الظاهرية، وصولاً إلى حالته النفسية التي كانت تعرف تقلبات عنيفة بسبب سلسلة من المآسي ألمت به، فبقيت مجموعة اللوحات هذه شاهداً على هذه التقلبات وتوثيقاً أميناً لها.

وفي مثل هذه الحالات، يجد المتفرج نفسه أمام لغة مزدوجة الدلالة، حيث يقف هو متفرجاً على شخصيته مرسومة تتفرج بدورها على ذاتها. والحقيقة أن هذا يقودنا هنا إلى الحديث عن نمط شديد الدفع في اتجاه الإغراق في الذاتية، من أنماط الفن الحديث، اشتهر به الفنان الفرنسي مونوري، الذي جعل جزءاً من لوحته قطعة مرآة حقيقية، حين يقف المتفرج إزاءها، تنعكس صورته على اللوحة فيصبح جزءاً منها. ومثل هذا يحدث أيضاً في بعض الفنون الاستعراضية، حيث يلجأ المخرج إلى جعل الديكور الخلفي للاستعراض كله مرآة كبيرة، يشاهد فيها الحضور من المتفرجين أنفسهم معكوسين فيها، ما يجعلهم يبدون جزءاً من المشهد الاحتفالي حتى ولو اقتصر دورهم على أن يكونوا مجرد زينة أو ديكور.

مرايا لكل شيء

ومهما يكن، فإن هذا كله – أي حضور المرآة في الفن والأدب – يقودنا إلى قطع تلك الخطوة التي نجد أننا من بعدها أمام الدور الأساس الذي تلعبه الفنون والآداب في حياة المتلقين ووجدانهم، كما هي الحال في تعاطي فرويد مع الأحلام: إذ، هنا أيضاً يمكننا أن نفهم من الأعمال الفنية أنها، بدورها، مرآة لحياة البشر. إذ وكما أن جزءاً أساساً من الاستمتاع بالفنون، ينبع من رغبة الإنسان، اللاشعورية أحياناً، في أن يتلصص على حياة الآخرين، كذلك فإن جزءاً أساساً آخر من ذلك الاستمتاع ينبع من رغبة هذا الإنسان، اللاشعورية كذلك، في سبر أغوار داخله. فتماماً كما أن الإنسان ما كان في وسعه أن يدرك صورته الحقيقية لو لم يخترع المرآة – أو يكتشفها إذا أردتم –، كذلك كان من الصعب جداً على هذا الإنسان أن يدرك ماهيته وداخله وحقيقة عواطفه وردود فعله لولا تلك «المرآة» الذاتية التي شكلها الأدب والفن.

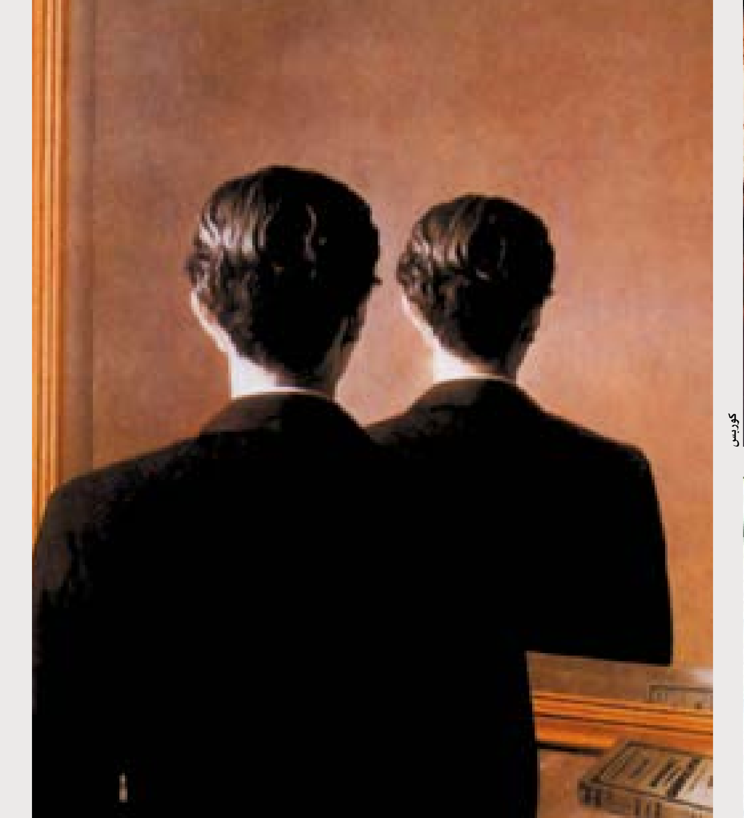
من هنا، لم يكن غريباً أن يستعمل كثر من الأدباء والمفكرين رمزية المرآة واسمها في أعمالهم، عنونةً وتلخيصاً، بدءاً من تلك الموسوعة



المرآة بريشة فان إيك تحدد موضوع اللوحة بكاملها

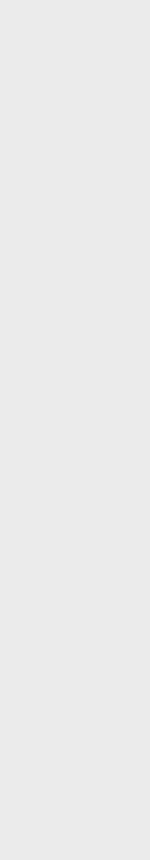


وعند بيكاسو في محترف «فتاة ترسم»



المرآة بين أيدي السورياليين: صورة رجل كما رسمته ماغريت





وعند الانطباعي ديغاس: الوجه يظهر كاملاً من خلال المرآة وليس مباشرة

الضخمة المتعلقة بكل المعارف والتي وضعها الفرنسي فنسان دي بونيه في القرن الثالث عشر الميلادي بعنوان «المرآة الكبيرة» واعتبرت دائماً أهم وثيقة وضعت عن أفكار وثقافات القرون الوسطى..

وهناك إلى جانب هذا العمل الكبير أعمال عديدة تحمل في عنوانها كلمة «مرآة». وقد يكون مفيداً أن نذكر في هذا المجال أن الموسيقي الفرنسي موريس رافيل (1875 – 1938م) وضع كلمة «مرايا» عنواناً لخمس مقطوعات للبيانو ألفها في العام 1905م. وهو فسر العنوان بقوله أنه إنما أراد منه أن يشرد على الطابع الرمزي لعمله هذا، حيث يقدم العالم بوصفه تمثيلاً لحياة الفنان، الداخلية، والمشهد، ككل كانعكاس لأسلوبه في الوجود، وأخيراً الشيء المموش بوصفه صورة منعكسة على مرآة حساسية الفنان الذاتية. والعنوان نفسه اختاره الفنان السوري ياسر العظمة لسلسلة حلقات تلفزيونية ساخرة عرفت شهرة عربية واسعة.

مرآة الفن ومرآة الحقيقة

فما الذي يمكننا أن نستخلصه من هذا كله؟

ببساطة أن نرسيس حقق، في النهاية وعلى مدى آلاف السنين انتصاره، حتى وإن كان المسكين قد مات حزناً لأنه لم يعثر أبداً على صاحب الوجه الجميل الذي شاهده منعكساً ذات يوم حين انحنى فوق صفحة بركة ماء ليشرب، فأتاه الوجه من داخل الماء ليشغله بقية حياته. فهل معنى انتصار نرسيس، أننا نحن بدورنا انتصرنا، وعثرنا على ذاتنا وفرديتنا، في ذلك المكان (الوحيد؟!) الذي يمكن فيه أن تظهر صورة الذات؟

ليس الأمر مؤكداً، طالما أن الأدب (والفن)، إذا كان قد احتفل دائماً بالإنسان مكتشفاً صورته عبر المرآة، فإنه لم يفته أبداً أن يصور كم كان ذلك الاكتشاف مرعباً. من ناحية لأن الرغبة في العبور إلى الجانب الآخر من المرآة لم تحقق إلا كفاية وفي الخيال، وثانياً لأن الإنسان بقدر ما راح يحدّق في المرآة يوماً بعد يوم ويطرح عليها أسئلته وضروب قلقه وخوفه، بقدر ما كان يحصل منها على إجابات تزيد من حدة القلق والخوف.

وحتى دوريان غراي، لم ينته به الأمر إلا وقد خسر رهان مرآته (لوحته).. فإذا كانت هذه قد شاخت بدلاً منه، ليبقى هو شاباً، اندفعت ذات يوم لاستعادة شبابها، مرجعة إليه السنين التي كان هرب منها، مغرقة إياه في شيخوخة لم تنته إلا بالموت.

وإذا كانت سيلفيا بلايت قد حدثتنا في قصيدتها عن الصورة الشابة التي تبقى، من مرور العجوز، منطبعة عليها، فإن الحقيقة تبدو أشد قسوة: الحقيقة هي أن المرآة لم تتمكن أبداً من الاحتفاظ بأية صورة.. إلا في الفن.. أي في الخيال، الملجأ الوحيد من الفناء، من الموت ومما ينتظرنا بعدهما.

ومن هنا كانت مرآة الفن دائماً، أكثر حرية وجمالاً من مرآة الحقيقة.

المرآة في الشعر العربي

يروي جلال الدين الرومي في كتابه «المثنوي» أن أحد ملوك الصين القدماء أراد أن يقيم مباراة في النقش والتصوير بين مهندسي فارس واليونان وفنانيهما. وقد دعا لأجل ذلك نخبة المبدعين من البلدين وبنى قاعة طويلة وواسعة ثم جعل كلاً من الطرفين في جانب وأمرهم أن يشرعا في العمل فاصلاً بينهما بستائر سميكة بحيث لا يرى أحدهما ما يفعل الآخر. وفي حين استنفر مهندسو اليونان كل مواهبهم لصنع أروع الزخارف والنقوش اكتفى مهندسو فارس بصناعة مرايا عظية ثبتوها على جدران المنطقة المخصصة لهم وعمدوا إلى تلميعها وصقلها لتصبح في منتهى الصفاء والشفافية. حتى إذا أمر الملك بأن ترفع الستائر بين الفريقين بدت نقوش اليونان في مرايا فارس أكثر روعة وجمالاً مما هي عليه في الأصل، وحكم الملك لفارس على اليونان في نهاية المباراة.

قد تكون هذه الحكاية التي رواها جلال الدين الرومي هي المدخل الحقيقي للتطلع إلى المرآة لا من حيث كونها تعكس الموجودات الظاهرة فحسب، بل من حيث قدرتها على الإضافة والإدهاش والتفاعل مع الظواهر التي تعكسها. فقد ألهبت المرايا مخيلات الفلاسفة والفنانين والشعراء فرآها بعضهم رمزاً للنفس البشرية التي يمكن لها أن تخشن وتصدأ وتعجز بالتالي عن رؤية جمالات العالم ووجوهه الخيِّرة والنبيلة. ويمكن لها بالمقابل أن تشف إلى الحد الذي يجعلها قادرة على استكناه روح الأشياء وسبر أغوارها العميقة، كما هو الحال مع الشعراء والمبدعين. وكما عند جلال الدين كذلك عند فريد الدين العطار، تتخذ المرآة بعداً صوفياً إشراقياً حين تكتشف جماعة الطيور الباحثة عن الطائر الذي يقودها إلى الحقيقة أن «السيمرغ» ليس سوى انعكاس صورتها في مرآة الحق وأنهم جميعاً تجليات لجوهر واحد.


PBase

في الشعر القديم

لم تغب صور المرآة بالمقابل عن الشعر العربي قديمه وحديثه. ولكن هذه الصور تتفاوت كثيراً تبعاً لرؤية الشاعر وعمق تجربته وللزاوية التي ينظر من خلالها. ففي حين يكتفي امرؤ القيس بالبعد الحسي الظاهري للمرآة حين يشبه صدر حبيبته بالسجنجل، أي المرآة، يقيم ابن الرومي العباسي تناظراً أكثر عمقاً وشمولية بين المرآة وبين نفسه التي تعرف بدورها كيف تميز بين الوجوه وكيف تعامل كل شخص بما يستحق. أما أبو عبادة البحتري فقد رأى في المرآة حقيقة المصير المأساوي للإنسان الذي يؤول سريعاً إلى الشيخوخة والزوال. وتمنى لو أنه لم يصقل مرآته بما يكفي لكي يحول الصدأ بينه وبين اكتشاف الحقيقة.

ويقدم ابن المعتز بالمقابل صورتين متغايرتين عن المرآة إحداهما تعكس براعته الوصفية حين يشبه بركة المتوكل بمرآة الجارية المصقولة ويشبه الخليج بمقبض لها، والأخرى تشبّه الذكريات بالمرآة المتحوّلة التي تستعيد لحظات الحياة المفقودة.

ثمة شعراء آخرون ربطو بين المرآة والنرجسية المرضية كما فعل شاعر مغمور اسمه حمد ياسين حيث النرجسي يرى العالم بأسره مرايا لشخصه. وكذلك الأمر مع ابن تميم الأسمروي الذي يتحدث عن شخص ما طلب معشوقاً جميلاً لم يجده فآثر أن يعشق نفسه ويحيطها بالمرايا من كل جانب. وفي العصور المتأخرة يتماهى منجك الدمشقي مع وجه حبيبته الذي يتحول إلى مرآة خالصة يتزاوج فيها وجها العاشق والمعشوق. وإذ يرى أحمد البربير، على طريقة أبي العلاء، أن النفس البشرية هي المرآة الحقيقية التي تكشف أسرار السماوات والأرض يرى خليل مطران في الغروب وزوال النهار مرآة لغروبه الشخصي.

.. وفي المعاصر

احتفظت المرآة بمكانتها في الشعر العربي الحديث متخذة مع أدونيس دلالات وأبعاداً رمزية بالغة الكثافة والتنوع، سواء في ديوانه «المسرح والمرايا» أو في دواوينه الأخرى. والمرآة عند أدونيس ليست مجرد ناقل ببغائي للعالم بل هي طريقة في النظر إلى الأشياء والوقائع. لذلك فهو قد اتخذ من المرآة ذريعة لتفسير الظواهر وإعادة تسميتها كما في نصيه «مرآة للقرن العشرين» و«مرآة السياف».

أما صلاح عبد الصبور فيرى وجهه في المرآة مجدوع الأنف ويعبر بسخرية طافحة بالمرارة عن مأزق الإنسان المعاصر بين سندان السلطة ومطرقة الاستلاب. والأمر نفسه يعبر عنه الشاعر اليمني عبدالله البردوني حيث المرايا لا تعكس سوى غربة الإنسان وانفصامه. وإذ ينشطر علي جعفر العلاق بين «عطر الروح وضوء الجسد» يرى بين المرآة والمرآة ما يتجاوز الجناس البديعي وينسحب على وجوه أكثر حيرة والتباساً. أما الفلسطيني محمد القيسي والعراقي هاشم شفيق فيريان في المرآة صورة المنافي التي تجمعهما معاً وتجعلهما نهباً للبرد والوساوس والغربة القاسية.

المرآة في الشعر القديم

• المرآة والمرآة:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل

امرؤ القيس

• المرآة المجلوّة:

جلوت مرآتي فيا ليتني
تركتُها لم أَجْلُ عنها الصدا
كي لا أرى فيها البياض الذي
في الرأس، في العارض مني بدا
شبتُ فما أنفكُّ من حسرةٍ
والشيب في الرأس سول الروى

البحتري

• البركة المرآة:

كأنَّ البركةَ الغنَّاء لما
غدت بالماء مفعمةً تموجُ
وقد لاح الدجى، مرآةُ قَيْنٍ
قد انصقلت ومقبضها الخليج

ابن المعتز

• مرآة الشاعر:

أنا كالمرآة ألقى
كلَّ وجهٍ بمثالهْ

ابن الرومي

• مرآة المغرور:

كأنما العالم مرآتُهُ
فما يرى فيها سوى شخصه

ابن حمديس

• مرآة عاشق نفسه:

وأهيف ظلَّ بالمرآة مغرىً
يواظب رؤية الوجه المليحِ
يقول: طلبتُ معشوقاً جميلاً
فلما لم أجده عشقتُ روحي

ابن تميم الأسمردي

• مرآة الوجه:

لما صفتْ مرآةُ وجهكِ أيقنتْ
عينايَ أني عدتُ فيك خيالا
وظننتُ أهدابي بوجهكِ عارضاً
وحسبتُ إنساني بخدِّك خالا

منجك الدمشقي

وفي الشعر الحديث

• مرآة النفسي:

تأمَّلْ نجدْ فيك الوجود بأسرِه
ونبِّه عيون القلبِ من سَنَةِ الغمضِ
فنفسكَ مرآةٌ إذا ما جَلَوْتَها
رأيت بها ما في السماوات والأرضِ

أحمد البربير

• مرآة الزوال:

وكأنني آنست يومي زائلا
فرأيت في المرآة كيف مسائي

خليل مطران

• مرآة للقرن العشرين:

تابوتٌ يلبس وجه الطفل
كتابٌ يُكتب في أحشاء غرابْ
وحشٌ يتقدَّم، يحمل زهره
صخره
تتنفس في رئتيْ مجنونْ
هوذا القرن العشرونْ

أدونيس

• مرآة الوجه:

قلتم لي: لا تدس أنفك في ما يعني جاركْ
لكني أسألكمْ أن تعطوني أنفي
وجهي في مرآتي مجدوعُ الأنفْ

صلاح عبد الصبور

• مرآة الهوية المنفصمة:

من أنا؟ أسأل شخصاً داخلي
هل أنا أنت؟ ومن أنت؟ وما اسمي؟
داخلي يسقط في خارجه
غربتي أكبر من صوتي وهجمي
مَنْ هنا، أسأله، من ذا هنا؟
غير ثوبٍ فيه ما أدعوه جسمي

عبد الله البردوني

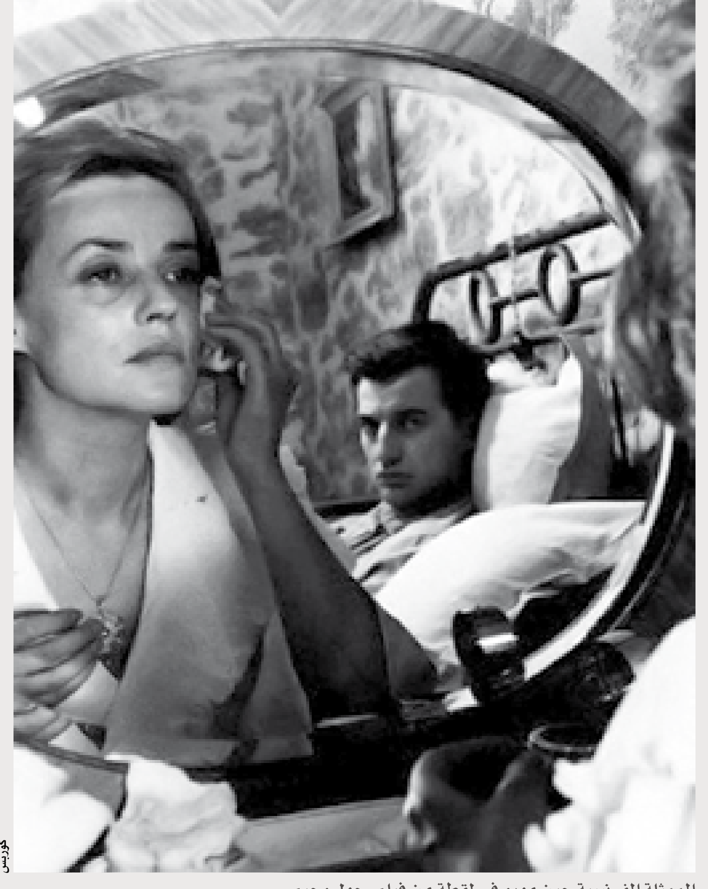
• مرآة المنفى:

ماذا تفعل في كتّان الطرقات هنا؟
أطويه وأطويه
ولا شيء سوى أني أكبر في السن
أنزل سهواً مرآة المقهى
ويعنُّ على روحي ما بات يَعِنْ
ماذا تفعل في مرآة المقهى؟
أتأمل ألوان الطيف قليلاً
فإذا الأشياء تئن ..

محمد القيسي



في كواليس المسرح لمكياج الممثلين



الممثلة الفرنسية جين مورو في لقطة من فيلم «جول وجيم»

المرآة في ظلام المسارح

تعتبر المرايا عدوة المسرح إذا نظرنا إليها من وجهة نظر مصممي الديكور المسرحي، وذلك لأن عمل المرآة يتطلب أولاً إنارة الهدف، وهذا يعني في عالم المسرح إنارة الجمهور، وثانياً لأن المرآة تعكس الضوء، واستعمالها في الديكور سيؤدي إلى انعكاس الضوء على المشاهدين مما يشوش عليهم متابعة المشهد المسرحي.

ومع ذلك، فإن المرآة حاضرة أينما كان في ظلام المسارح، بدءاً من نشوء فن المسرح وصولاً إلى الإبداع الحديث في فن العرض المسرحي مروراً بكونها رفيقة لا يستغني عنها الممثل في الكواليس.

في تاريخ المسرح

فصندوق الفرجة أو صندوق الدنيا الذي كان يتابع من خلاله المشاهد صوراً جميلة متتابعة وهو يستمع إلى حكواتي يعلق عليها، كان يعتمد على تقنية مجهولة المبتكر، وهي تقنية الضوء والمرآة العاكسة التي راجت عالمياً لردح طويل من الزمن قبل أن تنكسف لصالح أجهزة فن العرض السينمائي.

وحتى تاريخ اختراع المصابيح الكهربائية، كانت العروض المسرحية تقدم في الهواء الطلق وخلال النهار. ولكن اختراع المصابيح المركزة للضوء في اتجاه واحد (Projector) بواسطة المرايا، يمكّن العروض المسرحية من الانتقال إلى الصالات المقفلة. وصار هناك «البروجكتور» المنفلش الضوء أو ذو الضوء المحصور، أو متعدد الدرجات، وكل ذلك بحسب درجة تقعر أو تكور المرآة داخله، التي تعكس ضوء المصباح وتحدد تركزه حسب كل حاجة على حدة.

في كواليسه

والمرآة هي رفيقة الممثل، وآخر ما ينظر إليه في الكواليس قبل الخروج إلى الخشبة. والمرايا في كواليس المسرح محاطة بإنارة توازي في قوتها وسطوعها إنارة خشبة المسرح، يستطيع الممثل أن يرى نفسه فيها بعد إتمام عملية التخضيب (الماكياج) وارتدائه اللباس الخاص بدوره.
وبناءً على ذلك تضع المسارح بين أيدي مستخدميها كتيباً يحتوي على معلومات عن مواصفاتها وما تستطيع أن تقدمه لهم لا تغفل فيه ذكر المرايا وعددها في الكواليس. فعلى سبيل المثال، يورد المسرح الملكي في إنجلترا مواصفات غرف الممثلين، وفيها أن غرفة المجموعة أو الكورس (11 شخصاً) تحتوي على 15 مرآة. وكل غرفة من غرف الممثلين تحتوي على ثلاث مرايا، أي ما يسمح للممثل برؤية نفسه من مختلف الزوايا.

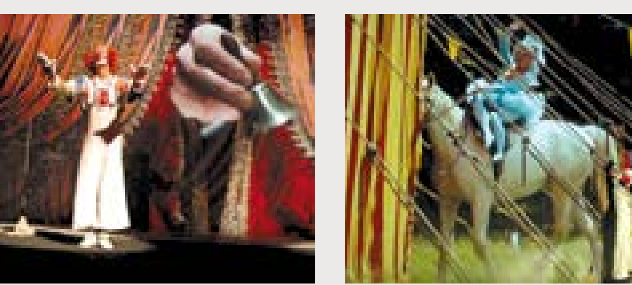
المرايا والإخراج المسرحي

نادراً ما لجأ مصممو السينوغرافيا المسرحية لاستخدام المرايا في ديكوراتهم، وذلك عائد لما ذكرناه. لكن وفي بعض الحالات يطلب المخرجون، ولإظهار فكرة ما، أن تستخدم المرايا في مشهد ما، وبالتالي على مصمم الديكور إيجاد الحلول المناسبة، كما في مسرحية «ألسنة تتكلم» التي قدمت في أحد مسارح نيويورك (2001م) واستمدت قوتها، بحسب الناقد «أندرو بوفيل» من كون مصمم السينوغرافيا «ريتشارد هوفر» قد اختار المرايا لعكس صورة الجمهور طوال مدّة العرض، وكأنه يقول «هذا أنتم». كما استخدمها المخرج اللبناني يعقوب الشدراوي في مسرحية «جبران والقاعدة» (1983م) لإظهار مناخين في وقت واحد. فداخل غرفة جدرانها من ورق المرايا العاكسة، مضاءة فقط من الداخل، تدور أحداث تمثل الحقيقة الداخلية للشخصيات، بينما حين ينار خارجها، تنعكس صورة الجمهور على الجدران ويبدأ الدجل الاجتماعي.



المرايا ومسرح «لاترنا ماجيكا» التشيكي

وتعتمد عروض مسرح «لاترنا ماجيكا»، التشيكي على استخدام وسائل تقنية متعددة لإخراج العرض المسرحي. وترتكز الرؤية المشهدية على استخدام الأنوار وآلات العرض السينمائية والمرايا العاكسة التي ترتب بشكل يجعل المشاهد وكأنه في عالم خيالي يختلط فيه أمامه، الممثلون بالأطياف التي تبثها آلات العرض أو المرايا العاكسة، فبالكاد يستطيع التمييز بين ما هو حقيقي وبين ما هو طيف خيال.





من مسرح «لاترنا ماجيكا» حيث البطولة الحقيقية للمرايا

برز شكل العرض هذا سنة 1959م، خلال المعرض العالمي لفن العرض في مدينة «بروكسل»، البلجيكية، وذلك في الجناح التشيكي تحت اسم «لاترنا ماجيكا» أي الفانوس السحري. كان العرض من تصميم «جوزف سفوبودا» وإخراج «ألفرد رادوك»، اللذين عادا إلى «براغ» بعد نجاح العرض ليؤسسا مسرح «لاترنا ماجيكا» في العاصمة التشيكية. ولا يزال هذا المسرح يعمل حتى الآن بالتقنيات المبهرة ذاتها، ولا يزال بعضها سرّاً خاصّاً بتقنيي هذا المسرح.

العلم والعلماء والمرآة

مع النهضة العلمية والصناعية التي انطلقت بقوة بدءاً من القرن الثامن عشر، لم تعد المرايا تستعمل للتبرج والديكور المنزلي فقط، بل دخلت في صميم التطور العلمي والابتكارات التقنية.

فالتلسكوبات التي ترصد حركة الكواكب والنجوم مجهزة بمرايا كبيرة تعكس المرئيات البعيدة وفق الزوايا المتساوية. وتزداد قدرات «التلسكوبات» على الرصد كلما كبرت مراياها.

وتستخدم المرايا أيضاً لتقوية الضوء المنبعث من المصابيح الكهربائية في السيارات كما في المنارات البحرية. وهي من الأدوات الأساسية التي لا غنى عنها في الآليات المتنقلة، لتوضيح الرؤيا الجانبية والخلفية. وفي الأفران الشمسية تستخدم المرايا لتجميع أشعة الشمس وانتاج الطاقة.

وفي عيادة طبيب الأسنان، تسمح المرآة الصغيرة التي لا يزيد حجمها على قطعة نقدية معدنية، برؤية الأسنان العلوية التي لا يستطيع الطبيب رؤيتها بسهولة، فتؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها المرآة أو المرايا في المخازن الكبرى والأماكن العامة التي تسمح للمشرفين عليها برؤية ما يجري في الزوايا المختلفة من تلك الأماكن.





المرآة في صميم التكنولوجيا الحديثة: من آلة العرض السينمائية إلى التلسكوبات العملاقة


PBase

قصص المرايا.. في الصين

إضافة إلى أنَّ الصينيين يعتبرونها رمزاً للنور، فإن للمرآة في تاريخ الصين قصصاً وحوادث شيقة كثيرة.

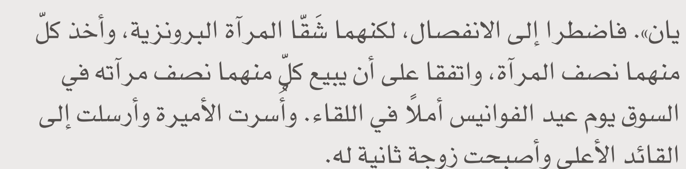
حَكَمَ البلاد بالمرآة!

فقد كان الوزير «وي تشنغ»، المعروف بشخصيته النزيهة وثقافته الواسعة، يُسدي النصائح القيّمة إلى الأمبراطور «لي شين مين». ولما توفي «وي تشنغ»، أصاب الأمبراطور غم كبير. فموت الوزير كان خسارة كبيرة للدولة. وللتعبير عن حزنه لفقدان وزيره، قال الأمبراطور لأعوانه: «أمام المرآة أستطيع أن أرتّب وأهندس لباسي، ووفاة وي تشنغ وفاة لمرآتي الغالية».

والمقصود أنّ «وي تشنغ» كان بمثابة المرآة التي يرى فيها الأمبراطور أخطاءه فيصوّبها، وعيوبه فيُعدِّلها.

«المرآة عادت مجبورة»

وفي القرن السادس الميلادي تعرّضت مملكة «تشن» لفوضى كبيرة إثر احتلال جيش أسرة «سوي» المملكة، وفرَّ السكان مذعورين، وكان في القصر زوجان عاشقان، الأميرة الجميلة «لهتشانغ» وزوجها «شيوي ده


يان». فاضطرا إلى الانفصال، لكنهما شَقّا المرآة البرونزية، وأخذ كلّ منهما نصف المرآة، واتفقا على أن يبيع كلّ منهما نصف مرآته في السوق يوم عيد الفوانيس أملاً في اللقاء. وأُسرت الأميرة وأرسلت إلى القائد الأعلى وأصبحت زوجة ثانية له.

وفي عيد الفوانيس السنة التالية، وصل «شيوي ده يان» إلى السوق ومعه نصف المرآة، ولكنّه لم يلقَ الأميرة، فأصابه الكدر والهم. غير أنّه لمح نصف المرآة في يد خادم في السوق. وأخبر الخادم «شيوي ده يان» ما حلَّ بالأميرة، فاغرورقت عيناه بالدموع، وكتب أبياتاً من الشعر على نصف مرآة الأميرة وأرسلها لها مع الخادم. وهكذا علمت الأميرة أن زوجها ما زال على قيد الحياة. ولما عرف القائد بقصتهما تأثّر بمشاعر الحب العميق بين هذين الزوجين وأرسل الأميرة إلى بيت «شيوي ده يان». وهذه الحكاية هي أصل القول الصيني: «المرآة عادت مجبورة».

تعليق مرآة صافية عالياً

وقديماً كان الصينيون يعلّقون في قاعات الحكم في ولايات الدولة لافتة مكتوب عليها: «مرآةٌ صافيةٌ معلقةٌ عالياً». وذلك رغبة في حثّ الموظف العام على أن يكون نزيهاً نظيف اليد واللسان. ويحكى أنَّ الأمبراطور «تشين» علّقَ فعلاً مرآةً كان، حسب اعتقاده، يرى فيها قلوب الناس فيميّز الخيّر من الشرير. وكان الموظفون الحكوميون يعتقدون في وجود «مرآة تشين» هذه، فيُدققون في أعمالهم وأقوالهم.

وكان لأحد الموظفين في أسرة «سونغ»، في القرن العاشر الميلادي، مرآة برونزية قديمة، قيل أنه كان يستطيع رؤية مئة كيلومتر عبرها. وقد أراد الموظف أن يقدّم المرآة العجيبة إلى الوزير الأعلى طمعاً في توثيق العلاقة بينهما. غير أن الوزير رفض العرض غير الشريف بذكاء قائلاً: «ليست بي حاجة للمرآة التي تستطيع أن ترى عبرها مئة كيلومتر، لأن وجهي صغير!».





القافلة سبتمبر - أكتوبر 2005

5

رويترز

القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
سبتمبر - أكتوبر 2005
المجلد 54 العدد 5

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com

